

الأناشييد

المدرسة الثورية التي لم يعرضها الشرق

ميخائيل باكونين

نستور ماخنو

توم فيتزل

أندريه جروباتشيك

ديفيد جريير



الأناشييد الأناشييد العربي



المدرسة التي لم يعرفها الشرق

مقالات مترجمة

ميخائيل باكونين، نستور ماخنو، توم فيتزل، أندريه غروباتشيك، ديفيد
غريب

ترجمة وإعداد:

أحمد زكي

الأرنتشيف الأناركي العربي

الفهرس

٣	الفهرس
٥	مقدمة
٥	في العالم اليوم
٥	وفي التاريخ القريب بالامس
٥	ما هي الاناركية؟
٧	اشتراكية الاناركية
٨	الاناركية والتغير الاجتماعي
١٠	كوميونه باريس وفكرة الدولة، بقلم ميخائيل باكونين
١٦	زيارقي للكرملين بقلم نستور ماخنو
١٦	مقدمة المترجم
١٦	موسكو في يونيو ١٩١٨
١٦	اوكرانيا في ١٩١٨
١٧	ماخنو
١٧	لينين وسفردلوف
١٨	رواية ماخنو: اللقاءات الاولى
١٩	مقابلتي مع سفردلوف
٢٢	مقابلتي مع لينين
٢٧	نظرة للماضي بعد سبعين سنة، بقلم: توم فيتزل
٢٧	سلطة العمال والثورة الاسبانية
٢٨	الرواج الاقتصادي وفرق الموت
٢٩	اضراب الايجارات الجماهيري
٣٠	الارض والكنيسة
٣١	الانتفاضات وصراع الفصائل
٣٢	الرؤية اليسارية التحررية
٣٣	الانقلاب
٣٥	الجدل في الكونفدرالية حول السلطة السياسية

٤٨.....	الخط البياني للحزب الشيوعي الاسباني
٥١.....	"كروفتاد الاسبانية"
٥٤.....	التحويل التعاوني القسري؟
٥٦.....	اصدقاء دوروتي
٥٩.....	الأناركية والماركسية
٥٩.....	الدولة والثورة
٥٩.....	الدولة
٦٠.....	المرحلة الانتقالية
٦٠.....	الاحزاب السياسية
٦٢.....	العنف والثورة
٦٣.....	الجدل حول قضية الطبقة
٦٤.....	محاور الظلم والاضطهاد الاخرى
٦٥.....	العلاقة بالسكان الاصليين والامم دون دولة
٦٦.....	المادية التاريخية
٦٨.....	الحتمية التاريخية
٦٩.....	نحو أناركية أخرى أندريه جروباتشيك
٧٥.....	الأناركيون الجدد بقلم ديفيد جريير
٧٥.....	مقدمة
٧٥.....	حركة العولمة؟
٧٧.....	بليونيترات ومهرجون
٧٩.....	الأناركية والسلم
٨٠.....	ممارسة الديمقراطية المباشرة
٨١.....	السياسة المجازية

مقدمة

في العالم اليوم...

"من أوروبا الشرقية حتى الأرجنتين، ومن سياتل حتى مومباي، تتوالد من الأفكار والمبادئ الأناركية رؤى وأحلام راديكالية جديدة. وغالبا لا يطلق أولئك المدافعون عن هذه الأفكار على أنفسهم اسم: "الأناركيون". انهم يسمون انفسهم أسماء أخرى مثل انصار "التسيير الذاتي، مناهضة السلطوية، العمل الافقي، الزاباتاوية، الديمقراطية المباشرة...". الا ان المرء يستطيع ان يميز في هذه الفرق جميعها نفس جوهر المبادئ الاناركية: اللامركزية، الانضمام الطوعي للجمعيات، المعونة المتبادلة، انماط شبكات العمل، وفوق كل شيء، نبذ فكرة أن الغاية تبرر الوسيلة، بل وإهمال فكرة أن شغل الفرد الثوري الشاغل هو الاستيلاء على سلطة الدولة ثم يبدأ، بعد ذلك، فرض افكار جماعته بقوة السلاح".

وفي التاريخ القريب بالامس...

ارتفعت راية الاناركية وسط اهم احداث التمرد الاجتماعي في تاريخ الغرب الحديث: من كومبونة باريس ١٨٧١، وعبر الثورة الروسية ١٩١٧، الى الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦-١٩٣٩.

في كل عصر ومع كل مجتمع، تتغير ملامح الاناركية ويتغير وجودها المادي، "...حتى ان الاناركية الان كفكرة، وفوق كل شيء، كأخلاقيات للممارسة العملية - قد تطورت لتصبح فكرة بناء مجتمع جديد 'من داخل قشرة القديم'". ومع ذلك، الاناركية دون شك هي فكرة من اكثر الافكار التي ساء تصويرها في النظرية السياسية!

ما هي الاناركية؟

الاناركية كلمة يونانية تتكون من مقطعين: "أنا"، و"آركي"، حيث كلمة "أنا" تعني "دون"، وكلمة "آركي" معناها "رئيس" او "سلطة"، اي هي الفكرة الداعية الى مجتمع "دون رؤساء" او "دون سلطة". لذا، فالاناركية في التحليل الاخير هي اسم اصطلح على اطلاقه على تلاوين شتى من تيار عريض من تيارات الحركة الاشتراكية الحديثة، نشأ من رحم الثورة الفرنسية الكبرى (١٧٨٩ - ١٨١٥) التي كانت اهم العلامات الفارقة على اجتياح وسيادة النظام الرأسمالي مجتمعات الغرب بداية ثم توسعه وانتشاره حتى شمل مجتمعات الكوكب كله تقريبا.

تفترض معظم بيانات تاريخ الأناركية أنها كانت مماثلة جوهريا للماركسية: برزت الأناركية كبنات أفكار لعدد معين من مفكري القرن التاسع عشر (برودون، وباكونين، وكروبوتكين...)، واستمرت حينئذ في الهام منظمات الطبقة العاملة، والمضطهدين اجتماعيا، ودخلت في نسيج النضالات السياسية وانقسمت إلى شيع...

ولا يعني الأناركيون بفكرة "مجتمع بلا رؤساء"، انه مجتمع يتكون من نمط واحد لافراد متماثلين في كل شيء، حتى انك لا تستطيع التمييز بينهم، بنفس القدر الذي لا تستطيع التمييز به بين اصناف الدجاج الذي تنتجه صناعة الدواجن الحديثة. بل إن الأمر عند الأناركيين هو، للمفارقة، النقيض من ذلك تماما. فهذه المدرسة الثورية، على اختلاف جماعاتها، تشترك في اعلاء قيمة الحرية الفردية، وكرهية الايديولوجيا، وتعلو بمرتبة الحرية الشخصية علوا سامقا. بل ان هناك من تلاوينها من يصل بقدرسية الحرية الشخصية الى حدها الاقصى - فريق "الفرديين - individualists"، ومنهم حتى من يرفض التكنولوجيا الحديثة بما تمليه على البشر من اعتمادية وما تفرضه من تقسيم للعمل وبناء هياكل تراتبية لتسيير المجتمع، وبالتالي التنازل عن حريتهم الشخصية مقابل ما يقدمه لهم هذا التطور التكنولوجي من تسهيلات في المعيشة اليومية (البدائيون primitivists).

يرفض الأناركيون القبول بفكرة ان تحتكر قلة من افراد المجتمع ايا كانت مبررات وجود هذه القلة امتيازات يترتب عليها حصولهم على منافع وفوائد لا تنعم بها الاغلبية. ويرون ان هذا الاحتكار سوف يمكن هذه القلة من تملك سلطة اتخاذ القرار في مختلف اوجه المعيشة على حساب مصلحة الاغلبية.

على ان كلمة "الاناركية" في معظم اللغات الأوروبية، فضلا عن كونها اسم لهذه المدرسة من الاشتراكية، فهي تستخدم لغويا ايضا بمعنى "الفوضى". او، على حد تعبير اريكس مالايتستا : "حيث ان المعتقد الشائع هو ان الحكومة امر ضروري وانه دون حكومات لا يمكن وجود سوى الفوضى والاضطراب، من الطبيعي والمنطقي ان الاناركية، والتي تعني غياب الحكومة، يجب ان تعني غياب النظام العام".

وعند ترجمة الصحافة السياسية العربية لهذا المصطلح السياسي حول بدايات القرن العشرين، لم تستعمل هذه الصحافة المصطلح السياسي - الاناركية - ولكنها استخدمت الاستعمال اللغوي الاوروبي الشائع للكلمة، "الفوضى"، واشتقت منه اسما للحركة - "الفوضوية". ولهذا اصبح من الطبيعي ان تشتق اسما للداعين لها وهو "الفوضيون" اي الداعون الى الفوضى وشرعية الغاب. وهكذا اتفق الشرق والغرب على امر وهما نادرا ما يتفقان.

ولكن ببساطة، لم يكن ابدا المعنى الاصلي الضيق لكلمة اناركية هو "لا حكومة" فقط. الاناركية معناها هو "دون رؤساء"، او المعنى الاكثر شيوعا، "دون سلطة"، وهو المعنى الذي يستخدمه الاناركيون باستمرار. مثلا نرى كروبتكين يدافع عن الاناركية بمنطق أنها "لا تهاجم فقط الرأسمال، ولكنها تهاجم ايضا المصدر الاكبر لسلطة الرأسمالية: القانون والسلطة والدولة".

لهذا السبب، بدلا من كون الاناركية مناهضة للدولة او للحكومة بشكل صرف، فهي اوليا حركة ضد التراتب الهرمي في المجتمعات. لماذا؟ لان التراتب الاجتماعي الهرمي هو الهيكل التنظيمي الذي يجسد السلطة. وحيث ان الدولة هي الشكل "الاعلى" للتراتب الهرمي، فالاناركية، بحكم التعريف، معادية للدولة؛ ولكن هذا لا يصلح ان يكون تعريفا كافيا للاناركية.

هذا يعني ان الاناركيين الحقيقيين يعارضون كل اشكال التنظيم التراتبي الهرمي، وليس الدولة فقط. في كلمات بريان موريس : "الاناركيون هم اناس يرفضون كل اشكال الحكومات او السلطة القهرية، كل اشكال التراتب الهرمي والهيمنة. لذلك هم يعارضون ما تسميه الناشطة الحركية المكسيكية فلوريس مورجان 'الثالوث الكتيب' - الدولة والرأسمال والكنيسة. وهكذا يصبح الاناركيين معارضون لوجود الدولة والرأسمالية كليهما، اضافة الى كل اشكال الدين والسلطة. ولكن الاناركيين يسعون ايضا الى تأسيس او الى حدوث شروط تحقيق اناركية اجتماعية، بمعنى، مجتمع لا مركزي دون مؤسسات قهرية، مجتمع ينتظم من خلال فدراليات للجمعيات الطوعية"

وتأتي فكرة "التراتب الاجتماعي الهرمي" في هذا السياق كتطور اخير في فكر الاناركيين؛ الاناركيون "الكلاسيكيون" أمثال برودون وباكونين وكروبتكين استخدموا هذه الكلمة ولكن في احوال نادرة، كانوا يفضلون استخدام كلمة "السلطة"، والتي كانت تستخدم اختصارا لكلمة "سلطوية". ومع ذلك، يتضح من كتابات هؤلاء الرواد الثلاثة ان اناركيتهم كانت فلسفة ضد التراتب الاجتماعي الهرمي، وضد التفاوت في السلطة والامتيازات بين الافراد. تكلم باكونين عن ذلك عندما هاجم السلطة "الرسمية" ولكنه دافع عن "النفوذ الطبيعي"، وايضا عندما قال: "هل تريد ان تسمح لأي فرد ان يظلم اخيه الانسان؛ ثم تبات متأكدا ان السلطة لن يحتكرها احدا؟"

وبشكل اكثر عمومية في كلمات ل. سوزان براون ، "الصلة الموحدة" بين الاناركيين هي "ادانة عامة للتراتب الهرمي والسيطرة واستعداد للقتال من اجل حرية الانسان الفرد".

وفقط لتقرير ما هو واضح، الاناركية لا تعني الفوضى ولا يسعى الاناركيون لخلق الفوضى او حالة انعدام النظام العام. على العكس، يرى الاناركيون انهم يرغبون في خلق مجتمع يقوم على اساس الحرية الفردية والتعاون الطوعي. بكلمات اخرى، هم يقولون بفكرة ان النظام العام يبني من اسفل لاعلى، وليس النظام المختل المفروض من اعلى على من هو ادنى بواسطة اشكال متنوعة من السلطة. مثل هذا المجتمع سوف يكون مجتمعا اناركيا حقيقيا، مجتمعا بلا رؤساء.

وقد لخص نعوم شومسكي الملمح الرئيسي للاناركية في حوار له حول الاناركية، عندما قرر انه في مجتمع حر عن حق "اي تفاعلات بين البشر في مستوى اكثر من كونه تفاعلات شخصية - بمعنى تفاعل يتخذ اشكال مؤسسية من نوع او اخر - في المجتمع المحلي، او في مكان العمل، او في العائلة او في المجتمع الاوسع، مهما يكون شكله، يجب ان يخضع هذا التفاعل للسيطرة المباشرة للمشاركين فيه. وبالتالي، الامر يعني إنشاء مجالس العمال في الصناعة، وإقامة الديمقراطية الشعبية في التجمعات السكانية المحلية، والتفاعل بين هذه الاشكال، وإنشاء جمعيات حرة للجماعات الاكبر، حتى نصل الى تنظيم المجتمع الدولي ذاته".

ترفض الاناركسية انقسام المجتمع في تراتب هرمي من رؤساء للعمل اسفلهم عمال، أو الى حكام ومحكومين. في الاخير، تنادي الاناركسية بمجتمع يقوم على اساس جمعيات حرة طوعية من تنظيمات تشاركية تدار من اسفل الى اعلى.

اشتراكية الاناركسية

يقول بيتر كروبتكين، الاناركسية هي "النظام الاشتراكي بلا حكومة".

لذلك، الاناركسية هي نظرية سياسية تستهدف خلق مجتمع بلا هياكل هرمية تراتبية سياسية او اقتصادية او اجتماعية. تصر الاناركسية على ان غياب الحكام والرؤساء، هو شرط حيوي للنظام الاجتماعي ومجتمع بهذا الشكل هو مجتمع يعمل من اجل تعظيم الحرية الفردية والمساواة الاجتماعية. انهم يرون في هدي الحرية والمساواة عوناً ودعماً ذاتياً لبعضهما البعض. او كما في القول المشهور عن باكونين: "نحن مقتنعون ان الحرية دون اشتراكية هي امتياز واجحاف، وان الاشتراكية دون حرية هي عبودية وبربرية".

وفي الوقت الذي توجد فيه فرق مختلفة من الاناركيين (من الاناركسية الفردية الى الاناركسية الشيوعية) الا ان هناك موقفان مشتركان في جوهر افكار الاناركيين يجمعان بينهم كلهم في تيار واحد، وهما: معارضة وجود الحكومات، ومعارضة وجود الرأسمالية.

ففي كلمات الاناركي الفردي بنيامين توكر، تصر الاناركسية على "الغاء الدولة والغاء الربا الفاحش؛ نهاية حكم الانسان لأخيه الانسان، ونهاية استغلال الانسان لأخيه الانسان". يرى كل الاناركيين في الربح، والفائدة والريع ربا فاحشا (اي استغلال) ولهذا هم يعارضون هذه الاشكال الثلاث، ويعارضون الشروط التي تخلقهم بنفس القدر الذي يعارضون به الحكومات والدولة.

بالنسبة للاناركيين لا يمكن للانسان ان يكون حراً، اذا ما كان خاضعاً لدولة او لسلطة رأسمالية.

وهكذا الاناركسية هي نظرية سياسية تدافع عن خلق مجتمع يقوم على اساس قاعدة "لا رؤساء". وحتى يتحقق ذلك، فهم "بالاشتراك مع كل الاشتراكيين، يصرون على ان الملكية الفردية للارض والرأسمال والالات انتهي زمانها؛ وانه بات محكوماً على الملكية الفردية بالاختفاء: وان كل شروط الانتاج المسبقة تصبح وسوف تصبح هي الملكية الجماعية للمجتمع، وتدار وسوف تدار بشكل مشترك بواسطة منتجي الثروة انفسهم. ... يستمر الاناركيون في تأكيد ان النموذج المثالي للتنظيم السياسي للمجتمع هو حالة الاشياء حين تختزل وظيفة الحكومات الى الحد الأدنى... [و] ان الهدف النهائي للمجتمع هو اختزال وظيفة الحكومات الى لا شيء - بمعنى، مجتمع دون حكومات".

على ان معارضة الاناركسية للتراتب الاجتماعي الهرمي، لم تقتصر على مجرد معارضة الدولة او الحكومة. فمعارضتهم تلك تناهض كل العلاقات الاقتصادية والاجتماعية السلطوية كذلك، خصوصا تلك العلاقات الناشئة عن الملكية الرأسمالية والعمل المأجور.

في العموم يؤمن الاناركيون بتعددية وتنوع اشكال العلاقات داخل المجتمعات البشرية، كعمال منتجين في الصناعة، وكفلاحين في الزراعة، وفي الاخير كافراد منتجين في شتى مجالات المعيشة. ولكنهم لا يؤمنون بالملكية الشخصية لوسائل الانتاج وينادون ويعملون من اجل تفعيل اشكال الملكية الجماعية لوسائل الانتاج في المجتمعات الانسانية.

يمكننا رؤية ذلك عند برودون وحجته التي يسوقها للدفاع عن فكرته: "الرأسمال... في المجال السياسي صنو للحكومة... الفكرة الاقتصادية للرأسمالية، والفكرة السياسية للحكومة (او للسلطة)، والفكرة اللاهوتية للكنيسة هي ثلاث افكار متماثلة تماما، تتصل بطرق متنوعة مع بعضها البعض. الهجوم على واحدة منها يعادل الهجوم على الافكار الثلاث كلها.. ما يرتكبه الرأسمال في حق العمال، ترتكبه الدولة في حق الحرية، والكنيسة في حق الروح. ثلوث الاستبداد هذا ضار في الواقع العملي ضرره في الفلسفة. الوسيلة الأكثر فعالية لاضهاد الناس سوف تكون تلقائياً استعباد جسدهم (الرأسمالية) واستعباد ارادتهم (الدولة) واستعباد عقولهم (الكنيسة)". وهكذا نجد ايما جولدمان تعارض الرأسمالية حين تقول، "يجب على هذا الرجل [او تلك المرأة] بيع عمله" ولذلك، "تخضع ميولهما وحكهما على الامور لارادة سيدهم". قبلها باربعين عام وضع باكونين نفس الفكرة عندما دافع بقوله انه "في ظل النظام الحالي [الرأسمالي] يبيع العامل شخصيته وحرية لحصة معينة من الوقت" للرأسمالي صاحب العمل مقابل الاجر".

وهكذا الاناركية هي كلا من نفي وإيجاب. الاناركية تحلل وتنتقد المجتمع الحالي بينما هي في نفس الوقت تمنح رؤية لصورة مجتمع جديد - مجتمع يوفي بحاجات انسانية معينة ينكرها المجتمع الحالي على اغلب اعضاءه. تلك الحاجات، الاكثرها اساسية، هي الحرية والمساواة والتضامن.

الاناركية والتغيير الاجتماعي

يجب ان نلاحظ ان الاناركيين في عملهم لا ينتظرون لحظة قيام الثورة حتى يطبقوا افكارهم بل انهم يحاولون خلق كثير من صور هذا المجتمع في العالم المعاش: في منظماتهم، واساليب نشاطهم، بقدر استطاعتهم.

الاناركية توحد التحليل النقدي بالامل، كما يشير باكونين، "الدافع لأن تدمر هو دافع خلاق".

الا ان الاناركية هي ايضا اكثر من مجرد اداة للتحليل او اداة لرؤية المجتمع الافضل. الاناركية تضرب بجذورها في الكفاح، كفاح المظلومين من اجل حريتهم. بكلمات اخرى، الاناركية توفر وسائل تحقيق نظام جديد يقوم على احتياجات الناس، وليس السلطة، وهي تضع مصلحة الكوكب قبل الربح.

يقول المناضل الاناركي الاسكتلندي ستيوارت كريستي: "الاناركية هي كلا من نظرية وممارسة للحياة. فلسفيا تستهدف الاناركية اقصى توافق بين الفرد، والمجتمع والطبيعة. عمليا، تستهدف الاناركية بالنسبة لنا تنظيم حياتنا ومعيشتنا بطريقة تجعل من السياسيين والحكومات والدول وموظفيها امرا زائدا لا لزوم له. في المجتمع الاناركي، الافراد اصحاب السلطان والاحترام المتبادل سوف ينتظمون في علاقات غير ارغامية داخل مجتمعات لها حدودها الطبيعية يمتلكون فيها وسائل الانتاج والتوزيع بشكل مشاعي.

"الاناركيون ليسوا اشخاصا حاملين تسيطر عليهم هواجس المبادئ المجردة والابنية النظرية.. الاناركيون على دراية جيدة بأن المجتمع التام لا يمكن الظفر به غدا. فعليا، الكفاح يستمر الى الابد! ومع ذلك، الاناركية هي الرؤية التي تمنح الدافع والحافز للكفاح ضد الاشياء كما تكون، ومن اجل الاشياء التي قد تكون..."

"في الاخير، الكفاح فقط هو ما يحدد النتائج، والتقدم نحو مجتمع محلي له معناه، يجب ان يبدأ بارادة للمقاومة ضد كل شكل من اشكال الظلم. بمعايير عامة، يعني هذا تحدي كل اشكال الاستغلال والاستهانة بشرعية كل السلطات الارغامية. لو ان لدى الاناركيين بندا واحدا من اليقين الذي لا يهتز، فهو يتمثل في انه، فور انتهاء الاعتماد على الرجوع بالامر الى السياسيين او الايديولوجيين، وفور اكتساب عادة مقاومة الهيمنة والاستغلال، فمن ثم، سوف يمتلك الانسان العادي الطاقة والقدرة على تنظيم كل جانب من جوانب حياته بما فيه مصلحته، في اي مكان وفي اي زمان، بحرية وبقدر طيب من الانسجام.

"لا ينزوي الاناركيون في ركن بعيدا عن الكفاح الشعبي، ولا هم يحاولون الهيمنة عليه. انهم يبحثون عن المساهمة عمليا بما يستطيعونه، وايضا يبحثون عن مساعدة الكفاح وفي داخله اعلى مستوى ممكن من التطور الذاتي للافراد ومن التضامن الجماعي. من الممكن التعرف على الافكار الاناركية المتعلقة بالعلاقات الطوعية، والمشاركة المساواتية في عمليات اتخاذ القرار، والمعونة المتبادلة والنقد المتعلق بكل اشكال الهيمنة في الحركات الثورية والاجتماعية والفلسفية في كل الازمان وفي كل مكان".

يرى الاناركي الصربي اندريه جروبانشيك في الاناركية "ظاهرة اجتماعية يتغير محتواها بالإضافة إلى مظاهر نشاطها السياسي مع الوقت. فالطابع الوحيد ذو الطبيعة الخاصة المرتبط بالاناركية، هو أنها على عكس كل الأيديولوجيات الكبرى لا يمكن أن يتأق لها وجود ثابت ومستمر على الأرض من خلال كونها سلطة حكومية أو لكونها جزء من النظام السياسي. يأتي تاريخ الاناركية وسماتها المعاصرة من عامل آخر - إنها موجات من الكفاح السياسي. نتيجة لذلك، ينتهي جروبانشيك الى ان الاناركية "تمتلك ميلا نحو "تعاقب الأجيال"، بمعنى انك تستطيع أن تحدد في تاريخها موجات محددة المعالم جدا، طبقا لفترة الكفاح التي تشكلت فيها".

تاريخيا، تشكلت الموجة الأولى للكفاح الاناركي خلال الصراع الطبقي في غرب أوروبا منذ أواخر القرن التاسع عشر، وكان ممثلها النظري والعمل هو جناح "باكونين" في الأهمية الأولى. تصاعدت بدايات هذه المرحلة من عام ١٨٤٨، وبلغت ذروتها مع كومونة باريس ١٨٧١، وترنحت طوال ثمانينات هذا القرن بعد هزيمة الكومونة.

الموجة الثانية، من تسعينات القرن التاسع عشر حتى الحرب الأهلية الروسية (١٩١٨ - ١٩٢٤)، شهدت هذه الفترة إزاحة واضحة لمركز الحركة الاناركسية من أوروبا الغربية إلى أوروبا الشرقية وأصبحت لذلك تعطي اهتماماً أوضح للفلاحين حيث ان تطور الصناعة في هذا الجزء من أوروبا كان لا يزال ادنى كثيراً من مستواه في غربها. ولهذا كانت شيوعية "كروبتكين" الأناركسية، نظرياً، هي السمة الغالبة. بلغت المرحلة قمتها مع جيش "ماخنو" الثوري في أوكرانيا الفلاحية ابان الثورة الروسية ١٩١٧، وانتقلت بعد انتصار البلشفية إلى أوروبا الوسطى متغلغة داخل التيارات الراديكالية التي كانت تعمل تحت السطح آنذاك.

تركزت الموجة الثالثة، من عشرينات القرن العشرين حتى أواخر الأربعينيات، في وسط وغرب أوروبا مرة ثانية، وحصرت توجهها مرة أخرى في الطبقة العاملة الصناعية. نظرياً، كانت تلك الفترة هي ذروة النقابية الأناركسية (السينديكالية). أكثر الأعمال قام بها المنفيون الروس الذين طردتهم الثورة البلشفية من روسيا. وانتهت قمتها مع هزيمة الثورة في الحرب الاهلية الاسبانية (١٩٣٦ - ١٩٣٩)، وقيام الحرب العالمية الثانية. ومن هذه اللحظة، بات التباين بين النوعين الرئيسيين في التقاليد الأناركسية واضحاً للعيان: الشيوعية الأناركسية، التي يمكن أن نعتبر، على سبيل المثال، أن "بيتر كروبتكين" يمثلها - وعلى الجانب الآخر، تقاليد النقابية الأناركسية التي ترى ببساطة في الأفكار الأناركسية النمط السليم والصالح لتنظيم المجتمعات الصناعية المتقدمة، عالية التعقيد. يندمج تيار النقابية الأناركسية هذا، ويتشابك بواسطة علاقات عدة بتلاوين من الجناح اليسارى في الماركسية، وهو النوع الذي يجده المرء، مثلاً، في شيوعي المجالس، الذين يستمدون افكارهم من تراث روزا لكسمبرج، والذين مثلهم لاحقاً، بخطاب قوي مؤثر جداً، منظرون ماركسيون مثل انطون بانيكوك.

بعد الحرب العالمية الثانية، شهدت الأناركسية هبوطاً عاماً كبيراً، فقد شهدت بلدان غرب أوروبا قيام دول الرفاه الاجتماعي مع اكتمال مشروع مارشال، واطبق الستار الحديدي على شرقها، وفي الجنوب العالمي غلب نفوذ الاتجاهات الموالية للسوفيت على اشكال الكفاح المناهض للامبريالية.

يقول جروباتشيك، "نضالات الستينات والسبعينات لم تشهد بروزاً جدياً للأناركسية، التي كانت لا تزال محملة بأثقال تاريخها، ولم تستطع التكيف مع اللغة السياسية الجديدة التي لا تبني مفردات قاموسها على صراع الطبقات. ولهذا فأنت تجد نزعات أناركسية في مجموعات شديدة التنوع بدءاً من الجماعات المناهضة للحرب (قضية فيتنام)، والحركة النسوية، والسود الخ، ولكنك لا تجد جماعة منهم في حد ذاتها تصف نفسها ايجابياً بأنها أناركسية".

فمن الواضح أن الجماعات الأناركسية في هذا الوقت كان حالها لا أكثر ولا اقل من تكرار معاد للموجتين السابقتين (الاناركيين النقابيين الثوريون والاناركيين الشيوعيين)، وكانوا جماعات شديدة الانعزالية - فبدلاً من الانخراط مع الأشكال الجديدة من التعبير السياسي للستينات، انغلقت على أنفسهم، وعادة ما اقرؤا موائيق غاية في الجمود على شاكلة الأناركيين الذين يسمون انفسهم بـ "البرنامحيين ذوي التقاليد الماخنوية" (Platformists). لذا، هذا هو الجيل الرابع "الشبح".

بالوصول إلى الزمن الحاضر، نجد جيلين يتعايشا داخل الأناركسية: الاول هم اهل الستينات والسبعينات الذين شكلتهم سياسياً هذه السنوات (والذين كانوا فعلاً إعادة تجسيد للموجة الثانية والثالثة)، والجيل الثاني هم الشباب الأكثر معرفة بقضايا السكان الأصليين والأقليات، ومناصري قضايا المرأة، ودعاة البيئة، وأصحاب التفكير النقدي للثقافات البشرية. الجيل الاول تجده في إتحادات فدرالية أناركسية، مثل الـ IWW (عمال العالم الصناعيون)، والـ IWA (جمعية العمال الاممية)، والـ NEFAC (الفدرالية الشمالية الشرقية للشيوعيين الاناركيين)، وأشباههم. أما الجيل الثاني تجده أكثر بروزاً في شبكات عمل الحركة الاجتماعية الجديدة. ويرى جروباتشيك ان منظمة التحرك الكوكبي للشعوب - Peoples Global Action، تحتل مرتبة "الكيان الرئيسي في تيار الجيل الخامس من الأناركسية".

كوميونة باريس وفكرة الدولة، بقلم ميخائيل باكونين

هذا العمل مثل كل اعماله التي نشرتها، وهي ليست بالكم الكبير، عمل اكتبه بسبب احداث وقعت. انه استمرار طبيعي لعملي الاخير، "رسائل الى رجل فرنسي" (سبتمبر ١٩٧٠)، الذي امتلكت فيه وضوحا بسيطا ولكنه مؤلم حين استشرفت وتنبأت بالمصائب الخبيثة التي تضرب فرنسا الان وكل العالم المتحضر، والتي لن يكون لها علاج سوى الثورة الاجتماعية.

هذه هي الان هو البرهان على ضرورة مثل هذه الثورة. سوف اقوم بمراجعة التطورات التاريخية للمجتمع ومراجعة ما يحدث الان في اوروبا، مراجعة ما يقع امام انظارنا مباشرة. وبذلك كل هؤلاء المتعطشين باخلاص للحقيقة يمكنهم ان يقبلوا بهذه التطورات ويجمعون على النداء علنا بالمبادئ الفلسفية والاهداف العملية التي تشكل جوهر ما نسميه الثورة الاجتماعية.

انا اعرف ان المهمة التي عينتها بنفسى وفرضتها على نفسى ليست بالمهمة البسيطة. ربما يصغفوني بالتهور في حالة اذا ما كانت لي اي دوافع شخصية في الاضطلاع بهذه المهمة. دعني اؤكد لقارئى، اني لا امتلك اي دوافع خفية. لست دارسا ولا فيلسوفا، ولا حتى كاتب محترف. أنا لم اقم بكتابة الكثير خلال حياتي ولم اكتب ابدا سوى دفاعا عن النفس، وفقط عندما تجبرني قناعات شديدة على الكتابة حتى اتغلب على كراهية فطرية داخلي ضد اي نوازع استعراضية.

حسنا، اذا، من انا، وما الذي يدفعني لنشر هذا العمل في هذا الوقت؟ انا باحث يمتلئ حماسا من اجل الحقيقة، وانا عدو مرير للاساطير الشريرة التي يستخدمها النظام القائم - نظام يربح من كل الزيف المفضوح الاجتماعي والاقتصادي والتشريعي والسياسي والميتافيزيقي والديني لكل الازمان - لترويع واستعباد العالم. انا عاشق متعصب للحرية. انا اعتبر ان الحرية هي البيئة الوحيدة التي يمكن ان تحيا فيها الامعية والكرامة والسعادة البشرية وان تتطور فيها. انا لا اعني الحرية الشكلية التي تصرفها لنا الدولة بقدر وتقيدتها باللوائح والقوانين؛ هذه الحرية هي كذبة مستمرة من سنة لسنة ولا تمثل شيئا سوى امتياز للقلة، امتياز يقوم على اساس عبودية البقية الباقية من الناس. ولا انا اعني بها الحرية المخادعة، المتخلفة النرجسية الفردية التي تدعو لها مدرسة جان جاك روسو وكل مدرسة اخرى من مدارس الليبرالية البرجوازية، والتي تعتبر حقوق الجميع، ممثلة في الدولة، حدودا لحقوق كل منا؛ فهي دائما، وبالضرورة تنتهي الى ان تحتزل حقوق الافراد الى صفر. لا، انا اعني الحرية الوحيدة الجديرة بالاسم، الحرية التي تملي ضرورة التنمية الكاملة لكل الطاقات المادية والفكرية والاخلاقية الكامنة في كل واحد منا؛ الحرية التي لا تعرف اي قيود اخرى سوى تلك القيد التي صنعتها قوانين طبيعتنا الخاصة. وبالنسبة، اذا ما تكلمنا بشكل سليم، لا توجد قيود، حيث ان تلك القوانين لا يفرضها علينا اي مشرع من خارجنا، او مشرع من بيننا، او مشرع من فوقنا. تلك القوانين هي قوانين ذاتية، موروثه فينا؛ فهي تؤسس القاعدة نفسها التي يقوم عليها بناء وجودنا ذاته. بدلا من السعي لاختفاء هذه القوانين، يجب ان نرى فيها الشرط الحقيقي والسبب الفعال لحررتنا - تلك هي حرية كل رجل لا يرى في حرية كل رجل اخر حدودا لحرته، ولكنه يراها بوصفها تأكيدا وامتدادا شاسعا لحرته؛ الحرية من خلال التضامن، الحرية في المساواة. اعني الحرية المنتصرة على القوة الوحشية، وما كان دائما تجسيدا لمثل هذه القوة، مبدأ السلطة. اعني الحرية التي سوف تحطم كل المعبودات في السماء وكل المعبودات على الارض فتحيلهم حطاما وركاما متناثرا ومن ثم تبني عالما جديدا للبشرية في التضامن، على انقاض كل الكنائس وكل الدول.

انا محامي شديد الاقتناع يدافع عن المساواة الاقتصادية والاجتماعية لانني اعرف انه، دون تلك المساواة، رفاهية الافراد واخلاقياتهم، وكرامتهم الانسانية، والعدالة والحرية، اضافة الى ازدهار الامم، لن تصل ابدا الى اكثر من كومة من الاكاذيب. ولكن حيث اني اقف من اجل الحرية كشرط اولي للبشرية، انا مؤمن ان المساواة يجب ان تؤسس في العالم بواسطة التنظيم التلقائي للعمال والملكية الجماعية للاصول عن طريق جمعيات المنتجين المنظمة بشكل حر وعن طريق فدراليات الكوميونات التلقائية بشكل متساو، لتحل مكان الدولة الابوية ذات السطوة الاستثنائية.

عند تلك النقطة ينشأ انقسام جوهري بين الاشتراكيين ومعهم انصار الجماعية (collectivists) الثوريين، في جانب، وبين الشيوعيين السلطويين الذين يدعمون سلطة الدولة المطلقة في الجانب الآخر. هدف كل منهما النهائي يتطابق تماما. كلاهما يرغب في خلق نظام اجتماعي جديد يقوم اولا على اساس التنظيم الجماعي للعمل، المفروض لا محالة على كل منهما وعلى الجميع بواسطة القوة الطبيعية للاحداث، وفي ظل شروط مساوية على الجميع، وثانيا، على اساس الملكية الجماعية لادوات الانتاج.

الاختلاف هو فقط ان الشيوعيون يتخيلون انهم يستطيعون بلوغ هدفهم بواسطة تنمية وتنظيم القوة السياسية للطبقات العاملة، واساسا بروليتاريا المدن، بمعاونة الراديكالية البرجوازية. الاشتراكيون الثوريون، من ناحية اخرى، يؤمنون بأنهم يستطيعون النجاح فقط من خلال تنمية وتنظيم القوة الاجتماعية الغير سياسية او المعادية للسياسة للطبقات العاملة في المدينة والريف، ومن ضمنهم الرجال ذوي النيات الطيبة من الطبقات العليا الذين يقطعون الصلة بماضيهم ويرغبون علانية في الانضمام الى الطبقات العاملة الحضرية والريفية ويقبلون ببرنامجهما السياسي كاملا.

هذا الانشقاق يؤدي الى اختلاف في التكتيكات. يعتقد الشيوعيون ان من الضروري تنظيم قوى العمال من اجل الاستيلاء على السلطة السياسية للدولة. الاشتراكيون الثوريون ينتظمون في منظمات بهدف تدمير - او، نظرحا بشكل اكثر ادبا - تصفية الدولة. يدافع الشيوعيون عن مبدأ وممارسات السلطة، بينما يضع الاشتراكيون الثوريون ايمانهم كله في الحرية. كلاهما بشكل متساوي في صالح العلم، الذي يعمل لانهاء الخرافة وليحل محل العقيدة الدينية. الاولون [الشيوعيون] يودون فرض العلم بالقوة؛ والاخرون [الاشتراكيون الثوريون] سوف يحاولون نشر العلم حتى ان الجماعات البشرية، فور ما تقتنع بذلك، سوف تنتظم وتشكل فدراليات بشكل تلقائي، وحر، من اسفل الى اعلى، وبرضاها الخاص، صادقين مع مصالحهم الخاصة، وغير متبعين لخطة موضوعة سلفا مفروضة على "جهلاء"؛ مفروضة على جموع بواسطة قلة من عقول "متفوقة".

يتمسك الاشتراكيون الثوريون بأن هناك قدرا عظيما من الحس السليم والحكمة العملية في الطموحات الفطرية والاحتياجات الحقيقية للجماهير اكثر منها في العبقرية العميقة لكل الدكاترة ومرشدي الانسانية الذين بعد كل هذه الخيبات العديدة، ما زالوا متمسكين بمحاولة ارغام الانسان على ان يكون سعيدا. اكثر من ذلك، يؤمن الاشتراكيون الثوريون ان البشرية قد خضعت طويلا لفكرة ان تكون تحت سيطرة حكومة؛ وان سبب مشاكلها لا يكمن في اي شكل خاص من اشكال الحكومات ولكن مشاكل البشرية تكمن في المبادئ الجوهرية للحكومات وفي وجود الحكومات ذاتها، مهما كان الشكل الذي تتخذه هذه الحكومات.

اخيرا، هناك التناقض المعروف جيدا بين الشيوعية كما تطورت علميا بواسطة المدرسة الالمانية واصبحت مقبولة جزئيا عند الامريكيين والانجليز، وبين البرودونية (Proudhonism)، التي تطورت بشكل عظيم ووصلت في مسيرتها الى استنتاج نهائي بواسطة بروليتاريا البلاد اللاتينية. وقد حاولت الاشتراكية الثورية ان تضرب ضربتها الاولى وتستعرض نفسها عمليا في كومونة باريس.

انا مناصر ومؤيد لكومونة باريس، التي رغم كل سفك الدماء الذي عانت منه على ايدي الرجعية الملكية والكنهوتية، تنمو اكثر ديمومة واكثر قوة في قلوب وعقول البروليتاريا الأوروبية. انا من مؤيديها، وفوق كل شيء، بسبب جسارتها، فقد تشكلت هذه الكومونة بوضوح بوصفها نغما للدولة.

وانه لأمر ذو مغزى بشكل هائل ان هذا التمرد في وجه الدولة قد وقعت احداثه في فرنسا، التي اصبحت وحتى الان ارض المركزية السياسية بلا منازع، ولأنها بكل دقة كانت هي باريس، زعيمة منبع الحضارة الفرنسية العظيمة، التي قامت بمبادرة الكومونة. باريس، التي نحت تاجها جانبا واعلنت هزيمتها الخاصة بشجاعة من اجل ان تعطي الحياة والحرية لفرنسا، ولاوروبا، وللعالم بأكمله؛ باريس التي اعادت تأكيد سلطة زعامتها التاريخية، لتظهر لكل الشعوب المستعبدة (وهل هناك اي جماهير لا تخضع للاستعباد؟) اظهرت لهم الدرب الوحيد للتحرر والسلامة؛ باريس التي انزلت ضربة ماحقة بالتقاليد السياسية للبراديكالية البرجوازية واعطت حجر اساس حقيقي للاشتراكية الثورية ضد رجعي فرنسا واوروبا؛ باريس التي تكفنت في خرائبها، لتمنح كذبة مهابة للرجعية المنتصرة؛ منقذة عبر كارتنتها نفسها، شرف ومستقبل فرنسا، ومبرهنة للبشرية على انه لو كانت الحياة، والامعية والقوة الاخلاقية قد ارتحلت عن الطبقات العليا، فإن هذه القيم كلها قد احتفظت بقوتها وما يوعدون في البروليتاريا! باريس التي افتتحت الحقبة الجديدة للتحرر الاكيد والكامل للجماهير ولتضامنهم الحقيقي عبر حدود الدول؛ باريس التي دمرت النزعة القومية واقامت دين الانسانية على حطام الروح القومية؛ باريس التي اعلنت نفسها انسانية وملحدة، واستبدلت الاوهام المقدسة بالحقائق العظمى للحياة الاجتماعية والايمان بالعلم، مستبدلة الاكاذيب واشكال انعدام المساواة في الاخلاقيات القديمة استبدلتها بمبادئ الحرية، والعدل والمساواة والاخاء، تلك الاسس الخالدة لكل الاخلاقيات الانسانية؛ باريس البطولية، العقلانية والواقعة، اكدت ايمانها القوي بمقادير البشرية عن طريق سقوطها المجيد، وموتها؛ مسلمة عقيدتها، بكل قوتها، الى الاجيال التي سوف تأتي! باريس، الغارقة في دماء انبل اطفالها - انها الانسانية نفسها، المصلوبة بايدي الرجعية الدولية الموحدة في اوربا، في ظل الإلهام المباشر من كل الكنائس المسيحية، وذلك الخبر الاعظم للشعر، البابا. ولكن الثورة الاممية الآتية، المعبرة عن تضامن الشعوب، سوف تكون البعث لباريس.

هذا هو المعنى الحقيقي، وتلك هي النتائج الهائلة والحميدة للشهرين الذين احاطا بحياة وموت كومونة باريس؛ الخالدة في ذكرانا للابد.

استمرت كومبيونة باريس وقتنا قصيرا للغاية، وعرقل تطورها الداخلي الكفاح المميت الذي انخرطت فيه ضد رجعية فرساي من اجل السماح لها على الاقل بأن تصوغ نظريا، برنامجها الاشتراكي، وليس تنفيذه. يجب ان ندرك، ايضا، ان اغلبية اعضاء الكومبيونة لم يكونوا اشتراكيين، اذا ما تكلمنا بشكل صحيح. ولو بدوا انهم كذلك، فذلك يعود الى انهم انجروا في هذا الاتجاه في مجرى الاحداث العنيد، ولطبيعة الاوضاع، ولضروريات الموقف الذي تواجدوا فيه، اكثر منه بسبب قناعاتهم الشخصية. الاشتراكيون كانوا اقلية ضئيلة - كان هناك، على اقصى حد، اربعة عشر الى خمسة عشر من الاشتراكيين؛ البقية كانت يعاقبة. ولكن، دعنا نقولها بوضوح، هناك يعاقبة ويعاقبة. هناك محامون ومذهبيون يعاقبة، مثل السيد غامبيتا؛ اكثرهم ايجابية... مندفعين، مستبدين، نزعتهم الجمهورية التشريعية تتغلب على العقيدة الثورية القديمة وتضعها، لم تترك لهم شيئا من اليقينية سوى تشيعها للوحدة والسلطة، وقد سلموا شعب فرنسا للبروسيين، وفيما بعد سلموه ايضا الى الرجعيين وطني المولد. وهناك يعاقبة ثوريون باستقامة، الابطال، اخر الممثلين المخلصين للعقيدة الديمقراطية لعام ١٧٩٣؛ القادرين على التضحية بكلا من وحدتهم وسلطتهم المسلحة جيدا بدلا من اخضاع ضمايرهم لفجور الرجعية الرخيص. هؤلاء يعاقبة العظام الذين يقودهم بشكل طبيعي دلسكليوز، الروح العظيم والشخصية العظيمة، يرغبون في انتصار الثورة فوق كل شيء اخر؛ وحيث انه لا توجد ثورة دون جماهير، وحيث ان الجماهير في يومنا هذا تكشف عن غريزة تنزع للاشتراكية وتستطيع فقط ان تقوم بثورة اقتصادية واجتماعية، يعاقبة من ذوي العقيدة السليمة، تاركين انفسهم لينصاعوا بشكل متزايد تحت ضغط منطق الحركة الثورية، ينتهون الى ان يصبحوا اشتراكيون رغم ارادتهم.

ذلك بالضبط هو الوضع الذي وجد فيه يعاقبة انفسهم ممن شاركوا في كومبيونة باريس. دلسكليوز، وعديد من الاخرين معه، وقعوا بامضائهم على برامج واعلانات مردودها العام وما وعدت به كان ذا طبيعة اشتراكية بشكل ايجابي. ومع ذلك، ورغم حسن نواياهم وارادتهم الحسنة، كانوا مجرد اشتراكيين اشتراكية املتها عليهم ظروف خارجية اكثر منها قناعات داخلية؛ كان ينقصهم الوقت وحتى الطاقة من اجل التغلب على افكارهم البرجوازية المسبقة المضادة لاشتراكيتهم التي اكتسبوها حديثا وكتبوا العديد منها. يستطيع المرء ان يتفهم ذلك، وقد وقعوا في فخ الصراع الداخلي، لم يستطيعوا ابداء المضي ابعد من عموميات ولم يستطيعوا اتخاذ اي من تلك التدابير الحاسمة التي كانت سوف تقضي على تضامنهم واتصالهم بالعالم البرجوازي للابد.

كان ذلك هو سوء بحث الكومبيونة واولئك الرجال. لقد كابدوا شللا فعليا، واصابوا الكومبيونة بالشلل. الا اننا لا نستطيع لومهم. لا يتحول الرجال بين عشية وضحاها؛ انهم لا يغيرون طبائعهم او عاداتهم بمجرد الارادة. لقد برهنوا على اخلاصهم بترك انفسهم يقتلون في سبيل الكومبيونة. من يجروء على طلب المزيد منهم؟

لا يمكن اعتبارهم موضعا للوم اكثر من اهل باريس، الذين عمل هؤلاء يعاقبة وتداولوا الافكار تحت تأثيرهم. الناس كانوا اشتراكيين بالغريزة اكثر من كونهم اشتراكيين بالفكرة. كل طموحاتهم هي طموحات اشتراكية من اعلى درجة ولكن افكارهم، او بالاحرى طرق تعبيرهم التقليدية، لم تكن كذلك. بروليتاريا المدن الكبرى في فرنسا، وحتى في باريس نفسها، ما زالت تتعلق بكثير من الافكار المسبقة الخطأ عند يعاقبة، والتي تتعلق بمفاهيم عديدة سلطوية واستبدادية. عبادة السلطة - النتيجة المميتة للتعليم الديني، ذلك المنبع التاريخي لكل الشرور، والحرمان، والعبودية - لم يتم استئصالها بعد من داخلهم. وهذا صحيح جدا لدرجة ان حتى الاطفال الناهبين للشعب، الاشتراكيون الاكثر ايمانا، لم يحرروا انفسهم بالكامل من هذه الافكار. لو سبرت اغوار عقولهم قليلا، سوف تجد واحدا من يعاقبة، يدافع عن فكرة الحكومة، قابعا في ركن مظلم، متواضعا ولكنه لم يمت تماما بعد.

وايضا، المجموعة الصغيرة من الاشتراكيين المؤمنين بالاشتراكية من الذين شاركوا في الكومبيونة وجدوا انفسهم في وضع صعب جدا. ففي الوقت الذي يشعرون فيه بنقص التأييد بين الجماهير العظيمة من اهل باريس لهم، وبينما تلتف بالكاد حفنة من عدة الاف قليلة من الاشخاص حول منظمة الجمعية الاممية للعمال [الاممية الاولى]، وهي نفسها جمعية تعاني من العيوب، كان على هؤلاء الاشتراكيين المؤمنين بالاشتراكية الاستمرار في نضال يومي ضد الاغلبية العنقوبية. وفي غمار هذا الصراع، كان عليهم إطعام عدة الاف من العمال وایجاد عمل لهم، وتنظيمهم وتسليحهم، والتبقيظ والحذر الحاد لتحركات الرجعيين. كل ذلك في مدينة هائلة كباريس، محاصرة، وتواجه خطر المجاعة، وفريسة لكل المكائد والمؤامرات المستترة للرجعية، التي تدبرت تأسيس مراكزها في فرساي بإذن وفضل البروسيين. كان عليهم كاشتراكيين اقامة حكومة ثورية وجيش ثوري ضد حكومة وجيش فرساي؛ من اجل قتال الرجعية الملكية والكهنوتية اضطر الاشتراكيون لتنظيم انفسهم بأسلوب يعاقبة، وتناسوا او ضحوا بأول شروط الاشتراكية الثورية.

في حالة الاضطراب والتشوش هذه، كان من الطبيعي ان يعاقبة، القسم الاقوى، الذي يشكل الاغلبية في الكوميونة، والمالك ايضا لغريزة سياسية عالية التطور، والمالك لتقاليد وخبرة التنظيم الحكومي، كان لابد وان يكونوا هم اصحاب اليد العليا على الاشتراكيين. وانه لامر مدهش انهم لم يضغظوا بمميزاتهم تلك اكثر مما فعلوا فعلا؛ فهم لم يصبغوا انتفاضة باريس بصبغة يعقوبية خالصة؛ بل انهم على العكس تركوا انفسهم لتحملهم موجة الثورة الاجتماعية في تيارها.

انا اعرف ان اشتراكيين عديدين، تتمتع نظريتهم الاشتراكية بمنطق قوي جدا، يلومون اصدقاءنا الباريسيين على عدم التصرف بشكل كاف كاشتراكيين في ممارستهم الثورية. من ناحية اخرى، ألوان النواح الذي تصرخ به الصحافة البرجوازية، يتهمهم بأنهم اخلصوا لبرنامجهم الاشتراكي زيادة عن اللازم. دعنا ننسى للحظة الوشاية الغير شريفة التي تذييعها هذه الصحافة. اريد ان ادعو انتباه اكثر المنظرين لتحرير البروليتاريا تشددا الى حقيقة انهم لا يتصفون بالعدل في حكمهم على اخوتنا في باريس، لانه بين اكثر النظريات صحة وبين تطبيقها العملي تقع مسافة هائلة لا يمكن عبورها في ايام قلائل. من اسعده الحظ بالتعرف الى فارلان، مثلا (لنحدد اسم رجل واحد فقط من المؤكد انه مات)، يعرف انه واصدقائه عملوا تحت توجيه وهدى من القنوات الاشتراكية العميقة والمخلصة ذات البناء الفكري المتين. هؤلاء كانوا رجالا سعيهم الحثيث واخلاصهم وعقيدتهم السليمة ليست محل تساؤل ابدا من قبل من عرفهم. ومع ذلك، وبالضبط لانهم كانوا رجال ذوي عقيدة سليمة، كان يملأهم شك داخلي في وجه المهمة الهائلة الذين كرسوا عقولهم وارواحهم لها؛ كانوا يتواضعون بانفسهم كثيرا جدا! وكانوا مقتنعين انه في الثورة الاجتماعية، والتي هي النقيض على طول الخط للثورة السياسية في هذا السبيل كما في السبل الاخرى، العمل الفردي يكاد يكون لا شيء، بينما الاعمال التلقائية للجماهير يجب ان تكون كل شيء. كل ما يستطيع اولئك الافراد صنعه هو صياغة الافكار وتوضيحها ونشرها، الافكار التي تعبر عن رغبات الشعب الفطرية، ويساهمون بمجهودهم الدائمة في التنظيم الثوري لقوى الجماهير الطبيعية. هذا وليس اكثر من ذلك؛ كل الباقي يمكن انجازها فقط بواسطة الجماهير نفسها. ولو مضت الامور على نحو غير ذلك سوف ينتهي الامر بنا الى ديكتاتورية سياسية - اعادة تأسيس الدولة، بكل امتيازاتها، وبكل مظالمها وصور عدم المساواة؛ عبر اتخاذنا لطريق خادع ولكن حتمي سوف نصل الى تأسيس عبودية للجماهير اقتصادية وسياسية واجتماعية .

فارلان وكل اصدقاءه، مثل كل الاشتراكيين المخلصين، وعموما مثل كل العمال الذين ولدوا وترعرعوا وسط الشعب، يشتركون في هذا الشعور المشروع تماما بالخطر من الحركة المستمرة لجماعة واحدة من الافراد لا تمثل سوى نفسها وضد الهيمنة التي تمارسها الشخصيات النجوم. وحيث انهم رجال عدل وذوي رأي منصف فوق كل شيء اخر، فهم يستخدمون هذه البصيرة، هذا الارتياح ضد انفسهم بنفس القدر الذي يستخدمونه ضد الاشخاص الاخرين.

وعلى عكس ما يؤمن به الشيوعيون السلطويون - الذي اعتبره خطأ تماما - بأن ثورة اجتماعية يجب ان تصدر عن اما ديكتاتورية او جمعية تأسيسية تنشأ من ثورة سياسية ويتم تنظيمها بواسطة ايها، اصدقاءنا، الاشتراكيون الباريسيون، آمنوا ان الثورة لا يمكن صنعها او الوصول بها الى تطورها الكامل بأي وسيلة اخرى سوى العمل العفوي والمستمر للجماهير، جماعات ومؤسسات الشعب.

اصدقائنا الباريسيون كانوا على حق الف مرة. في الواقع، اين هو العقل، الرائع كما يبدو، او - لو تكلمنا عن الديكتاتورية الجماعية، ولو انها حتى تتشكل من عدة مئات من الشخصيات الموهوبة بعقليات عبقرية متفوقة - او اين هي الملكات الفكرية القوية بما يكفي لاحتضان التنوع والتعددية التي لا حصر لها للمصالح والطموحات والرغبات والاحتياجات الحقيقية التي تشكل مجموع الارادة الجماعية للشعب؟ كيف يمكن اختراع منظمة اجتماعية لا تمثل رحما حاضنا لفرض التمييز بالقوة الذي يعتمد عليه العنف الدولة في اجبار شعب تعيس على ان يسترخي بشكل او بآخر؟ واثما ما كانت الامور تسير هكذا، وهو بالضبط النظام القديم للتنظيم بالاجبار، حيث يجب ان تنتهي الثورة الاجتماعية بتفويض الحرية الكاملة للجماهير، والجماعات، والمجتمعات المحلية، والجمعيات وللأفراد ايضا؛ بواسطة تدمير السبب التاريخي لكل اشكال العنف مرة واحدة ولابد، وهي السلطة وفعليا وجود الدولة في حد ذاته. سقوط الدولة سوف يهدم معه كل انواع اجحاف القانون وكل اكاذيب الاديان المتنوعة، وحيث ان كلا من القانون والدين لا يحتويان، على المستوى الفكري وفي الواقع العملي، على اي شئ سوى القداسة الارغامية لكل اشكال العنف الذي تمثله الدولة وتؤمنه وتحميه.

من الواضح ان الحرية لن تمنح للبشرية، فالمصالح الحقيقية للمجتمع، ولكل الجماعات، والجمعيات المحلية، والافراد الذين يتشكل منهم المجتمع، لن توف طالما هناك اي نوع من الدول. من الواضح ان ما يسمى المصالح العامة للمجتمع، التي من المفترض ان الدولة تمثلها والتي هي في الحقيقة الواقعية مجرد نفي دائم وعمومي للمصالح الحقيقية للاقاليم والمجتمعات المحلية والجمعيات والافراد رعايا الدولة، ما يسمى المصالح العامة للمجتمع هو مجرد تجريد، وخيال، وكذبة. الدولة مثلها مثل مجزر كبير او مدافن هائلة، تدخله كل الطموحات الحقيقية، وكل القوى الحية في بلد ما تدخلها بسعادة وكرم، وفي ظل هذا التجريد، يستسلمون هناك للذبح

ثم الدفن. وبالضبط حيث انه لا يوجد تجريد لذاته او بذاته، دون ارجل يقف عليها، ولا اذرع يبدع بها، ولا معدة يهضم بها جموع الضحايا المقدمة له، وهو بالمثل امر واضح ان التجريد الديني او السماوي، الرب، يمثل فعليا المصالح الحقيقية نفسها لطبقة، ولرجال دين، بينما شقيقه الارضي، ذلك التجريد السياسي، الدولة، التي لا تقل تمثيلا عن المصالح الحقيقية للطبقة التي تمارس الاستغلال والتي تميل لابتلاع مصالح كل الآخرين - طبقة البرجوازية. وبينما اتصف رجال الدين دائما بالانقسامية، وهم هذه الايام يميلون لفصل الرجال حتى بدرجة اكبر عن بعضهم البعض الى اقلية ذات نفوذ قوي جدا وثرية ثراء فاحشا واغلبية تعيش وبالاخرى اكثر بؤسا، وهكذا على نفس المنوال البرجوازية، بتنظيماتها الاجتماعية والسياسية في الصناعة، والزراعة، والاعمال البنكية، والتجارة، اضافة الى كل وظائف الدولة العسكرية والشرطية والتعليمية والقضائية والمالية والادارية تميل بشكل متزايد الى ضم كل تلك الوظائف في طغمة حاكمة مهيمنة بشكل حقيقي من ناحية، ومن الناحية الاخرى جماهير هائلة تتكون بشكل او باخر من مخلوقات لا حول لها ولا قوة، لمخلوقات مخدوعة تعيش في وهم خال، مدفوعة باضطراد وحتم الى وضع طبقة البروليتاريا نتيجة لقوة لا تقاوم من التطورات الاقتصادية الحالية، ويختزل دورها الى مجرد خدم بوصفهم أدوات عمياء لهذه الطغمة الحاكمة كلية القوة.

يجب ان يكون الغاء الكنيسة والدولة الشرط الاول الذي لا يمكن الاستغناء عنه من اجل منح المجتمع صوتا حقيقيا يستطيع بل ويجب عليه ان يعيد به تنظيم نفسه؛ وليس من اعلى الى اسفل طبقا لخطة مثالية يطبخها رجل حكيم او عالم من العلماء، ولا عبر قرارات رسمية تصوغها بعض اشكال السلطة الديكتاتورية او حتى بواسطة جمعية وطنية منتخبة بالاقتراع العام المباشر. مثل هذا النظام، كما قلت تواء، سوف يقود لا محالة الى خلق دولة جديدة، وبالنتيجة، الى تشكيل ارسوقراطية حاكمة، بمعنى، طبقة كاملة من الاشخاص لا تربطهم بالجماهير اي علاقة مشتركة. وطبعاً، هذه الطبقة سوف تستغل الجماهير وتخضعها، تحت مسوغات انها تخدم الرفاهية المشتركة للوطن او تنقذ الدولة.

التنظيم الاجتماعي في المستقبل يجب ان يشيد من القاع الى القمة، بواسطة الجمعيات او الفدراليات الحرة للعمال، بادئا بالجمعيات، ثم يسري الى الكوميونات، وإلى المناطق والامم واخيرا يصعد الى قمة في امية عظمى وفدرالية كونية. ساعتها فقط سوف يتحقق في الدنيا النظام الاجتماعي للحرية الحقيقي المانح للحياة والرفاه العام، نظام اجتماعي، سوف يؤكد مصالح الافراد والمجتمع وسوف يتصالح معها وسوف يكون ابعد من ان يشكل قيادا عليها.

يقال ان الانسجام والتضامن الشامل بين الافراد والمجتمع لا يمكن ان نصل اليه في الواقع العملي ابدأ لان مصالحيهما [الافراد والمجتمع]، كونها متناقضة، لا يمكن التواءهما ابدأ. ردي على هذا الاعتراض هو لو ان هذه المصالح لم تأت الى توافق متبادل ابدأ، فذلك يعود الى ان الدولة قد وضعت بمصالح الاغلبية لصالح وفائدة الاقلية صاحبة الامتيازات. هذا هو سبب ذلك التناقض الشهير، هذا الصدام بين المصالح الشخصية وبين مصالح المجتمع تلك، ليس سوى تزوير، ليس سوى كذبة سياسية، خرجت من رحم كذبة كهنوتية اخترعت مذهب الخطيئة الاصلية من اجل تلوين شرف الانسان وتدمير احترامه لذاته. نفس الفكرة الزائفة المتعلقة بالمصالح المتعارضة الغير قابلة للتصالح صنعتها ايضا احلام ميتافيزيقية، هي كما نعرف لصيقة النسب بالفكر الديني الكهنوتي. الافكار الميتافيزيقية، التي فشلت في ادراك الشخصية الاجتماعية للطبيعة الانسانية، تنظر للمجتمع بوصفه تجمعات افراد اصطناعية تماما وميكانيكية، التقوا معا فجأة باسم بعض صور شكلية او سرية إما بطريقة حرة او تحت تأثير سلطة عليا. قبل التوحد في مجتمع، هؤلاء الافراد، نتيجة لمنحة من نوع ما من انواع الروح الخالدة التي لا تموت، تمتعوا بحرية كاملة، طبقا لاقوال الميتافيزيقيين. نحمل اقتناعا ان كل ثروة الانسان من التطورات الذهنية، والاخلاقية والمادية، اضافة الى استقلاله الظاهر، هو نتاج حياته في مجتمع. خارج المجتمع، لن يفقد الانسان فقط كونه رجلا حراً، بل انه حتى لن يصبح انسانا متفرداً، كونه واعياً بذاته، الكائن الوحيد الذي يعقل ويتكلم. فقط مزيج من الذكاء مع العمل الجماعي استطاع اجبار الانسان على الخروج من حالة البربرية والوحشية تلك التي شكلت طبيعته الاصلية، او بالاحرى نقطة انطلاق تطورات المضطردة. نحن مقتنعون بعمق من ان كامل حياة الرجال - مصالحهم، وميولهم، واحتياجاتهم، واوهامهم، وحتى غباواتهم، اضافة الى قليل من عنفهم، وظلمهم، وفيما يبدو انه نشاطهم الطوعي - يمثل ببساطة نتيجة قوى مجتمعية حتمية. لا تستطيع الشعوب رفض فكرة الاستقلال المتبادل، ولا تستطيع انكار التأثيرات العكسية المتبادلة والتنميط الذي يعرض مظاهر الطبيعة الخارجية.

في الطبيعة نفسها، هذا الترابط والاعتماد المتبادل المبرر للظاهرة لم يحدث بالتأكيد دون كفاح. على العكس، انسجام قوى الطبيعة يظهر فقط كنتيجة للصراع المستمر، الشرط الحقيقي للحياة والحركة. في الطبيعة، كما في المجتمع، النظام دون كفاح هو الموت.

لو ان النظام هو طبيعي وممكن في الكون، فذلك يعود فقط الى ان الكون لا يحكم طبقا لبعض النظم المتخيلة بشكل مسبق والتي تفرضها ارادة عليا. الفرضية الكهنوتية للتشريع السامي تقود الى عبث واضح، الى نفي ليس فقط لكل النسق ولكن للفرضية نفسها. القوانين الطبيعية تصبح حقيقية فقط في حالة كونها مكون موروث داخلي في الطبيعة؛ بمعنى، انها لا تقوم بناء على اي سلطة. تلك القوانين ليست الا مظاهر بسيطة، او بالاحرى متغيرات مستمرة، للانماط التي تشكل ما نسميه 'الطبيعة'. الذكاء الانساني وعلومه قد لاحظت تلك القوانين، واختبرتها باجراء التجارب العلمية، وقامت بتجميعها في نظام واطلقت عليها اسم قوانين. ولكن الطبيعة في حد ذاتها لا تعرف قوانينا. انها تنصرف بشكل غير واعٍ؛ انها تمثل في نفسها تنوعا لا ينتهي للظواهر التي تظهر وتكرر نفسها حتميا. هذه الحتمية للحركة هي السبب وراء امكانية وجود النظام الكوني.

مثل هذا النظام يظهر ايضا في المجتمع الانساني، والذي يبدو انه ارتقى وتطور فيما يزعم بطريقة مناهضة للطبيعة ولكن تطوره فعليا حددته احتياجات الحيوان الطبيعي وطاقته على التفكير الذي ساهم بدوره كعنصر خاص في تطوره - كعنصر هو بالكامل من عناصر الطبيعة، نفلا، بمعنى ان الرجل، مثل كل شيء موجود، يمثل انتاجا ماديا لاتحاد قوى الطبيعة وعملها. هذا العنصر الخاص هو العقل، القدرة على التعميم والتجريد، الذي بفضلها يستطيع الرجل ان يسبح في افكاره، ويتفحص ويلاحظ نفسه بوصفه شيء خالد غريب. عندما يرتفع الانسان في فكره فوق نفسه، وفوق العالم حوله، فإنه يصل الى تشخيص للتجريد التام والفرغ المطلق. وهذا المطلق ليس شيئا اقل من قدرته على التجريد، والذي يزدري كل ما هو موجود ويكتشف راحته في بلوغ مرتبة النفي الكامل. هذا هو الحد الاعلى للتجريد الاعلى للعقل؛ هذا اللاشيء المطلق هو الإله.

هذا هو معنى والمنبع التاريخي لكل مذهب لاهوتي. وكما انهم لم يفهموا طبيعة الاسباب المادية لتفكيرهم الخاص، ولم يمسكوا حتى بالشروط او القوانين الطبيعية التي تحدد مثل هذا التفكير، هؤلاء الرجال الاولون والمجتمعات الاولى لم يكن لديهم ادنى شك في ان افكارهم المطلقة كانت ببساطة نتيجة قدرتهم الخاصة على صياغة الافكار المجردة. ومن هنا ارتأوا تلك الافكار، وسحبوها من الطبيعة، كاشياء حقيقية، توقفت الطبيعة ذاتها بعد ذلك عن الاتيان بأي شيء. بدأوا عبادة افكارهم الخيالية، وافكارهم الموهومة عن المطلق، وبدأوا في تكريم هذه الافكار. ولكن حيث انهم شعروا بالحاجة الى اعطاء بعض الاشكال الملموسة للفكرة المجردة عن اللاشيء او الاله، خلق هؤلاء الناس مفهوم القداسة وبالمزيد اسبقوا عليه كل الصفات التي تشكل سلطات، الشر والخير، والذي يجدونه فقط في الطبيعة وفي المجتمع. هذا هو منشأ كل الاديان وتطورها التاريخي، من عبادة الاوثان الى المسيحية هبوطا.

نحن لا ننوي عمل دراسة عن تاريخ السخافات الدينية واللاهوتية والميتافيزيقية او مناقشة عملية مسار كل التجسيدات المقدسة والرؤى المقدسة التي خلقتها قرون البربرية السابقة. نحن نعرف كلنا ان الخرافة والاسطورة جلبت الكوارث وسببت تفجر انهيار الدم والدموع. كل هذه التشوهات المتمردة للبشرية الفقيرة كانت مراحل تاريخية وحتمية في النمو الطبيعي والارتقاء الاجتماعي للمنظمات. مثل هذه التشوهات ولدت فكرة قاتلة، هيمنت على خيال البشر، بأن الكون محكوم بواسطة قوة واردة فوق طبيعية. جاءت قرون ومضت، ونمت مجتمعات وتعودت على هذه الفكرة الى مثل هذا الحد الذي دمروا به في الاخير اي تحريض او قدرة نحو تحقيق مزيد من التطور الذي نشأ في اوساطهم.

انهم للسيطرة عند بعض الافراد اصلا، وعند العديد من الطبقات الاجتماعية فيما بعد، اسس العبودية والغزو كمبدأ مهيم، وزرع هذه الفكرة الرهيبة عن القداسة في قلب المجتمع. بعد ذلك، لم يعد يرى احد في اي مجتمع مجتمعا صالحا دون وجود هاتين المؤسستين، الكنيسة والدولة، كقاعدة له. هذان السوطان يدافع عنهما كل الدعاة الاعتذاريين المذهبيين التابعين لهما.

فور ظهور هاتين المؤسستين في العالم، فجأة نظمت طبقتان حاکمتان - الكهنة والارستقراطية - انفسهما ولم تضيعا وقتا من اجل مذهب الشعوب المستعبدة بفكرة قداسة الكنيسة والدولة وعدم القدرة عن الاستغناء عنهما والجدوى الحجة من استخدامهما.

زيارتي للكرملين بقلم نستور ماخنو

مقدمة المترجم

زار الاناركي الاوكراني الفلاح نستور ماخنو موسكو في يونيو ١٩١٨ وقام بعقد لقاءات مكثفة مع الزعيمين البلشفيين سفردلوف ولينين. بعد ذلك بسنوات عدة، كتب ماخنو، في منفاه بفرنسا، مذكراته عن السنتين الصاخبتين ١٩١٧ ١٩١٨. "زيارتي للكرملين" هي ترجمة لفصلين يعرضان لقاءات ماخنو مع العمالقة البلاشفة. هناك مقتطفات عدة عن هذه اللقاءات في اعمال شتي بالانجليزية ولكن الرواية الكاملة لهذه اللقاءات تظهر هنا لأول مرة (١٩٧٩).

موسكو في يونيو ١٩١٨

تمتع نظام حكم البلاشفة في يونيو ١٩١٨ بفترة استرخاء قصيرة بعد التقلصات العنيفة للثورة والحرب الاهلية. لم يكن البلاشفة في اوضاع خطر عسكري مباشر، رغم حصار القوات المعادية لهم من كل الجوانب. عنق الزجاجة اللطيف هذا، الذي استمر من معاهدة بريست ليتوفسك (مارس ١٩١٨) الى انهيار قوات المحور في اخر السنة، سمح للبولشفيك بتماسك وتمتين قوتهم السياسية والعسكرية.

من وجهة نظر الاناركيين الروس، مثلت معاهدة بريست ليتوفسك مصدرا للثورة. دفع البلاشفة، باتفاقهم مع قوات المحور، ثمنا فادحا تمثل في تنازل عن اراض وعن ثروات طبيعية. الا انه، بل والاكثر اهمية، فضل البلاشفة صنع حلف مع الامبرياليين على ان يحاولوا نشر الثورة من خلال المبادرات الشعبية، وخصوصا، حروب الانصار.

بعد صلح بريست ليتوفسك (مع الالمان) بوقت قصير انقلب البلاشفة ضد حلفائهم اللدودين، الاشتراكيون الثوريون اليساريون والاناركيين. جهاز التشيكا، الذي كان السبب الظاهري وراء انشاءه هو قمع قوى الثورة المضادة، اطلقوه على منتقدي البلاشفة من ارضية يسارية. الذريعة المباشرة لقمع اناركيي موسكو نشأت عندما اشتكى ممثل الحكومة الامريكية من سرقة سيارته واتهم الاناركيين. (طبقا لممثل الحكومة البريطانية، بروس لوكهارت، لقد كانت سيارة تروتسكي هي السيارة التي سرت). في ليلة الحادي عشر من ابريل، اغارت التشيكا على ٢٦ مركزا اناركيا. اكبر تلك المراكز، بيت الاناركية في شارع مالايا ديميتروفكا (مقر الغرفة التجارية سابقا) حيث كان مسرحا لاشرس المعارك. قتل في المعركة عشرات من الاناركيين ورجال التشيكا وقبض على المئات اثناء الاهوال التي دامت طوال الليل. تكررت هذه المعركة التي لا مثيل لها في عدة مدن روسية اخرى.

القمع الرسمي للاناركيين لم يمر دون مضاعفات داخل صفوف الحزب الشيوعي نفسه. لوقت بعد صلح برست ليتوفسك، مجموعة داخل المستوى القيادي الاعلى للبلاشفة وبلاشتراك مع بوخارين تدبروا امر صنع مؤامرة انقلابية ضد لينين، من اجل ايقاف الانزلاق السريع للثورة نحو اليمين. ولكن سرعان ما ارتد هؤلاء المنشقون الى موقف الطاعة والتأييد غير النقدي للنظام.

اوكرانيا في ١٩١٨

في الوقت الذي تبددت فيه الثورة نفسها توا في روسيا، لم تكن الثورة في اوكرانيا قد بدأت بعد. كانت اوكرانيا بشكل غالب منطقة فلاحية: في ١٩١٨ فقط ١٪ من السكان كان من الممكن تصنيفهم عمال صناعيين وتركزوا في قليل من المراكز في شرق وجنوب البلاد. استجاب الفلاحون في اوكرانيا ببطء للاطاحة بسلطة القيصر والفراغ السياسي الناجم عن ذلك. ولكن الثورة اكتسبت تدريجيا حيوية وقوة دفع، حتى اصبحت حركة شاملة بمقاييس يقل نظيرها في تاريخ الهبات الشعبية.

بعد ثورة فبراير ١٩١٧، تولت الحكم في كييف حكومة قومية ضعيفة، الرادا المركزية. هذه الحكومة فشلت في الحصول على اعتراف بشرعيتها سواء من الحكومة المؤقتة في بتروجراد او النظام البلشفي الذي خلفها. في اوائل عام ١٩١٨ قام الجيش البلشفي تحت قيادة الجنرال انطونوف بغزو اوكرانيا. لم تستطع الرادا المركزية حشد التأييد الشعبي لصد القوات الغازية، التي تكونت تقريبا من جنود كلهم غير اوكرانيين. بعد ان احتل الغزاة كييف في اوائل فبراير، وقعت الرادا المركزية معاهدة سلام مع قوى المحور وسعت الى الحصول على عون عسكري في مواجهة البلاشفة. عندئذ دخلت القوات الالمانية والنمساوية اوكرانيا، وطهرتها من القوات الروسية وجماعات الانصار الاخرى على اختلاف توجهاتها بنهاية ابريل. قوات المحور، فور احتلالهم اوكرانيا، شرعت في نهب البلاد من كل مؤنها

الغذائية والمواد الخام الاخرى التي يستطيعون الوصول اليها. قوات الاحتلال هذه، وقد اكتشفت ان الرادا المركزية هي غصة في الحلق اكثر منها عونا في هذا المشروع، دبرت انقلابا بواسطة بافل سكوروبادسكي احد ملاك الاراضي الارستقراطيين في ٢٩ ابريل. اعلن سكوروبادسكي نفسه "هيتمان" لكل اوكرانيا. جسد استيلاء الهيتمانات على السلطة عودة الى الرجعية الاقطاعية التامة بازياءها الفضفاضة الفخمة واحتفالاتها التاريخية الدينية. اضطرت العناصر الثورية في الريف الى العمل تحت الارض او في المنفى.

ماخنو

كان نستور ماخنو في السابعة والعشرين من العمر عندما زار العاصمة الروسية في ١٩١٨. امضى ماخنو ثلث حياته خلف القضبان، ومنهم سبعة سنوات في سجن بوتيريكي بموسكو. ماخنو، وقد قبض عليه عام ١٩٠٨ بسبب نشاطاته الاناركية في منطقة قريته التي ولد فيها جويلاي-بولاي، صدر ضده حكم بالاشغال الشاقة مدى الحياة. عاد ماخنو، وقد حررته ثورة فبراير، الى قريته. كان ماخنو هو الباقي الوحيد من المجموعة الثورية التي سحقها القيصر منذ عقد مضي. القى ماخنو بنفسه فوراً في تنظيم النقابات، والكيمونات، والسوفيتات - وكان من النادر ان تجد امتداد لسلطة الرادا المركزية في المناطق الاوكرانية التي نشط فيها ماخنو؛ وقد شرعت جماعات الفلاحين المحلية في نزع ملكية اراضي النبلاء بمبادراتهم الخاصة. عندما قام البلاشفة بغزو اوكرانيا للمرة الاولى في يناير ١٩١٨، ساعدهم ماخنو وجماعته من الانصار الاناركيين بطردهم لقوات الرادا المركزية الضعيفة من الضفة اليسرى لنهر الاكريلن (شرق نهر الدينير). بعدها بثلاثة اشهر، عندما اضطر البلاشفة للتراجع والخروج من الاطراف الشرقية لاورانيا نتيجة ضغط قوات التحالف النمساوي الالماني وقوات الرادا المركزية، تراجع معهم انصار ماخنو والعصابات الاناركية الاخرى. بنهاية ابريل عقد مؤتمر للاناركيين الاوكرانيين في البلدة الساحلية تاجانروج، التي كانت تحت السيطرة البلشفية بشكل مؤقت. قرر المؤتمر سياسات تنظيم حركة سرية في القرى الاوكرانية. فوض المؤتمر ماخنو للقيام برحلة الى موسكو لمدة شهرين للاتصال بالمجموعات الاناركية الاخرى ولتحديد اتجاهات البلاشفة نحو الانشطة الاناركية في اوكرانيا. شق ماخنو طريقه ببطء عبر مراعي روسيا السوفيتية الفتية، وقد فلت من الهلاك باعجوبة عديد من المرات. عقد ماخنو، وقد وصل الى موسكو مع بداية يونيو، لقاءات مع اناركيين قياديين اضافة الى ممثلين لفصائل سياسية اخرى. كان اليسار المعادي للبلاشفة يمثل وجودا هشاً في الحياة السياسية هناك، لا تزال السلطات تتحمله، ولكنه محروم من حرية الحركة. ماخنو، وقد جاء من منطقة لا يزال النشاط الثوري فيها صاعداً وإن لم يسقط النظام الاجتماعي القديم فيها بعد، نفذ صبره من الركود والانهازمية التي صادفها في موسكو. في مذكراته كتب ماخنو يسب "الثورة الورقية" للمتقنين الروس في مقابل الحركة الاناركية الناهضة التي كان يتوقع صعودها في اوكرانيا.

لينين وسفردولوف

كان غرض ماخنو الظاهري من زيارة الكرملين هو تقديم طلب للحصول على بطاقة لغرفة خالية. ولكن من المؤكد انه كان يأمل في التعرف السليم من القادة البلاشفة على اتجاهاتهم نحو الثورة الفلاحية في اوكرانيا. نجح ماخنو في ذلك نجاحا باهرا. في يونيو ١٩١٨ كانت الحكومة البلشفية لا تزال تتمتع بمرونة كافية ولا تتمسك بالرسميات لدرجة ان "فلاح نصف متعلم" (كما كان ماخنو يصف نفسه) يمكنه التجول عبر اروقة السلطة ويتقابل وجها لوجه مع اشد زعمائها سطوة. بعد لقاء عابر مع بوخارين، تكلم ماخنو بعد ذلك مع سكرتير سفردولوف، ثم مع سفردولوف نفسه، الذي قدمه فيما بعد الى لينين. كان القادة البلاشفة بشكل عام من الشباب، ولم يكن عمرهم اكبر كثيرا من سن ماخنو، رغم تاريخهم الطويل في تجارب الحركة الثورية. كان عمر بوخارين ٣٠، وسفردولوف ٣٣ حين قابلهما ماخنو. كان عمر لينين وقتها ٤٨ سنة، وكان مساعدوه يشيرون اليه منذ زمن طويل باسم "الرجل العجوز". عند لحظة معينة في ١٩١٨ صرح لينين بملاحظة الى تروتسكي، "هل لو قتلنا على ايدي الجنرالات البيض، انت وانا، هل تعتقد ان بوخارين وسفردولوف سوف يستطيعان ادارة الامور؟" وهذا يشير الى ان ماخنو استطاع مقابلة ثلاث من الاربعة قيادات بلشفية الجبابة (بدا ان تروتسكي كان في موسكو حينذاك ولكنه كان مشغولا تماما في تنظيم الجيش الاحمر).

قليلاً ما يتذكر الناس ياكوف سفردولوف هذه الايام بسبب موته المبكر في مارس ١٩١٩، ضحية لوباء الانفلونزا الذي اجتاح العالم. ولكن في ١٩١٨، بوصفه رئيساً للجنة المركزية التنفيذية لسوفيات عموم روسيا فقد كان سفردولوف من الناحية الفنية رئيساً للدولة السوفيتية. وما هو اكثر مغزى من الناحية العملية، كان سفردولوف ايضا السكرتير العام بحكم الامر الواقع للحزب الشيوعي الروسي، وهو المنصب الذي اصبح اكثر شهرة حين شغله فعليا جوزيف ستالين، خلفا لسفردولوف.

المؤهلات التي حملها سفردلوف لهذه المناصب المرموقة هي السنوات العديدة التي قضاها في خدمة العمل السري البلشفي وخضوعه المطلق للقائد لينين. سفردلوف، على غير متوال زملائه في سدة السلطة العليا بالحزب، لم يمتلك شهرة كمنظر. فعليا، وطبقا لمخطوط سيرة ذاتية كتبه زعيم بلشفي اخر، سفردلوف "لم يمتلك افكار... لم يخرج منه ابدا شيئا اصيلا". ولكن سفردلوف كان مرموقا بالاحرى لمواهبه التنظيمية ومعرفته الموسوعية بالحزب. نتيجة لقدراته البارعة كسكرتير للحزب، كانوا يستدعون سفردلوف دائما لاعطاء احكام سريعة عن شخصية من سيتولى منصبا معيناً من اعضاء الحزب. من المفترض انها موهبته في التقاط قدر الناس هي السبب الذي جعله يمنح هذا الوقت الطويل لمحرر فلاح غامض ويضعه امام لينين.

رواية ماخنو: اللقاءات الاولى

وصلت الى بوابات الكرملين عازما على رؤية لينين، واذا كان ممكنا، سفردلوف، وان اجري محادثات معها. كان هناك جنديا يجلس خلف باب صغير. سلمته تصريحاً باسبي صادر عن سوفيت موسكو. بعد ان قرأه بعناية، اصدر لي اذنا بالمرور، وارفقه بالتصريح، ومررت عبر الباب الى داخل الكرملين. في الداخل كان احد جنود حملة البنادق اللاتفيين يروح جيئةً وذهاباً. درت حوله وبدأت الدخول الى الميدان الرئيسي عندما وجدت نفسي وجها لوجه مع حارس اخر. سألته ان يدلني على المبنى الذي من المفترض ان اتوجه اليه. بداية من هذه اللحظة، اصبحت حراً في ان اتجول، وفي ان اقف للفرجة على المدافع والدانات المتنوعة التي يعود زمانها الى ايام بطرس الاكبر، وان اتوقف امام جرس القيصر العظيم والعجائب الاخرى المشهورة بالكرملين، او حراً في ان اذهب مباشرة الى داخل احد القصور. دلفت يساراً وابتلعتني احد تلك القصور (نسيت اسمه) وقفزت على درجات السلم حتى الطابق الثالث. ثم سرت بخطوات واسعة بامتداد الردهة الطويلة الخالية من الناس حيث كانت اللافتات المعلقة على الابواب تقرأ "اللجنة المركزية للحزب" او "المكتبة". وبما انني لا احتاج الى اي منهما، واصلت طريقي دون ان ادري هل يوجد احد خلف هذه الابواب ام لا.

بعض هذه اللوحات لم تحمل اسماء عليها، لذا رجعت بخطواتي الى الوراء، وتوقفت امام احداها التي تحمل لافتة "اللجنة المركزية للحزب"، وخبطت على الباب. "ادخل"، اجابني احد الاصوات من الداخل. داخل الغرفة كان يجلس ثلاثة من الناس معا غارقين في صمت تام. بدا انني اميز من بينهم زاجورسكي الذي كنت قد رأيته قبلها بيومين او ثلاثة في احد نوادي الحزب البلشفي. سألت هؤلاء الناس اين استطيع ان اجد مكتب السكرتير التنفيذي للجنة المركزية.

احد الثلاثة (بوخارين إن لم اكن مخطئاً)، نهض وامسك بحقيبته تحت ابطه. قال الرجل، مخاطباً زملاءه بصوت عال للدرجة التي تجعلني اسمعه، "انا راحل، ولسوف ارشد هذا الرفيق إلى مكتب اللجنة المركزية التنفيذية"، مشيراً لي بطرف ذقنه وقد استدار نحو الباب. شكرت الحاضرين وتركتهم مع الرجل الذي اعتقدت انه بوخارين.

الممر الى القاعة كان صامتاً صمت القبور.

سألني مرشدي من اين انت.

اجبته، "من اوكرانيا". عندها سألني عديد من الاسئلة عن الارهاب المستشري في اوكرانيا واراد ان يعرف كيف استطعت ان اصل الى موسكو.

عند وصولنا الى السلم، توقفنا لنستمر في الحديث. اخيراً، اشار الرجل الذي جعلته الصدفة دليلاً داخل الكرملين الى الباب الذي على يمين مدخل الممر حيث قال لي انني سوف اجد هناك من يجيبني على ما اريد.

وبعد ان تصافحتنا بالايدي، مضى الرجل اسفل الدرج وغادر المبنى.

مضيت الى الباب وخبطت عليه ثم دخلت. سألتني فتاة عما اريد.

اجبتها، "اود ان ارى رئيس اللجنة التنفيذية لمندوبي سوفيات العمال والفلاحين، والجنود والقوزاق، الرفيق سفردلوف".

دون ان تتفوه بكلمة واحدة، جلست الفتاة امام طاولة، واخذت اوراق التصريح واذن الدخول، ودرستهم بامعان، ثم سجلت بعض بياناتهم، وكتبت تصريح مرور اخر سجلت عليه رقم الحجره التي من المفترض ان امضي اليها.

في الحجرة التي ارسلتني الفتاة اليها وجدت سكرتير اللجنة المركزية التنفيذية، رجل متين البنيان، تبدو عليه علامات التغذية الجيدة ولكن بلامح مرهقة. طلب مني اوراقى وسلمتها له. وجد الرجل في الاوراق ما اثار اهتمامه وبدأ يسألني بعض الاسئلة:

"اذا انت من جنوب روسيا يا رفيق؟"

"نعم، انا من اوكرانيا".

"كنت توا رئيسا للجنة الدفاع عن الثورة في زمن كيرينسكي؟"

"نعم"

"اذا انت اشتراكي ثوري؟" (بمعنى، انت عضو في الحزب الاشتراكي الثوري)

"لا"

"ما هي علاقاتك او ماذا كانت علاقاتك بالحزب الشيوعي في منطقتك؟"

اجبته، "انا اعرف شخصا العديد من مقاتلي الحزب البلشفي". وعددت له اسماء رئيس اللجنة الثورية في الكسندروفسك، الرفيق ميخائيليفيتش، وبعض المقاتلين الاخرين من ايكاترينوسلاف.

صمت السكرتير للحظة، ثم سألني عن عقلية الفلاحين في "جنوب روسيا"، وعن سلوكهم نحو القوات الالمانية وجنود الرادا المركزية، وعن اتجاهاتهم نحو السلطة السوفيتية الخ.

اعطيته اجابات مختصرة بدا ظاهرا انها نالت رضاه؛ وفعليا كنت آسفا على انني كنت غير قادر على شرحها له بمزيد من الاستفاضة.

في النهاية اتصل الرجل تليفونيا باحد الاشخاص ثم دعاني الى الذهاب الى مكتب رئيس اللجنة المركزية التنفيذية، الرفيق سفردلوف.

مقابلي مع سفردلوف

في طريقي الى هناك سرحت بخاطري في الروايات التي تنشرها قوى الثورة المضادة، بل وحتى ينشرها اصدقاؤى انفسهم الذين كانوا اعداءا لسياسات لينين وسفردلوف وتروتسكي، وهي الروايات التي تقول حرفيا ان من المستحيل ان تستطيع الوصول الى هذه الالهة الارضية. فمن المفترض انهم محاطون بكتائب من الحراس الشخصيين، لن يسمح سوى رئيس الحرس هذا بلقاءهم الا لمن يوافق هو شخصيا عليهم.

الان، وقد اصطحبني سكرتير اللجنة التنفيذية المركزية، ادركت سخافة هذه الروايات.

فتح سفردلوف لنا الباب بنفسه وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة سرور، تشيع منها روح الالفة، واخذني من يدي، ليجلسني على كرسي بمساند. رجع سكرتير اللجنة التنفيذية المركزية الى مكتبه. بدت اثار النعمة على الرفيق سفردلوف اكثر من سكرتيه. وبدا سفردلوف ايضا اكثر اهتماما بما نقل اليه عما يحدث في اوكرانيا خلال الشهرين او الثلاثة الماضيين. دخل سفردلوف في الموضوع مباشرة قائلا لي:

"وهكذا، قد اتيت يا رفيق من جنوب بلادنا المعذب. اي عمل كنت تضطلع به هناك؟"

"العمل الذي تنخرط فيه الجماهير العظيمة من العمال الثوريين في اوكرانيا. هؤلاء العمال، وقد شاركوا بدورهم في الثورة، مستمرون في الكفاح من اجل تحررهم الشامل. مكاني بين صفوفهم، اذا ما كان لي ان اقول هذا، هو ان اتقدم الصفوف نحو هذه الغاية. اليوم، بسبب انهيار الجبهة الثورية الاوكرانية، وجدت نفسي بشكل مؤقت اھيم على وجهي في موسكو".

صاح سفردلوف، مقاطعا لي، "ماذا تقول يا رفيق؟ فلاحو الجنوب معظمهم من الكولاك او من انصار الرادا المركزية".

انفجرت في الضحك ثم وصفت له باختصار ولكن بشكل دقيق ومحكم حركة الفلاحين التي نظمها الاناركيون في منطقة جولاي-بولاي ضد قوات الاحتلال النمساوي الالمانى وجنود الرادا المركزية.

ورغم عدم الراحة الذي شعر به سفردلوف بشكل واضح استمر في الحديث:

"اذا، لماذا لم يدعم هؤلاء الفلاحون وحدات حرسنا الاحمر؟ طبقا لمعلوماتنا فلاحو الجنوب تسمهم افكار الشوفينية الاوكرانية المتطرفة وهم في كل مكان رحبوا بالقوات الالمانية وقوات الرادا المركزية في حماسة بوصفهم محررين لهم".

بدأت مستفزا افند معلومات سفردلوف عن حملة اوكرانيا. اعترفت له انني بنفسى كنت منظما ورئيسا لعدد من كتائب الفلاحين المتطوعين التي قادت كفاحا ثوريا ضد الالمان والرادا المركزية. اكدت له ان الفلاحين يستطيعون تجنيد وحشد جيشا قويا من بين صفوفهم لمقاتلة هؤلاء الاعداء ولكنهم لم يروا بوضوح الغرض من وراء هذه الحرب الثورية. وحدات الحرس الاحمر، وهي تحارب من قطارها المدرعة، تحافظ على بقاءها قريبة من خطوط السكك الحديدية. انهم يرتدون للخلف عند اول هجوم معاكس دون ان يقلقوا انفسهم حتى بالتقاط جنودهم المتخلفين عنهم، منسحبين عشرات الاميال بغض النظر سواء أكان العدو يتقدم خلفهم ام لا. وشكوت من ان هذه الوحدات لا تشيع الثقة في الفلاحين الذين يقعون تحت رحمة عشماوي الثورة. حيث انهم بلا سلاح ومعزولين داخل قراهم. في الواقع، قطارات الحرس الاحمر المدرعة لم تكلف نفسها ابداء عيب ارسال فصائل من الحرس الاحمر للقرى القريبة من الخط الحديدي. الحرس الاحمر حتى لم يعط السلاح للفلاحين ولم يشجعهم على التمرد ضد اعداء الثورة، ولا على الانضمام للكفاح بانفسهم.

انصت لي سفردلوف بانتباه، صائحا من وقت لآخر، "هل هذا ممكن؟" اشرت الى ان العديد من وحدات الحرس الاحمر تنتمي لجماعات بوجدانوف، وسفيرسكاى، وسابلين واخرين. وقد اصبحت اكثر استقرارا ورصانة، اشرت الى ان الحرس الاحمر لا يمكنه اشاعة الثقة في جموع الفلاحين طالما ركز تحركاته على الدفاع عن طريق السكك الحديدية مستخدما القطارات المدرعة التي تسمح لهم بشن هجمات سريعة ولكنهم غالبا ما يتراجعون. ومع ذلك هذه الجموع ما زالت ترى في الثورة وسيلة للتخلص من ظالمهم - ليس فقط كبار ملاك الارض واغنياء الكولاك، ولكن ايضا التخلص من خدمهم، موظفي الدولة بسلطتهم الادارية والسياسية. وهكذا الفلاحون مستعدون للدفاع وصد غزوات البونكر البروسيين، اضافة الى صد قوات الهيتمان (زعماء العشائر الاوكرانيين).

قال سفردلوف، "نعم، اعتقد انك على حق فيما يتعلق بالحرس الاحمر... ولكننا قد اعدنا تنظيمهم الان داخل الجيش الاحمر الذي يبني قواته حاليا. لو ان الفلاحين في الجنوب انغرس فيهم الروح الثورية كما جاء في وصفك، فلسوف تكون هناك فرصة طيبة لكس الالمان من هناك ولسوف يعض الهيتمان التراب في وقت قصير. عندئذ سوف تنتصر سلطة السوفيت في اوكرانيا ايضا".

"سوف يعتمد ذلك على تنظيم حركة سرية في اوكرانيا. شخصا انا اعتبر هذه الحركة اكثر ضرورة من اي وقت سبق. بشرط اذا اتخذت هذه الحركة شكلا نضاليا مقاتلا، فإنها سوف تحث جماهير الفلاحين على اعلان التمرد في المدن والقرى ضد الالمان والهيتمان. دون انتفاضة ذات طابع ثوري بشكل جوهري في داخل اوكرانيا، لن يضطر الالمان النمساويون مجبرين على اخلاء البلاد ولن يكون ممكنا تهديد الهيتمان ومؤيديه او اجبارهم على الفرار مع حماتهم. لا تنس انه بسبب معاهدة بريست-ليتوفسك والعوامل السياسية المتعلقة بالقوى الاجنبية التي يجب ان تأخذها ثورتنا في الحسبان، اي هجوم يقوم به الجيش الاحمر في هذا الوقت هو امر لا يمكن تصوره".

في الوقت الذي كنت ا طرح فيه وجهة نظري، كان الرفيق سفردلوف يدون ملاحظاته.

قال سفردلوف، "في هذه الحالة انا اشاركك وجهة النظر بالكامل، ولكن ماذا تكون؟ شيوعي ام اشتراكي ثوري يساري؟ حيث انك اوكراني كما استطيع ان اقول من اللغة التي تستخدمها، ولكن الى اي من الحزبين تنتمي، هذا ما لا استطيع تحديده".

هذا السؤال، بينما لم يمثل مفاجأة حين وجهه لي سفردلوف، (سكرتير اللجنة المركزية التنفيذية كان قد سألي نفس السؤال توا) وضعني في موقف محير. ماذا يتوجب على قوله؟ هل اقول لسفردلوف بصراحة انني شيوعي اناركي، رفيقا وصديقا لهؤلاء الذين سحقهم حزبه ودولته منذ شهرين سابقين في موسكو ومدن اخرى، ام اخفي نفسي تحت لافتة اخرى؟

احسست بالارتباك وشعر سفردلوف بذلك. لم ارد كشف تصوراتي عن الثورة الاجتماعية وعن اتجاهاتي السياسية في منتصف المقابلة معه. اخفاء هويتي كان امرا ممجوجا بنفس القدر. لذا، وبعد التفكير لعدة ثوان، قلت لسفردلوف: "لماذا انت مهتم لهذه الدرجة بانتمائي السياسية؟ اوراقك تظهر لك من اكون، ومن اين اتيت، والدور الذي لعبته في منطقة بعينها، وتنظيمي لعمال المدن والقرى اضافة الى تنظيمي لجماعات الانصار وكتائب المتطوعين للقتال ضد الثورة المضادة التي تجتاح اوكرانيا. اليس هذا كافيا بالنسبة لك؟"

اعتذر الرفيق سفردلوف وسألني الا اشك في شرفه كثوري او اشك في انه يفقد الثقة في. كان اعتذاره صادقا للدرجة التي جعلتني اشعر بالذنب، ودون اي تردد، اعلنته انني شيوعي اناركي من نوع باكونين-كروبوتكين .

تسائل سفردلوف، بابتسامة صديقة، "اي نوع من الشيوعيين الاناركيين انت يا رفيق، حيث انك تقف مدافعا عن تنظيم الجماهير العاملة وتوجيههم نحو الكفاح ضد السلطة الرأسمالية؟"

ولدهشة رئيس اللجنة المركزية التنفيذية، اجبته:

"الاناركية هي ايدولوجية واقعية جدا حتى انها لا تبني فهم خاص للعالم المعاصر والاحداث الواقعية. الدور الذي قام به الذين يمارسون الشيوعية الاناركية في هذه الاحداث مبني على فهم واضح للهدف المفترض تحقيقه والوسائل التي من المفترض ان تستخدم للوصول اليه.."

اخبرني سفردلوف، "ليس لدي اعتراض على ذلك، ولكنك لا تشبه على الاقل اولئك الاناركيين الموسكوفيين الذين اقاموا بشارع مالايا ديميتروفكا"، واراد سفردلوف التوسع في هذا الموضوع، ولكنني قاطعته قائلا:

"سحق الاناركيين في مالايا ديميتروفكا بواسطة حزبك هو مأساة يجب الا تتكرر في المستقبل لمصلحة الثورة..."

تمتم سفردلوف ببعض الكلمات المدغمة في لحيته، وقد نهض من كرسيه، اتي الي، ووضع راحتيه على كتفي وقال:

"ارى انك شخص مطلع جدا على ما يحدث منذ انسحابنا من اوكرانيا وخصوصا المشاعر الحقيقية لدى الفلاحين. ايليتش، رفيقنا لينين، من المؤكد انه سوف يكون مسرورا بالاستماع اليك. هل تود ان احادثه على الهاتف؟"

اجبت انه لا يوجد الكثير مما اود اضافته لفائدة الرفيق لينين، ولكن سفردلوف كان قد التقط الهاتف توا، ناصحا لينين بأن لديه الان بين يديه رفيقا يملك معلومات هامة جدا عن الفلاحين في جنوب روسيا وعن اتجاهاتهم نحو قوى الاحتلال الالماني. ودون تطويل سأل سفردلوف لينين متى يمكنه رؤيتي.

بعد لحظة وضع سفردلوف سماعة التليفون، وكتب تصريح مرور لي يسمح بعودتي في اليوم التالي. قال لي وهو يسلمني اياه:

"غدا، في الواحدة بعد الظهر تماما، تعالى الى هنا مباشرة. سوف نمضي معا الى مكتب الرفيق لينين... هل استطيع الاعتماد عليك؟"

اجبته، "اعتمد علي. لكن هل استطيع ان احصل على وثيقة من سكرتارية اللجنة المركزية تصرح لسوفيت موسكو ان يعطيني سكنا مؤقتا ومجانيا؟ والا سوف اكون مرغما على قضاء الليل راقدا على دكة في حديقة عامة."

"سوف نرتب كل شيء غدا"، اجابني سفردلوف. وبعد سلامي عليه، اتبعت طريقي للخروج من قصر القيصر الى بوابات الكرملين، دائرا مرة اخرى حول الحرس اللاتفي، وصفوف المدافع والدانات العتيقة، ملقيا بنظرة سريعة على مدفع القيصر العظيم. حتى الغد.....

لم ارجع الى الشقة التي تخص قسم الفلاحين بكونغرس السوفيت، الذي كان يترأسه بورتسييف، وهو زميل الزنزانة السابق للرفيق اركينوف . وفر بورتسييف ملجأ للعديد من الرفاق منهم اركينوف الذين تحولوا تدريجيا الى عبء ثقيل عليه. بدلا من ذلك ذهبت لأرى رئيس المركز النقابي، الذي خدم ايضا في السجن مع اركينوف. وعندما لم اجد مرحبا بضيافتي لدرجة كبيرة ذهبت لاعتز على احد المشهورين وسط الرفاق بانه "الاحق"، الاناركي ماسلوف.

اعلنت للرفيق ماسلوف، وقد عرفته من خلال خدمتنا في الاشغال الشاقة معا، اني سوف اقيم معه، حيث انني لا اجد مكانا اقضي فيه الليل.

لم يعارض الرفيق ماسلوف ومكثت معه. فعليا اظهر لي ماسلوف ضيافة خاصة رغم انتقاداتي له على سلوكه الانفرادي العجيب الذي كان يمنعه من انشاء علاقات اخوية برفاقه السابقين في منظمات موسكو للشيويعيين الاناركيين.

مقابلي مع لينين

في اليوم التالي، في الواحدة ظهرا، اظهرت نفسي مرة اخرى في الكرملين لاجد الرفيق سفردلوف. قادني الرفيق مباشرة الى لينين. رحب الاخير بي بطريقة ودية. امسكني من ذراع وريت على كتفي بيده الاخرى، وقادني الى مقعد بمساند. بعد ان طلب من سفردلوف ان يجلس في مقعد اخر، ذهب الى سكرتيرته وطلب منها قائلا، "لو سمحت لا تقاطعوننا حتى الساعة الثانية". ثم جلس مقابلي وبدأ يوجه الاسئلة.

سؤاله الاول كان: "من اي منطقة انت؟" ثم: "كيف يفهم الفلاحون في منطقتك شعار كل السلطة للسوفيت في القرى وماذا كان رد الفعل عند اعداء هذا الشعار - عند الرادا المركزية على وجه الخصوص؟" اخيرا: "هل ترمد الفلاحون في منطقتك ضد الغزاة الالمان النمساويين؟ لو ان الاجابة بنعم، ماذا كان ينقص التمرد الفلاحي حتى يتحول الى انتفاضة عامة بالتنسيق مع عمل وحدات الحرس الاحمر، الذي يدافع عن اراضيها المحتلة بمثل هذه الشجاعة الرائعة؟"

كانت اجاباتي على كل هذه الاسئلة اجابات مقتضبة. لينين، بألمعيته الفريدة الخاصة، سعى ليضع اسئلته بطريقة تمكنني من اجابتها نقطة بنقطة. مثلا، سؤال: "كيف يفهم الفلاحون في منطقتك شعار كل السلطة لسوفيت القرى؟" كرره لينين ثلاث مرات. وقد ادهشته اجابتي:

"فهم الفلاحون هذا الشعار بطريقتهم الخاصة. طبقا لتفسيرهم له، كل السلطة، في كل جوانب الحياة، يجب ان تعرف بوعي وارادة الشعب العامل. يفهم الفلاحون ان سوفيات العمال والفلاحين في قرى البلاد والمقاطعات ليست اكثر ولا اقل من وسائل في ايدي المنظمات الثورية والادارة الذاتية الاقتصادية للشعب العامل في الكفاح ضد البرجوازية وخدمها، الاشتراكيين اليمينيين وحكومتهم الائتلافية".

سأل لينين، "هل تعتقد ان هذه الطريقة في تفسير شعارنا هي طريقة صحيحة؟"

اجبته، "نعم".

"حسنا، اذا، الفلاحون في منطقتك اصابتهم عدوى الاناركية!"

"وهل هذا امر سيء؟"

اجابني لينين، "ليس هذا ما اعنيه. على العكس، نحن مسرورون لان ذلك سوف يعني انتصار الشيوعية على الرأسمالية"، وازاف، "ولكنني اشك اذا ما كانت هذه الظاهرة تلقائية؛ انها نتيجة دعاية اناركية ولن تدوم. بل انني حتى لأميل الى الاعتقاد بأن هذه الحماسة الثورية، التي سحقتها الثورة المضادة المنتصرة قبل ان تمتلك الفرصة لخلق منظمة واحدة، قد اختفت توا".

اشرت الى لينين ان القائد السياسي يجب الا يكون متشائما او متشككا.

قاطعنا سفردلوف، "لذلك طبقا لما تقوله، يجب ان نشجع مثل هذه الميول الاناركية في حياة جماهير الفلاحين؟"

اجبت، "اوه، فحزبك لن يشجعهم".

"ولماذا يتوجب علينا ان نشجعهم؟ حتى نقسم القوى الثورية للبروليتاريا، ونمهد الطريق للثورة المضادة وننتهي بتدمير انفسنا وتدمير البروليتاريا؟"

لم استطع كظم غضبي وانزعجت تماما. اشرت الى لينين ان الاناركية والاناركيين لا يوحدتهم شيء مشترك مع الثورة المضادة ولا يرشدون البروليتاريا في هذا الاتجاه.

سألني لينين، "وهل هذا ما قلته؟" واذاف، "انا احاول القول ان الاناركيين، وينقصهم المنظمات الجماهيرية، ليسوا في وضع يستطيعون فيه تنظيم البروليتاريا والفلاحين الفقراء. وبالنتيجة، هم ليسوا في وضع يستطيعون فيه استنهاضهم للدفاع، باوسع معنى للكلمة، عن ذلك الذي قمنا بهقه، وهو الامر العزيز جدا لدينا".

تحول اللقاء الى الاسئلة الاخرى التي وضعها لينين. اجبرني لينين ان اجيب على احد هذه الاسئلة، وهو سؤال "وحدات الحرس الاحمر والشجاعة الثورية التي دافع بها عن اراضيها المشتركة التي خضعت للغزو"، طلب مني ان اجيب عليه بشكل كامل قدر الامكان. اثار السؤال قلقي بشكل واضح او ان السؤال ذكرني بما قد انجزته تشكيلات الحرس الاحمر مؤخرا في اوكرانيا، من المفترض انها قد حققت الاهداف التي وضعها لها لينين وحزبه، الذين باسمهم ارسلت هذه الوحدات من بتروجراد الى المدن الاخرى الكبرى في اطراف روسيا. اذكر عاطفة لينين، عاطفة رجل يكافح بإيمان ضد نظام اجتماعي كرهه من اعماقه وكم تمنى تدميره، عندما قلت له:

"حيث انني شاركت في نزع سلاح العديد من القوزاق المنسحبين من الجبهة الالمانية بنهاية ديسمبر ١٩١٧ وبدايات ١٩١٨، فأنا على علم جيد "بالشجاعة الثورية" لوححدات الحرس الاحمر وبشجاعة قادته خصوصا . لكن ما يبدو لي، يا رفيق لينين، انه كونك تتلقى معلوماتك من ثاني وثالث مصدر، فهذا ما يجعلك تبالغ في مدح ادائهم".

"كيف ذلك؟ هل تختلف في الحكم عليهم؟"

"اظهر الحرس الاحمر روحا ثورية وشجاعة، لكن ليس بالطريقة التي تصفها. كفاح الحرس الاحمر ضد الهايداماك التابعين للارادا المركزية ، وخصوصا، كفاحهم ضد القوات الالمانية، به لحظات معروفة تكشف فيها ان الروح الثورية والشجاعة، اضافة الى تحركات الحرس الاحمر وقادتهم، كانت في غاية الضعف. بالتأكيد في معظم الاحيان كل ذلك يمكن رده الى حقيقة ان قطاعات الحرس الاحمر تشكلت بسرعة وعملت ضد عدو بطريقة مختلفة تماما عن طريقة حرب الانصار او الوحدات النظامية.

"يجب ان تعرف ان الحرس الاحمر، بغض النظر عن اعدادهم، ينفذون هجومهم ضد الاعداء بالتحرك على طول خطوط السكك الحديدية. ولكن المناطق التي تقع على بعد عشرة الى خمسة عشر ميلا من خط السكة الحديد لا يحتلونها؛ المدافعون عن الثورة او الثورة المضادة يستطيعون المجيء والذهاب في هذه المنطقة بحرية. لهذا السبب، تنجح الهجمات المفاجئة تقريبا لا محالة. فقط بالقرب من المدن والبلدات على طريق السكك الحديدية فتح الحرس الاحمر جبهة يشن منها هجماته. ولكن مناطق المؤخرة والضواحي القريبة من تقاطع السكك الحديدية ظلت كلها بلا مدافع. انهار الاندفاع الهجومي للثورة في وجه الضربات المضادة. وما ان تنتهي وحدات الحرس الاحمر من توزيع تواجدها في منطقة معينة حتى تقوم القوى المضادة للثورة بمهاجمتها واجبارهم على الانسحاب في قطاراتهم المدرعة. في الواقع لم ير الناس حتى الحرس الاحمر ولذلك لم يؤيدونهم".

سأل لينين، "وماذا يفعل المحرضون الثوريون في القرى؟ هل لا يقومون بتجهيز البروليتاريا الزراعية حتى يزودوا الحرس الثوري الذي يمر بالقرب من اماكنهم بدماء جديدة من القوات، او حتى يشكلوا فيالق جديدة من الحرس الاحمر لاتخاذ مواقع هجومية ضد الثورة المضادة؟"

"لا تذهب بعيدا. عدد المحرضين الثوريين قليل للغاية في القرى، ولا يستطيعون فعل الكثير. ولكن في كل يوم مئات من المحرضين والمؤيدون السريون للثورة المضادة يظهرون في القرى. في بلدي والمناطق المحلية المحيطة، من المبالغة ان تتوقع الكثير من المحرضين الثوريين في خلق قوات جديدة وتنظيمهم ضد الثورة

المضادة. هذه الاوقات تتطلب اعمال حاسمة من كل الثوريين في كل اوجه الحياة وواجه كفاح العمال. الا تضع هذا في اعتبارك، خصوصا في اوكرانيا، فذلك يسمح لقوى الثورة المضادة التي تساند الهيتمان ان تتطور بقوتها وتزيد من تماسك سلطتها".

ظل سفردلوف يركز نظراته احيانا علي، وحيانا اخرى على لينين. بالنسبة للاخير، اطبق لينين اصابع يديه، ومال برأسه، وشرذ في افكاره. ثم، مد قامته وقال: "كل ما قلته لي توا هو امر مؤسف". واضاف، مستديرا الى سفردلوف، "باعدة تنظيم الحرس الاحمر داخل الجيش الاحمر نحن نسير على الطريق الصحيح الى انتصار البروليتاريا على البرجوازية".

اجاب سفردلوف بحماسة، "نعم، نعم".

ثم قال لي لينين، "أي اعمال تنوي القيام بها في موسكو؟"

اجبت اني لن امكث طويلا. تمشيا مع القرار الذي اتخذه مؤتمر جماعات الانصار المقام في تاجانروج، سوف اعود الى اوكرانيا في اوائل يوليو.

سألني لينين، "هل سوف تعود سرا؟"

أجبت، "نعم".

علق لينين تعليقه الخاص، مخاطبا سفردلوف، "يمتلي الاناركيون دائما بانكار الذات، انهم جاهزون للتضحية والفداء. ولكنهم متعصبون تعصبا اعمى، انهم يتجاهلون الحاضر ويفكرون فقط في المستقبل البعيد". وبالإشارة الى ان ذلك ليس موجها لي، اضاف لينين، "انت، يا رفيق، كما اعتقد، تمتلك مسلكا واقعيا نحو مشاكل زماننا. لو ان فقط ثلث الاناركيين في روسيا على شاكتك، فلسوف نكون نحن الشيوعيون مستعدون للتعاون معهم في ظل شروط معينة بهدف التنظيم الحر للمنتجين".

في هذه اللحظة شعرت شعورا عميقا من الاحترام للينين ينهض داخلي، رغم اقتناعي الحالي انه مسئول عن افناء التنظيم الاناركي في موسكو، الذي كان علامة على تدمير المنظمات المماثلة في العديد من المدن الاخرى. وفي ضميري كنت خجلا من نفسي. وانا ابحت عن رد يجب ان اوجهه للينين، قلت له عينا في عين:

"الثورة ومواقعها عزيزة جدا بالنسبة للشيوعيين الاناركيين؛ وفي هذا المقام الشيوعيون الاناركيون مثلهم مثل كل الثوريين الحقيقيين".

صاح لينين فورا، ضاحكا، "اوه، لا تقل لنا ذلك. نحن نعرف الاناركيين كما نعرفك. في الجزء الاعظم ليس لديهم اي فكرة عن الحاضر، او على الاقل هم لا يشغلون انفسهم به الا في القليل جدا. ولكن الحاضر هو امر جدي لدرجة انه عندما لا يفكر الثوريون به او لا يتخذون موقفا باسلوب ايجابي يتعلق به يصبح ذلك مشينا. معظم الاناركيون يفكرون ويكتبون عن المستقبل دون فهم للحاضر. وهذا ما يقسمنا، الشيوعيون وانتم".

مع هذه الكلمات، نهض لينين من كرسيه واخذ يخطو جيئة وذهابا.

"نعم، نعم، الاناركيون اقوياء في مجال الافكار عن المستقبل - في الحاضر، هم لا يستقرون باقدامهم على ارض. مسلكهم يرثى له ولأن تعصبهم الاعمى خالي من المضمون، لا يمتلكون صلات حقيقية بهذا المستقبل الذي يحلمون به".

اكتسى وجه سفردلوف بابتسامة شريرة، والتفت لي، قائلا: "لا تستطيع ان تجادل في ان فلاديمير ايليتش على حق في تعليقاته".

اسرع لينين مضيفا: "هل يقر الاناركيون ابدا بافتقارهم للواقعية في الحياة اليومية الحاضرة؟ لماذا، انهم حتى لا يفكرون فيها".

ردا على ذلك، اخبرت لينين وسفردلوف انني فلاح نصف متعلم ولا استطيع المجادلة باسلوب سليم في الرأي المثقف الخبير الذي ادلى به لينين حول الاناركيين.

"ولكني يجب ان اخبرك، ايها الرفيق لينين، ان تأكيدك على ان الاناركيين لا يفهمون 'الحاضر' بشكل واقعي، وانهم لا يمتلكون صلة به وهلمجرا، هو رأي خاطئ بشكل جوهري. الشيوعيون الاناركيون في اوكرانيا (او 'جنوب روسيا' بالنسبة لكم ايها البلاشفة الشيوعيون الذين يحاولون تجنب كلمة اوكرانيا)، اقول،

الشيوعيون الاناركيون قد اعطوا توا عديد من البراهين على انهم منزعجون بشدة في 'الحاضر'. نضال الريف الاوكراني الثوري بأكملة ضد الرادا المركزية تم تنفيذه في ظل التوجيه الايديولوجي للشيوعيين الاناركيين وجزئيا ايضا من الاشتراكيين الثوريين (الذين بالطبع يمتلكون اهداف مختلفة كليا عن اهداف الشيوعيين الاناركيين في كفاحهم ضد الرادا المركزية). لم يمتلك بلاشفتكم الا فيما ندر اي وجود في قرانا. وائما تغلغلوا ظل نفوذهم في حدوده الدنيا. تقريبا كل الكوميونات او الجمعيات الفلاحية في اوكرانيا تشكلت باجاء من الشيوعيين الاناركيين. الكفاح المسلح للشعب العامل ضد الثورة المضادة عموما وضد الغزو الالمانى النمساوي خصوصا اضطلعت به الجماهير يدا بيد مع التوجيه الايديولوجي والعضوي للشيوعيين الاناركيين حصريا.

"من المؤكد، انه ليس من مصلحة حزبك ان تعطينا استحقاقا وجدارة في كل ذلك، ولكنها تلك هي الحقائق وانت لا تستطيع دحضها. انت تعرف بدقة تماما، كما تخيل، القوة الفعلية والطاقة القتالية للقوات الثورية الحرة في اوكرانيا. لم يكن دون سبب انك اثرت امر شجاعتهم التي دافعوا بها بشكل بطولي عن المواقع الثورية المشتركة. من بينهم، على الاقل نصفهم حارب رافعا الراية الاناركية - موكروسوف، وماريا نيكيفوروا، وتشدرديناك، وجارين، ولوينيف والعديد من قادة القوات الاخرين المواليين للثورة ممن سيأخذون وقتا طويلا حتى نذكر اسماءهم كلهم - كلهم شيوعيون اناركيون. استطيع الحديث عن المجموعة التي انتهي اليها بنفسى وعن كل جماعات الانصار الاخرى و'كتائب المتطوعين' للدفاع عن الثورة التي قمنا بتشكيلها والتي لا تستطيع قيادة الحرس الاحمر الاستغناء عنها.

"كل ذلك يظهر لك كم انت على خطأ، ايها الرفيق لينين، بادعاء اننا، نحن الشيوعيون الاناركيون، لا تقف اقدامنا على ارض، وان مسلكنا نحو 'الحاضر' امر يريث له واننا مغرمون جدا بأن نعيش في احلام حول المستقبل. ما قلته لكم في سياق حوارنا اليوم لا يمكن وضعه محل تساؤل لان ما قلته هو الحق وصحيح. الرواية التي قصصتها عليكم تناقض الاستنتاجات التي عبرتم عنها نحونا. كل شخص يستطيع ان يرى كم نحن "مزرعون" في الحاضر، حيث اننا نعمل ونسعى نحو إيجاد الوسائل التي تجلب المستقبل الذي نرغب به، واننا في الواقع نتعامل جديا مع هذه المشكلة".

في هذه اللحظة تطلعت الى سفردلوف. كان وجهه قد اصطبغ بالاحمرار ولكنه كان ما زال مبتسما. بالنسبة للينين، وقد فرد ذراعيه، قال: "ربما اكون مخطئا".

"نعم، نعم، في هذه الحالة، ايها الرفيق لينين، كنت قاسيا جدا علينا، نحن الشيوعيون الاناركيون، ببساطة، كما اعتقد، لان معلوماتكم فقيرة حول الوضع الحقيقي في اوكرانيا وحول الدور الذي لعبناه هناك".

"ربما لا استطيع المجادلة في ذلك. ولكن على اية حال الخطأ لا يمكن تجنبه، خصوصا في الاوضاع الراهنة"، هذه كانت اجابة لينين.

لينين وقد لاحظ انني اشعر بسخونة ما بسبب ياقة القميص، بذل اقصى ما عنده لتهدئي بطريقة ابوية، ملتويا بالحوار بشكل حاد تماما الى موضوع اخر. ولكن طبعى السيئ، اذا ما كان لي ان اقول ذلك، لم يسمح لي بان اترك نفسي للدخول في مزيد من النقاش، رغم كل الاحترام الذي بثه لينين في داخلي ناحيته. شعرت بالاهانة. رغم انني عرفت ان امامي رجل حقيقي، الا ان هناك عديد من الموضوعات الاخرى ممكن ان اتناولها معه وهناك الكثير مما استطيع تعلمه منه، ولكن حالتي الذهنية كانت قد تبدلت. لم تعد اجاباتي تفصيلية؛ شيئا ما داخلي اصبح مطعونا ومررت باحساس من اللفظ.

تأثر لينين بشدة من التعامل مع هذا التغيير في موقفى نحو الحوار. سعى لينين جاهدا لصرف غضبي بالحديث عن اشياء اخرى. وسألني فجأة، وقد لاحظ انني استعيد لياقتي السابقة نتيجة فصاحته وبلاغته في الحديث: "اذا انت تنوي العودة الى اوكرانيا سرا؟"

اجبت، "نعم".

"هل استطيع تقديم اي مساعدة؟"

قلت، "بكل سرور".

سأل لينين، ملتفتا الى سفردلوف، "من هو المسئول حاليا عن ارسال عملاءنا داخل الجنوب؟"

رد سفردلوف، "اما الرفيق كاربينكو او الرفيق زاتونسكي. سوف اتيقن من منهما". وبينما يتصل سفردلوف هاتفيا ليكتشف من منهما المسئول عن ارسال عملاء تحت غطاء الى اوكرانيا، حاول لينين اقناعي ان موقف الحزب الشيوعي فيما يتعلق بالاناركيين ليس عدائيا لهذه الدرجة التي يبدو اني اعتقدها.

قال لينين، "لو اننا اضطررنا الى ان نتخذ اجراءات نشيطة قوية لخلع الاناركيين من مبنى معين يحتلونه في مالايا ديميتروفسكا، كانوا يأوون فيه عصابات من هنا او من اماكن اخرى، فالمسئولية لا تقع علينا ولكن على الاناركيين الذين نصبوا انفسهم هناك. يجب ان تفهم اننا صرحنا لهم باحتلال مبنى اخر ليس بعيد عن المبنى الذي احتلوه في شارع مالايا ديميتروفكا وانهم احرار في القيام بعملهم بطريقتهم الخاصة".

سألت لينين، "هل تمتلك اي دليل يبرهن على ان الاناركيين في مالايا ديميتروفسكا كانوا يأوون عصابات؟"

اجاب لينين، "نعم، جمعت المفوضية الاستثنائية دليلا وتحققت منه. والا لما اصدر الحزب اوامر بالاجراءات التي اتخذت".

في الاثناء جلس سفردلوف معنا مرة اخرى واعلن ان الرفيق كاربينكو هو المسئول عن تمرير العملاء السريون، ولكن الرفيق زاتونسكي ايضا خبير بذلك ولديه معلومات جيدة عن هذا الموضوع.

صاح لينين مباشرة: "اذا، يا رفيق، اذهب غدا بعد الظهر او حينما يتفق لك الى الرفيق كاربينكو واطلب منه اي شيء انت تحتاجه لدخول اوكرانيا سرا. سوف يعطيك طريقا تسلكه لعبور الحدود".

سألت، "اي حدود؟"

قال لينين بعصبية، "الا تعلم اخر ما حدث؟ اقيمت حدود بين روسيا واوكرانيا . هناك قوات المانية تحرس هذه الحدود الان".

اجبت، "اذا انت تعتبر اوكرانيا بوصفها 'جنوب روسيا'".

تمتم لينين، "ان تعتبر هو شيء، يا رفيق، وان ترى الاشياء كما هي فذلك امر اخر".

قبل ان يتاح لي الوقت لارد، اضاف لينين: "اخبر الرفيق كاربينكو انني ارسلتك. اذا لم يصدقك، فليطلبني فقط في التليفون. هذا هو العنوان حيث يمكنك ان تجده".

بعدئذ وقفنا كلنا، وتصافحنا بالايدي، وبعد تبادل الشكر، بطريقة ودية كما كان ظاهرا، غادرت مكتب لينين، ونسيت حتى ان اذكر سفردلوف ان يأمر سكرتيه ان يوقع التأشيرة الضرورية على وثائقي التي سوف تخولني امكانية الحصول على غرفة مجانية من سوفيت موسكو.

وجدت نفسي سريعا عند بوابات الكرملين وفورا مضيت لأرى الرفيق بورتسيف.

نظرة للماضي بعد سبعين سنة، بقلم: توم فيتزل

سلطة العمال والثورة الاسبانية

في الانتخابات القومية الاسبانية عام ١٩٣٦، نجح ائتلاف من الليبراليين والاشتراكيين في اكتساح حكومة يمينية قمعية ليخلعها من السلطة ويحل محلها. اطلق العمال الاسبان، مستفيدين من وجود مناخ اقل قمعا، اوسع موجة اضرابات في التاريخ الاسباني، بعشرات من الاضرابات العامة التي شملت مدن بأكملها ومئات من الاضرابات الجزئية. بنهاية يونيو كان مليون عامل قد اعلنوا الاضراب.

بعد ما يقرب من شهر بعد انتخابات فبراير ١٩٣٦، قادت فدرالية العمال الزراعيين ٨٠ الف عامل زراعي معدم في حملة للاستيلاء على ٣ الاف مزرعة في "سييريا الاسبانية" - منطقة استريماادورا التي ضربها الفقر الطاحن . احتد الاستقطاب السياسي، وقد علت نبرة الجدل داخل البلاد حول المستقبل، بعمليات اغتيال ثأرية متبادلة بين اليسار واليمين. ومع الدعوات العلنية من السياسيين اليمينيين لاستيلاء العسكر على السلطة، بدأ في التاسع عشر من يوليو الانقلاب الذي توقعه الجميع في اسبانيا.

لاول مرة في تاريخ اسبانيا، يقاوم الشعب بطريقة هجومية محاولة استيلاء للجيش على السلطة. انهزم الجيش في ثلثي البلاد. تحركت النقابات لتصادر مقادير هائلة من ارصدة الرأسماليين، وتضع معظم الاقتصاد الاسباني تحت ادارة العمال. انشأت النقابات جيوشها العمالية الثورية الخاصة لمحاربة العسكرين الاسبان. تسببت محاولة العسكر سحق الحركة العمالية في البلاد في انطلاق ثورة الطبقة العاملة الاسبانية التي كانت تحشاشها النخبة الاسبانية منذ وقت طويل. الحرب الاهلية نفسها كانت صراعا طبقيًا في احد اكثر اشكاله تطرفا.

اثنان من اللاعبين الرئيسيين في هذه الدراما كانتا فدراليتين من فدراليات العمال الكبرى بالبلاد. أولاهما هي الكونفدرالية الوطنية للعمل (CNT) بعضوية اوائل عام ١٩٣٦ بلغت ١.٦ مليون عامل (طبقا للاحصاءات الحكومية). هذه الكونفدرالية هي نتيجة سبعة عقود تقريبا من العمل الاناركي لتنظيم العمال في اسبانيا. منذ عام ١٩١٩ قامت تلك الكونفدرالية على اساس "النقابة الفردية" - نقابات صناعية محلية مدارة ذاتيا. في برشلونة عام ١٩٣٦ بلغت عضوية اتحادات نقابات عمال البناء والمعادن في الكونفدرالية اكثر من ٣٠ الف عضو في كل من القطاعين.

لم يكن هناك احد في اي نقابة من اتحادات الكونفدرالية الوطنية للعمال يتلقون رواتب نظير عملهم كمسؤولين فيها. احب العمال الفكرة الاناركية القائلة بأن الكفاح المشترك لا يجب ان يصبح ابدا مهنة شخصية وسبيل ارتزاق شخصي. آمن الاناركيون بفكرة أن المسؤولين مدفوعي الرواتب يشجعون العمال على ان يتطلعوا اليهم بوصفهم الزعماء القادرين على حل مشاكلهم، وهذا يؤدي الى هيمنة هؤلاء الرؤساء على النقابات. في ١٩٣٦ تواجد عدد قليل جدا من القادة مدفوعي الرواتب في كونفدرالية العمل الوطنية - السكرتارية القومية، وسكرتارية منطقة قطلونيا، وسكرتارية النقابة الصناعية الوطنية لصناعة الصيد التجاري. هؤلاء المسؤولون، وهيئة تحرير الصحف اليومية للكونفدرالية في مدريد وبرشلونة، كانت اجورهم تساوي اجر عامل متوسط. وكانت هذه المناصب المدفوعة الاجر تدور على شاغليها بعد سنة واحدة فقط.

الاناركيون في كونفدرالية العمل الوطنية - في الوقت الذي نظموا فيه النضالات حول الهموم المباشرة، شجعوا ايضا المناقشات حول رؤى مجتمع ما بعد الرأسمالية، دون هياكل للظلم والاضطهاد والاستغلال. "انعدام السياسة" في الكونفدرالية كان يعني انها تعارض الاستراتيجية الانتخابية او البرلمانية في التغيير الاجتماعي. كان هدف مناضلي الكونفدرالية هو تحرير الطبقة العاملة من الاضطهاد الطبقي من خلال العمل الجماعي بواسطة العمال انفسهم.

كل وحدة نقابية تتشكل من "اقسام" لها مجالسها الخاصة بها ومندوبين منتخبين عن مكان العمل. في الصناعات الانتاجية مثل النسيج والصناعات المعدنية، هناك قسم لكل منشأة او مصنع. في صناعة البناء، "الاقسام" تتطابق مع المهن المتنوعة في الصناعة. كل الاتحادات الصناعية المستقلة ذاتيا في المدينة او المقاطعة (كوماركا) تتجمع معا في مجلس عمالي محلي (الفدرالية المحلية).

كانت النقابات جزءا من سياق اوسع لمؤسسات الحركة. نظم اليسار التحرري في اسبانيا ايضا مدارس بديلة وشبكة كثيفة مما كان يسمى الاتينيوس - مقرات مراكز مجتمعية. كانت الاتينيوس مراكز للجدل، والفعاليات الثقافية، وفصول محو الامية (نسبة بين ٣٠٪ الى ٥٠٪ من السكان كانوا اميين في اسبانيا الثلاثينات)، وهكذا. الفكرة المميزة للاناركية الاسبانية كانت هي تمكين الناس العاديين، وتحضيرهم للمشاركة الفعالة في الكفاح من اجل التحول الاجتماعي.

كانت النقابية التحررية لكونفدرالية العمل الوطنية شكلا من السياسة "المجازية". بتطويرهم لنقابات تقوم على اساس المشاركة في صنع القرار من خلال المجالس والمندوبين المنتخبين غير مدفوعي الاجر، اعتقد مناضلو الكونفدرالية انهم يمارسون شكل من التنظيم يمثل تصورا لمجتمع مستقبلي يدير العمال فيه الصناعة ويدرار المجتمع ذاتيا من خلال ديموقراطية المشاركة المجالسية.

المنظمة العمالية الكبرى الثانية في اسبانيا كانت الاتحاد العام للعمال (UGT)، بعضوية ١.٤ مليون عامل في اوائل ١٩٣٦. انحاز الاتحاد العام للعمال لصف حزب العمال الاشتراكي الاسباني (PSOE) رغم ان الحزب الشيوعي الاسباني كان نشيطا داخله ايضا. كان الاتحاد العام هو اغلبية التنظيم النقابي في المناطق الوسطى القشتالية من اسبانيا، التي تشمل مدريد، وشكل كذلك اغلبية في مناطق مناجم الفحم في اوسترياس على ساحل الاطلنطي الشمالي. فدرالية العمال الزراعيين (FNNT) بالاتحاد العام للعمال بلغت عضويتها نصف مليون في ربيع عام ١٩٣٦. من خلال حملتها من اجل الاصلاح الزراعي بالاستيلاء على الاراضي، شكلت الفدرالية الفلاحية حركة ثورية جماهيرية في الريف.

الرواج الاقتصادي وفرق الموت

الحشد والتعبئة الجماهيرية والاستقطاب الاجتماعي الذي ادى الى الحرب الاهلية كان قمة ازمة اجتماعية استحكمت في اسبانيا طوال عقود. بدأت الازمة في الاعلان عن نفسها ابان فترة الحرب العالمية الاولى. اتخذت اسبانيا وضع الحياد اثناء الحرب واصبحت قادرة على التجارة مع كلا الطرفين: الحلفاء والمحور. بدأت عملية رواج للصناعة الكثيفة والتمدين في قطالونيا. واستمر كل هذا الازدهار اثناء الرواج العالمي للعشرينات. في تلك الفترة كانت برشلونة اسرع المدن في غرب اوروبا نموا. نشأت ضواحي صناعية سريعا حول المصانع الجديدة. كانت برشلونة مركزا تجاريا كبيرا في البحر المتوسط منذ العصور الوسطى، وكانت بيتا لطبقة رجال الاعمال في شتى مجالات الاقتصاد.

ايضا ادى الرواج الاقتصادي بسبب الحرب العالمية الاولى الى نمو المنظمات الرئيسيتان للعمال في اسبانيا، الكونفدرالية والاتحاد العام. وشجعت الثورة الروسية في فبراير ١٩١٧ ايضا على ظهور اتجاه راديكالي بشكل متنامي. كانت اعلى نقطة في الكفاح العمالي اثناء الحرب العالمية الاولى اضرابا وطنيا عاما في ١٩١٧، ايدته كلتا المنظمات، الكونفدرالية والاتحاد العام. في برشلونة سادت الكونفدرالية على المدنية حتى تحرك الجيش لقمع الاضراب. (رواية فيكتور سيرج "ميلاد سلطتنا" هي رواية مؤثرة عن احداث الاضراب العام في برشلونة عام ١٩١٧).

لمواجهة التهديد المتنامي للكونفدرالية في قطالونيا، بدأ سيفريانو مارتينيز انيدو، رئيس شرطة برشلونة، تجنيد مسلحين لاغتيال مسؤولي ونشطاء الكونفدرالية، بمساعدة البوليس. قدم اصحاب الاعمال ومسؤولو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية التمويل اللازم لفرق الموت هذه. اثناء هذه الفترة وقعت ٤٤٠ محاولة قتل عمال في قطالونيا. اجبر العمال على الانضمام قسرا لنقابات العمال "الصفراء"، ("الاتحادات النقابية الحرة")، تحت تهديد السلاح. قلب صغير من العمال الكارليين المتدينين كانوا قد شكلوا هذه النقابات الحرة. الكارلية كانت شكلا من الفكر السياسي الكاثوليكي اليميني في اسبانيا. كرد فعل، شكل بعض الاناركيين الشباب مجموعات عمل مسلح، قامت بعمليات ثأرية اغتالت فيها اصحاب الاعمال وزعماء الكنيسة الذين شاع عنهم تمويلهم لفرق الموت تلك.

لسنوات ظلت اسبانيا تحاول التمسك باخر قطعة ارض من امبراطوريتها في المغرب. في ١٩٢٣ احدى الحملات العسكرية في المغرب، ارسلها الملك الفونسو، افضت الى كارثة راح فيها ١٠ الاف جندي اسباني. اطبق الجيش بالديكتاتورية على اسبانيا، برئاسة الجنرال ميغيل بريمو دا ريفيرا، جزئيا كوسيلة لقمع الغضب الناتج عن هذه الكارثة. تم حظر الكونفدرالية في عموم البلاد. تقدم بريمو دا ريفيرا مخططا لدمج الاتحادات النقابية في الدولة بواسطة هيئات التحكيم؛ وشجع الجنرال مشاركة الاتحاد العام للعمال بوصفه بديل "اكثر مسئولية" من الكونفدرالية. "النقابات الحرة"، التي بشرت بالتناغم بين العمل ورأس المال وبشكل من الفاشية الكهنوتية البروليتارية، تنافست مع الاتحاد العام للعمال على التمثيل داخل هيئات التحكيم. شكلت النقابات الحرة، بدعم من الدولة ورجال الاعمال، منظمة على المستوى القومي عام ١٩٢٥ (الفدرالية الوطنية للنقابات الحرة - FNSL) بعضوية ٢٠٠ الف، مساوية في الحجم تقريبا للاتحاد العام للعمال.

اضراب الايجارات الجماهيري

هرب الملك من البلاد مع انهيار الديكتاتورية عام ١٩٣٠. جاءت الانتخابات بتحالف من الليبراليين والاشتراكيين الى السلطة، ليحكموا جمهورية جديدة. استعادت نقابات الكونفدرالية الوطنية للعمل الحق القانوني في التنظيم.

اتحاد نقابات عمال برشلونة للبناء في الكونفدرالية، في مواجهة البطالة المتنامية والرغبة في إعادة بناء منظماتهم، بدأوا حملة لاجتياح مواقع البناء لضم اعضاء ولطالبة المقاولين باستتجار مزيد من العمال بنسبة ١٥٪. كان منطق نقابات البناء ان قطاع الاسكان في قطالونيا قد حقق ارباحا خيالية اثناء فترة الرواج في العشرينات - ارباح ارتبطت باستثمارات غير انتاجية. زيادة اعداد العاملين في الصناعة سوف يساعد على دوران مزيد من النقود، مما يساعد على معارضة الاتجاه نحو الركود. مع تدفق العمال الى الوحدات النقابية لكونفدرالية العمل الوطنية، انهارت اتحادات مهن البناء في فدرالية النقابات الحرة الكاثوليكية.

في اواخر العشرينات، بدأ جدل على مستوى هيئة الكونفدرالية حول الاتجاه المستقبلي للاتحادات النقابية. احد جوانب هذا الجدل كان اقتراحا لمجموعة اتحادات محلية في اتحادات الصناعة الوطنية من اجل عمل منسق ضد اصحاب العمل في الصناعة عبر البلاد كلها. خوان ببيرو - عامل زجاج متعلم تعليما ذاتيا ومنظر نقابي ذو وزن كبير - استطاع اقناع كونجرس الكونفدرالية بالسماح لقيام اتحادات وطنية داخل الصناعة في ١٩٣١. ومع ذلك، بعض الاناركيين عارضوا هذا المقترح على ارضية انه قد يؤدي الى تطور بيروقراطية جديدة تتشكل من مسئولين مدفوعي الاجر لا تستطيع النقابات المحلية وقتها السيطرة عليهم. نتيجة لهذه المعارضة، نشأت اتحادات وطنية للنقابات في صناعات قليلة جدا داخل الكونفدرالية قبل عام ١٩٣٦. قام اتحاد وطني نقابي للصناعة بين عمال شركة الهاتف الوطنية الاسبانية. في ١٩٣١، شنت الكونفدرالية اضرابا عبر البلاد ضد شركة التليفونات. كان ذلك مبادرة للشروع في نضال نقابي من اجل الدفاع عن حقوق قوة العمل النسوي التي كانت تعمل بشكل كبير في وحدات التحكم المركزي لتشغيل خطوط الهاتف.

جانب اخر من الجدل داخل الكونفدرالية كان هو كيفية الخروج من قفص النضال داخل الصناعة الذي يركز فقط على قضايا الاجور وظروف العمل. كان هناك شعورا قويا بأن الكونفدرالية تحتاج الى مد نفوذها ليتجاوز سياق الكفاح العمالي الصرف الى مناطق اخرى من المجتمع. نادى خوان ببيرو بتشكيل لجان احياء سكانية للتنظيم حول القضايا الاعرض التي تهمل الطبقة العاملة، وليس فقط المسائل المتعلقة بظروف العمل.

اثناء رواج العشرينات، ارتفعت الايجارات حوالي ١٥٠٪ في برشلونة. الازدحام، وبناء البيوت الرخيصة بواسطة كبار الملاك خربي الزمة والاسكان دون المرافق الاساسية مثل المياه اصبح امرا شائعا. في بدايات الثلاثينات، بدأ نشاط الكونفدرالية مناقشة امكانية الكفاح حول مسائل الايجارات، وبدأت المقالات حول ازمة السكن في الظهور في الصحيفة اليومية الكبرى التي تديرها الكونفدرالية في برشلونة، سوليداريداد اوبريرا.

بدأ الكفاح ضد الايجارات بلقاء جماهيري لاتحاد بناء الكونفدرالية في ابريل عام ١٩٣١. في هذا اللقاء اقترح ارتورو باريرا وسانتياجو بيلباو تشكيل لجنة دفاع اقتصادي، بمشاركة اتحادات نقابية اخرى. كان كلا من باريرا وبيلباو اعضاء بارزين في فدرالية الاناركيين الايبيريين (FAI). هذه الفدرالية كانت اندماجا فضفاضاً لجماعات اناركية عملت بشكل اكبر كتكتلات داخل اتحادات الكونفدرالية النقابية.

بعد سلسلة من لقاءات لجان الاحياء، استقرت حملة الايجارات على مطلب بتنزيل الايجارات ٤٠٪ في لقاء جماهيري بقصر الفنون الجميلة في الخامس من يوليو. قرر اللقاء ان مقدمات الايجار التي يدفعها المستأجرون يجب استخدامها لدفع ايجار الشهر التالي وبعد ذلك سوف يرفض المستأجرون دفع الايجار اذا لم يوافق اصحاب العقارات الكبار على تخفيض الايجار. هيئة الغرفة التجارية لاملالك المدن - منظمة اصحاب العقارات - نددت بالحملة بوصفها انتهاك اجرامي لحقوقهم. طالبت الغرفة الشرطة بالعمل من اجل قمع هذه الحملة. بنهاية اغسطس، اخذت مفوضية الدفاع الاقتصادي تعلن ان ١٠٠ الف من الناس توقفوا عن دفع الايجار.

الطاعات التي انضمت الى الكفاح من اجل الايجار العادل تعدت العضوية التي كانت قائمة وقتها في كونفدرالية العمل الوطنية وانضمت اعداد كبيرة من النساء اللائي كن لهن دورا نشيطا في الكفاح. في احد المرات جماعة من الاسالتوس (asaltos) - فرق الاغارة - قوة بوليس وطنية شبه عسكرية انشأها السياسيون الجمهوريون في اوائل الثلاثينات - ارسلت لاخللاء احد المستأجرين، تراجعت تلك القوة متقهقرة عندما واجهتها جموع حاشدة من النسوة والاطفال. ولأن

موظفي البلدية المسؤولين عن تنفيذ قرارات الاخلاء كان يتهيبون القيام بذلك امام حشود الناس او بسبب تعاطفهم مع اضراب الايجارات، بدأ كبار الملاك تجنيد ميليشياتهم الخاصة لتنفيذ قرارات الاخلاء.

اشتكى منظمة كبار الملاك للحكومة الوطنية وطالبتها بالتحرك لقمع الاضراب. لارجو كابليرو، السكرتير التنفيذي للاتحاد العام للعمال واحد زعماء الحزب الاشتراكي الاسباني، كان عضوا في وزارة حكومة التحالف الاشتراكي الليبرالي. كابليرو لم يكن متعاطفا مع اضراب الايجارات، واصفا اياه "بالاضراب الاحمق". في نفس الوقت، اتحاد كابليرو العام للعمال كان يوفر غطاء لكسر اضراب التليفون الذي تقوده كونفدرالية العمل في مدريد.

وسط حركة الاضراب في برشلونة، حدث تفجيرا هائلا. لم يصب احد، ولكن وقع دمار شديد بمعدات التليفونات هناك. وحتى رغم انه لم تكن هناك صلة بين هذا الانفجار وضراب الايجار، استخدمت الحكومة هذا الانفجار ذريعة لحظر لقاءات مفوضية الدفاع الاقتصادي. حظرت الحكومة ايضا لقاءات اتحاد نقابات التليفونات المشارك في الكونفدرالية.

عينت الحكومة الوطنية محاميا من التيار المحافظ كحاكم مدني لقطالونيا الذي اعلن انه ببساطة لن يسمح باستمرار اضراب الايجارات. بدأت السلطات في استخدام الاعتقال الوقائي لاحتجاز سانتياجو بيلباو و٥٢ آخرين من نشطاء الكونفدرالية. كان معنى الاعتقال الوقائي ان بالامكان احتجاز الشخص لاجل غير مسمى دون توجيه اي تهمة له ودون تحويله للقضاء. تلك كانت احد الوسائل الكريهة التي استخدمتها الديكتاتورية العسكرية. ظن الناس ان تلك الاساليب هي اساليب من الماضي لا تستخدمها الجمهورية الجديدة.

فعليا، استطاع البوليس قمع اضراب الايجارات عن طريق القبض على المستأجرين الذين كانوا قد عادوا الى شققهم بمساعدة جيرانهم بعد اخلاءهم منها. ورغم ذلك، في مناطق عديدة من المدينة دخل عدد من الملاك الافراد في صفقات لتخفيض الايجار مع المستأجرين. لهذا شعر عديد من المستأجرين انهم قد اكتسبوا شيئا ما. بالنسبة للجيل الاصغر من اعضاء الكونفدرالية، تلك كانت المرة الاولى التي ينخرطون فيها في حملات عمل مباشر على نطاق واسع. بالنسبة للمشاركين من الطبقة العاملة كان ذلك درسا مباشرا في الطريقة التي تصطف بها تلاوين كبيرة من المجموعات ضدهم، من ملاك العقارات الى السياسيين الى رجال الشرطة.

الارض والكنيسة

كانت اسبانيا في الثلاثينات بلدا يعيش تطورا اقتصاديا غير متساوي. ربما تبدو قطلونيا الصناعية الثرية مثل مناطق اخرى متطورة في بلاد اوربا الغربية، ولكن المناطق الاسبانية الاخرى كانت بالاحرى مختلفة. كانت اسبانيا ما تزال بلدا زراعيا، ٤٥.٥٪ من السكان "ذوي النشاط الاقتصادي" يعملون في مهن مرتبطة بالزراعة. في اي بلد زراعي جزء كبير من الثروة مرتبط بملكية الارض. في جنوب جبال جواداراما توجد منطقة الاقطاعات التي يعمل بها الاقنان، هذا الاقليم الذي تعرض لغزو الجيش القشتالي من بلاد المور في العصور الوسطى. كان المستثمرون الرأسماليون يرعون تلك الاقطاعات - اقطاعات ضخمة - بعد كسر القيود الاقطاعية على بيع الاراضي في القرن التاسع عشر. في هذا الاقليم امتلكت ٢٠٠٠ عائلة ٩٠٪ من الارض. في الوقت الذي يستخدم ٧٥٠ الف عامل معدم دون ارض في زراعة هذه الارض باجور تساوي حد الكفاف.

شمال جبال الجواداراما مناطق تملك فيها الفلاحين الصغار مزارع صغيرة الى متوسطة المساحة. في بعض مناطق الشمال، كانت الحيازات صغيرة جدا الى الحد الذي لا يكفي لاعاشة اسرة واحدة. اضطر الفلاحون الى تأجير انفسهم مقابل اجر، او العمل في الحصاد مقابل حصة من المحصول.

القاعدة الاجتماعية الرئيسية لاحزاب اليمين المتطرف كانت من المزارعين الذين يمتلكون الارض في مناطق الشمال مثل قشتالة القديمة ونافاري، والشرجة الوسطى المتدينة - رجال الاعمال الصغار، والمحامون، والموظفون الخ - في بلدات المحافظات. في المدن الكبيرة وعلى طول ساحل الاطلنطي وسواحل البحر المتوسط تلك الطبقات الوسطى كانت القاعدة الاجتماعية للاحزاب الجمهورية الليبرالية.

اعتبرت طبقات النخبة في اسبانيا الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الاسبانية كعامل ايديولوجي جوهري للنظام الاجتماعي. ولكن الكنيسة كانت مكروهة بشكل واسع بين اوساط الطبقة العاملة بسبب تبشيرها الذي نادى بالرضا بالفقر بينما تكتنز ارصدة واموال واسعة وتحتضن القطاعات الاوفر حظوظا والوسع ثراء في المجتمع. في الثلاثينات كان عدد رجال الدين في اسبانيا اكبر من اي بلد اخر ما عدا ايطاليا. تواجد ٣٥ الف اسقف و٨٠ الف راهب وراهبة. ورغم ذلك، لم يكن

حضور اللقاءات الدينية واسعا جدا. جنوب جبال الجواداراما، بلغ هذا الحضور نسبة متدنية تساوي ٥٪ من السكان . للعلم كان معني معارضة الكنيسة ان العديد من المدرسين والاطباء كانوا ضد رجال الدين. معاداة رجال الدين شاعت بين اليسار الاسباني، من الاناركيين العماليين الى الجمهوريين الليبراليين من الطبقات المتوسطة.

اول حكومة ليبرالية/اشتراكية في ١٩٣١ هاجمت سلطة الكنيسة عن طريق عدم التصريح باي دور للكنيسة في التعليم غير النصائح الدينية. تم حل نظام الجيزويت القوي. تأسس نظام الزواج والطلاق المدني.

الانتفاضات وصراع الفصائل

انخرط الائتلاف الليبرالي/الاشتراكي ايضا في اعمال قمع متنوعة موجهة ضد نقابات الكونفدرالية الوطنية للعمل. ربح كابليرو بهذه التدابير القمعية وانتزها فرصة لبناء نقابات الاتحاد العام للعمال على حساب الكونفدرالية. في هذا المناخ القمعي، والذي دفع بالكونفدرالية الى مواجهات مباشرة مع السلطات، عدد من المجموعات الاناركية في الكونفدرالية دفعت النقابات الى محاولة اضراب عام ثوري والى انتفاضات مغامرة. في سيناريو نمطي، جماعة من الاناركيين تستولي على مبنى البلدية، وترفع عليه العلم باللونين الاحمر والاسود، وتحرق سجلات الملكية وتعلن قيام "الشيوعية التحررية" في البلدة. اطلق المدافعون عن هذه الاساليب عليها اسم "التمرينات الثورية". محاولات الانتفاضة هذه كانت ردة للمفهوم الاناركي في القرن التاسع عشر المعروف باسم "الدعاية من خلال الفعل" - فكرة ان عمل يضرب به المثل يقوم به مجموعة ثوار يمكنه ان يشعل شرارة هبة جماهيرية تلقائية. في اكثر هذه المحاولات سوءا - اضرابا عاما قوميا في يناير ١٩٣٣- نفذت فرق الاعداد شبه العسكرية مذبح في قرية كاساس فييجاس بالاندلس. احرقت عائلة بأكملها في كوخها واطلق البوليس النار على من استسلم من الاخرين.

أسوأ مخاوف العديد من النقابيين تحققت في هبة يناير ١٩٣٣: كتب جيروم مينتز، " حفنة صغيرة من المتشددون استخدمت الكونفدرالية الوطنية ونقاباتها الاقليمية وورطوا كامل العضوية في اعمال خطيرة ومؤذية. سحلت العضوية سحلا شديدا في قتال الشوارع، وقبض على الزعماء وتعرضوا للضرب، واغلقت النقابات".

من وجهة النظر السينديكالية، التحول الاجتماعي يتطلب تنظيم وتعليم الطبقة العاملة بشكل مسبق، وتطوير مهاراتها وثقتها بنفسها، وصنع استراتيجية ثورية متماسكة، وليس اعتمادا على "التلقائية" الصرف. خوان بييرو، في كتابه "السينديكالية" الصادر عام ١٩٣٣، وضع الفكرة كالتالي:

"بالنسبة لنا، الثورة الاجتماعية ليست موضوع الانتفاض بشكل عنيف ضد قوات الدولة النظامية... تتكون الثورة الاجتماعية من الاستيلاء على المصانع والمناجم، والارض والسكك الحديدية. لا يكفي ان تستولى على الثروة الاجتماعية، من الضروري ان تعرف كيف تستخدمها - وان تستخدمها فورا، دون اي انقطاع".

سوف يكون "الاستمرار" مضمونا بحقيقة ان التحول الاجتماعي يتم تنفيذه بواسطة العمال انفسهم، الذين يمتلكون المهارة لاستمرار تشغيل الصناعة.

صراع الفصائل داخل الكونفدرالية الوطنية للعمل في اوائل الثلاثينات اشتعلت سخوته بعد ارسال مجموعة من ثلاثين مسئولا وناشطا في النقابات وثيقة مكتوبة الى صحافة الرأسماليين ينتقدون فيها ما زعموا انه "ديكتاتورية" تهيمن على الكونفدرالية بواسطة فدرالية الاناركيين الايبيرية. اشتهر الناشطون الثلاثون واتباعهم باسم الاتجاه الثلاثيني. لم يكن الثلاثينيون فقط هم المعارضون للانتفاضات المغامرة التي تقوم بها فدرالية الاناركيين الايبيريين بقطالونيا. مجموعات فدرالية الاناركيين خارج قطالونيا اتخذت موقفا نقديا ايضا. بقيام الجمهورية، احد قيادات الثلاثينيين - انجيل بيستانيا - بدأ الدفاع عن فكرة تشكيل حزب سياسي للعمال، وسرعان ما اسس الحزب السينديكالي ليدخل منافسا في الانتخابات البرلمانية. ورغم ان معظم الثلاثينيين لم يتبع بيستانيا في سياسة الانتخابات، قلق اناركيون شتى من ان يكون ذلك هو الطريق الذي يتوجه اليه الثلاثينيون.

واثارت هواجس فدرالية الاناركيين في قطالونيا بسبب جماعة لينينية منتظمة داخل نقابات كونفدرالية العمل الوطنية. في ١٩٣٠ فدرالية عمال قطالونيا وجزر البليار اندمجت مع اغلبية من الحزب الشيوعي القطالوني لتشكيل كتلة العمال والفلاحين (BOC). كتلة العمال والفلاحين كانت كتلة معادية للستالينية رغم اتخاذها القالب اللينيني "لحزب الطليعة". كانت كتلة العمال والفلاحين قوية على نحو خاص في منطقة لايدا. احد الشخصيات القيادية في الكونفدرالية بمنطقة لايدا كان يواقين مورين، المدرس الشعبي. مورين كان قائدا لهذه الكتلة.

حاولت الكتلة ايضا تحقيق السيطرة على المراكز المجتمعية (اللاتينوس) في قطالونيا. كانت الهيئة الرئيسية التي تتخذ القرارات في تلك المراكز المجتمعية هي المجالس الدورية التي تنتخب اللجنة الادارية للمركز. استعرضت الكتلة قوتها في تلك المجالس لتحقيق السيطرة على اللجنة الادارية.

بجول عام ١٩٣٢ حققت الفدرالية الاناركسية الايبيرية قدر من الهيمنة على كونفدرالية العمل الوطنية كافي لجعلها قادرة على طرد النقابات التي تهيمن عليها جماعة الثلاثينيين وكتلة العمال والفلاحين. نتيجة لذلك فقدت كونفدرالية العمل الوطنية معظم تنظيماتها النقابية في منطقة لايدا. في ١٩٣٤ شكلت النقابات التي تسيطر عليها كتلة العمال والفلاحين فدرالية جديدة للعمال، وهي فدرالية العمل للوحدة النقابية (FOUS). في ١٩٣٥ اندمجت الكتلة مع جماعة لينينية اصغر وغيّرت اسمها لحزب العمال لتوحيد الماركسيين (POUM).

في ١٩٣٣ كسبت الاحزاب اليمينية الانتخابات، ودخلت اسبانيا مرحلة الحكم القومي، المعروفة باسم "الستتان السود". في هذا الوقت لارجو كابليرو وكثير من اعضاء الحزب الاشتراكي بدأوا في الميل يسارا. بدأ كابليرو في الحديث عن الحاجة الى "ثورة بروليتارية" و"حكومة عمال".

عدد من الاحداث ادى الى تحول حزب العمال الاشتراكي الاسباني الى اليسار: صعود هتلر الى السلطة في المانيا والحزب الاجتماعي المسيحي الفاشي الكهنوتي في النمسا، وارتفاع معدلات البطالة، والغضب الشعبي نتيجة مذبحه قريه كاساس فييجاس، وتصلب اصحاب الاعمال الاسبان. كميات الاموال القليلة التي اتاحت لتقديم اراض الى الفلاحين معدمي الارض بواسطة الحكومة لم تكن كافية على الاطلاق لانجاز القدر المطلوب من الاصلاح الزراعي. كان هناك القليل جدا من الفائدة التي يمكن تعيينها من تحالف حزب العمال الاشتراكي الاسباني مع الجمهوريين الليبراليين في سنوات ١٩٣١-١٩٣٣.

احد علامات انتقال الاشتراكيين الى اليسار كانت محاولة قام بها الحزب اثناء الاضراب الوطني العام في اكتوبر ١٩٣٤. علاقات الحزب مع كونفدرالية العمل الوطنية لم تكن قد تطورت بعد، ولم يتحقق بينهما الا قدر قليل من التنسيق مما حكم على الاضراب بالفشل في معظم انحاء اسبانيا. كان الوضع مختلفا في استورياس حيث عمل الاتحاد العام للعمال والكونفدرالية سويا من اجل تطوير "تحالف عمالي" لمدة شهور. وهكذا في اكتوبر امسكت النقاباتان بزمام المنطقة لمدة اسبوعين، في انتفاضة مشتركة. ولكنهما كانتا معزولتين. عندما ارسلوا بالجيش لسحق التمرد، قتل الالاف وارسلوا بالالف عدة الى السجون. اغتصبت زوجات وبنات المتمردين وتعرضن للايذاء والتشويه البدني بواسطة الكتية الاجنبية - وهي وحدة من الجيش تشكلت من المجرمين وقطاع الطرق وعصابات اللصوص من بلاد عديدة. القت الانتفاضة بالذعر في قلوب طبقات النخبة بينما استبعد القمع الوحشي الطبقة العاملة لتأني بنفسها عن الاحداث.

الرؤية اليسارية التحررية

في اوائل عام ١٩٣٦ بلغت عضوية الاتحاد العام للعمال والكونفدرالية الوطنية للعمل اعلى مستوى لها في كل الاوقات. وفي الاثناء التي امسك بخناق البلاد كلها جدل مكثف حول المستقبل، انتشرت موجة من الاضرابات عمت انحاء البلاد، متضمنة اضرابات عامة عديدة باتساع المجتمع كله. بانتصار تحالف الاشتراكيين والليبراليين في انتخابات فبراير، امكن للعمال ان يتوقعوا فسحة يتنفسون فيها لتنظيم اضرابات وللضغط من اجل التغيير. كانت اتحادات العمال الزراعيين تنفذ اصلاحها الزراعي عبر استيلاء جماهيري على الاراضي الزراعية. منظر الجماعة الثلاثينية خوان بيبرو اخبر صحفيا من الصحفيين في مايو: "الجماهير تتحرك نحو الثورة".

العديد من الناس، مع نداء نشطاء اليمين الى الجيش للامساك بالسلطة، توقعوا انقلابا عسكريا. في وسط هذا المناخ من الحشد والتعبئة والازمة، عقدت كونفدرالية العمل الوطنية كونجرسا قوميا في سرقسطة. بحلول عام ١٩٣٥ كانت الجماعات الاناركسية القطلونية قد تحركت بعيدا عن مرحلتها المبكرة التي كانت تنادي فيها بالانتفاضات الثورية واتجهت صوب مصالحة مع الثلاثينيين. الفيدرالية الاناركسية الايبيرية، حتى توفر اقصى وحدة ممكنة من اجل المعارك القادمة، دعت انصار الثلاثينيين الى العودة الى الكونفدرالية الوطنية للعمل.

من بين القضايا التي تناوها الكونجرس كانت رؤية الكونفدرالية لنوع المجتمع الذي تريد خلقه، وهو ما اطلقت عليه اسم "الشيوعية التحررية". وثيقة الرؤية التي اقرها كونجرس سرقسطة حاولت خلق تأثيرات نافذة اناركسية كوميونالية وسينديكالية تحررية على التفكير اليساري التحرري الاسباني في تصورات مجتمعه ما بعد الرأسمالية.

وضع تصور لهيكل مزدوج الحاكمية للمجتمع، يقوم على اساس مجالس اماكن العمل ومجالس السكان في مناطق سكنهم بالقرى واحياء المدن. تنتخب مجالس اماكن العمل هيئات وتتصل هذه الهيئات في فدرالية قومية للصناعة، لادارة مختلف الصناعات.

وضع الكونجرس ايضا تشديدا قويا على "البلديات الحرة" واستقلالها الذاتي، ليعكس تأثرا قويا للاناركية الكوميونالية. وهذا عن طريق مؤسسة تضرب بجذورها في مجالس السكان بالقرى والاحياء الحضرية. في المدن الكبيرة، مثل برشلونة، تنتخب المجالس مجلسا للبلدية. اعضاء هذا المجلس البلدي سوف يستمرون في العمل في وظائفهم المعتادة في مجال الانتاج الاجتماعي، والقضايا الهامة سوف ترجع الى المجالس القاعدية من اجل اتخاذ القرار.

في كتيب التخطيط الاجتماعي المقترح من قبل ديجو عباد دي سانتيلان، الفدراليات القومية للصناعات وهي فدراليات تتمتع بالاستقلال الذاتي على تنوعها سوف تتصل بمجلس اقتصادي، يعمل بدوره كهيئة تنسيقية. ولكن الخطط الفعلية سوف تتطور بواسطة المؤتمرات الاقليمية والقومية لمدوبيين من فدراليات الصناعة، بمساعدة طاقم للدعم الفني. وهذه النظرة، في الواقع العملي، نسخة سينديكالية ديموقراطية للتخطيط التشاركي.

تختلف وثيقة الرؤية لكونجرس سرقسطة عن اقتراح عباد دي سانتيلان باضافة هيكل لمجالس السكان وفدراليات جغرافية لهؤلاء السكان كتعبير عن الحكم الذاتي السياسي وايضا كفئة ليدلي المستهلك برأيه، مع اضطلاعهم بمسؤولية تسيير وعدم تعارض الاقتراحات الخاصة بالخدمات العامة مثل الرعاية الصحية والاعلام وتخطيط المدن والاسكان. ولكن كيف سينضم عمليا صوت المستهلكين الى نظام التخطيط الاجتماعي؟ في الحقيقة لم تقل وثيقة سرقسطة شيئا عن ذلك. لم تمتلك الاناركية التقليدية مفهوما ما عن التخطيط التشاركي - التطور التفاعلي لخطة اجتماعية من خلال التفاوض بين العمال والمستهلكين.

قدمت وثيقة سرقسطة طريقا لوصول البلديات الحرة في مؤتمرات شعبية قومية واقليمية. في الواقع العملي، مهدت تلك الطريقة السبيل الى هيئات تشريعية محلية واقليمية وقومية. وضعت الوثيقة ايضا تصورا "لميليشيا شعبية" - بكلمات اخرى، جيشا - كوسيلة للدفاع عن النظام الاجتماعي الجديد. الهيكل الذي يستطيع ان يضع احكام وقواعد لمجتمع والذي يدافع عن السلطة التي تنفذ هذه الاحكام والقوانين بالقوة؛ هذا الهيكل هو في الواقع فكرة سياسية، شكل من الحكم. إن لم تكن الحياة السياسية التحررية هي دولة، اذا المطلوب هو وضع تمييز بين الحياة السياسية (او هيكل للحكم) والدولة. الاناركيون التقليديون الذين كتبوا حول هذه المسألة لم يكونوا واضحين فيها بشكل كبير.

محاولة بيتر كروبووتكين لوضع هذا التمييز ادت الى التشديد على الاستقلال الذاتي المحلي واللامركزية المميزة للاناركية الكوميونالية الاسبانية: لان "الدولة تأسست من اجل غرض محدد وهو فرض حكم الطبقات المهيمنة، اي حركة نحو تحويل الاقتصاد الى الشكل الاجتماعي و"تحرير العمل" يتطلب "شكلا جديدا من التنظيم السياسي" يكون "اكثر شعبية، اكثر لا مركزية، اقرب الى حكم ذاتي شعبي" منه الى "حكومة نيابية"، التي تمثل نوع الدولة المميزة للرأسمالية، من وجهة نظر كروبووتكين.

ورغم ان كونجرس سرقسطة تبني اقتراحا من اجل "تحالف عمال ثوري" مع فدرالية نقابات اتحاد العمال العام، فشل الكونجرس في مناقشة استراتيجية فعلية او برنامج عملي في مواجهة الوضع المباشر الذي تواجهه كونفدرالية العمل الوطنية. نتيجة لذلك، اجبرت الكونفدرالية على "اتخاذ خطوات عملية في اضطراب شامل" (بكلمات قيصر ام لورينزو) بعد الكونجرس بشهرين، في اعقاب الانقلاب العسكري الذي استولى على الحكم.

الانقلاب

بدأ استيلاء الجيش في اسبانيا في ساعات الصباح الاولى ليوم التاسع عشر من يوليو. في الخامسة صباحا بدأت صافرات المصانع ببرشلونة في الانطلاق. رتبت الكونفدرالية عملية اطلاق صافرات المصانع كاشارة تنبيه لمنظمة الدفاع التابعة لها بأن الجيش يتحرك وان القوات العسكرية تخرج من قواعدها. كانت الكونفدرالية قد نظمت حوالي ٢٠٠ مجموعة دفاع عن الاحياء في انحاء منطقة برشلونة، تتكون هذه المجموعات من حوالي ٢٠٠٠ ناشط مسلح، وقد انشأت الكونفدرالية لجنة دفاع عمالية اقليمية للتنسيق بين هذه المجموعات. في الليلة السابقة على الانقلاب اسرت مجموعات الدفاع العمالية شحنة من السلاح من على سفينة راسية في ميناء برشلونة.

وعندما ركزت الكونفدرالية قواتها عند احد قواعد الجيش في الصباح، قام رقيب في الجيش الاسباني باطلاق الرصاص على ضابطه الفاشي واقنع زملاءه الجنود بالاستسلام. وهكذا فتحت الكونفدرالية طريقا للحصول على مدد كبير من السلاح. الموظفون في شركة الحافلات اسروا السيارات المدرعة التي تستخدمها

الشركة لنقل الاموال السائلة واستخدموها كسيارات مدرعة في القتال. فور انتقال الكونفدرالية الى العمل المباشر ضد الجيش، اشتركت الميليشيات شبه العسكرية في القتال. في برشلونة، باحد احياء الطبقة العاملة حول ثكنات للجيش، قام رائد في الشرطة بتسليم السلاح لأي شخص يستطيع ان يظهر له بطاقة النقابة. بدأ الطيارون في القوات الجوية الاسبانية قصف مواقع الجيش حول برشلونة والاغارة عليها.

لم يحدث في اي مكان باسبانيا ان اتخذ صف جنود الشرطة المبادرة في قتال الجيش من انفسهم. في المواقع التي فشل العمال فيها بالقيام بتحركات هجومية مسلحة ومنحوا ثقتهم للمسؤولين في الحكومة الليبرالية، لعب البوليس لعبة الصبر والانتظار. في معقل الكونفدرالية القوي بسرقسطة، في اراجون، وضع احد زعماء الكونفدرالية المحليين ثقته في احد المسؤولين المحليين الجمهوريين الليبراليين. عندما تمرد الجيش، كانت النتيجة مذبحه رهيبه. في عام ١٩٧٩ اكتشفت مقبرة جماعية خارج سرقسطة تحتوي على ٧ الاف جثة.

تقريبا في كل مكان باسبانيا تحرك نشطاء النقابات فيه بطريقة هجومية ضد الانتفاضة العسكرية وانضمت لهم قوى الشرطة، انهزم الانقلاب العسكري. في مدريد عديد من اعضاء حرس الهجوم كانوا اشتراكيين. اماكن قليلة هي التي استطاع الناس فيها هزيمة الجيش دون مساعدة البوليس. لم يكن هناك مكان في اسبانيا تمرد فيه جنود الجيش ضد ضباطهم دون ان يحاصروهم العمال ورجال الشرطة الغاضبون.

ضباط البحرية الاسبانية كان معظمهم تقريبا من ذوي الدماء الزرقاء ابناء الطغمة المالبة من كبار ملاك الارض. كانوا يحتقرون الصفوف الادنى من البحارة. العديد من البحارة الاسبان كانوا يعملون سابقا في صناعة النقل البحري التجاري في اسبانيا حيث كانوا على الاغلب اعضاء في نقابات الكونفدرالية او نقابات الاتحاد العام للعمال. كانوا هم ايضا يكرهون ضباطهم. في الليلة التي سبقت التاسع عشر من يوليو عقد البحارة في الاسطول الاسباني اجتماعات سرية، وانتخبوا لجان السفن، وشرعوا في القبض على الضباط الفاشيست او اطلاق النار عليهم.

بنهاية الاسبوعين، فقد الجنرالات الفاشيست تقريبا نصف قوة جيشهم القائم في اسبانيا، و٤٠٪ من قوة الشرطة وثلثي قوة البحرية ومعظم القوات الجوية. انهزم الانقلاب العسكري في ثلثي اسبانيا، بما فيها المناطق الصناعية والمدن الكبيرة.

اهم قوة كانت متاحة للجنرالات الفاشيست هي ٢٥ الف رجل يشكلون قوام الجيش الافريقي، وهي القوة الاستعمارية التي صلبت عودها المعارك من المرتزة ورجال العصابات الاجرامية. ومع سيطرة البحارة على سفن البلاد الحربية في يوليو، وتلك السفن تجوب مضيق جبل طارق جيئة وذهابا، اصبحت امكانية النقل البحري لجيش افريقيا من المغرب الى اسبانيا قضية مستحيلة مؤقتا. عند هذه النقطة، مدت المانيا النازية يد العون للجنرالات الفاشيست الاسبان بتزويدهم بطائرات وطيارين المان لنقل جيش افريقيا الى اسبانيا - وهو اول جسر جوي ينقل جيشا بأكمله الى ميدان المعركة في التاريخ العسكري. ومع استيلاء العمال على معامل تكرير النفط ومحطات البنزين في اسبانيا، تعرض الجيش الفاشي لخطر نفاد الوقود منه. قدمت شركة تكساكو ساعتها شكلا اخر من المعونات الدولية. الرئيس التنفيذي لهذه الشركة امر ناقلات النفط البحرية التي تجوب البحار التوجه الى الموانئ التي يسيطر عليها الجيش الفاشستي. زودت الشركة الجيش بمخمسة ملايين دولار بنزين في مقابل دفع أجل للثمن.

وفي نفس الوقت، ضباط البحرية البريطانية في جبل طارق اصابهم الرعب من مشاهدة السفن الحربية الاسبانية يقودها بحارة من الرتب الادنى غير مباينين بالقواعد التقليدية المرعية للزي وتبادل التحيات برفع قبضات اليد. عاون ضباط البحرية البريطانية الفاشيست الاسبان معاونة مباشرة. عندما كان الجيش الاسباني يحاصر من البر بلدة الجيسيراس، حاول بحارة الاسطول الاسباني حماية البلدة من البحر عن طريق اطلاق نيران مدافع سفنهم ضد مواقع الجيش الفاشي. منعت البحرية البريطانية ذلك بواسطة تحرك السفن الحربية البريطانية امام البلدة.

انشأت لجان تطهير في المدن التي استولى عليها الجيش الفاشي. تشكلت هذه اللجان بشكل نمطي من مسئول من البوليس، وكاهن، وممثل كتائب الفاشيست، ومالك ارض محلي. اعدت قوائم باسماء اليساريين المعروفين كان ينفذ فيهم الاعدام بشكل منهجي. طبقا لعضو من الكتائب: "٨٠٪ من الذين تم اعدامهم في الصفوف الخلفية كانوا عمال. استهدف القمع بتر الطبقة العاملة جسديا، وتدمير قوتها... لقد كانت حربا طبقية". تقول التقديرات ان السلطات اعدمت بين ١٠٠ و ٢٠٠ الف شخص في المنطقة التي سيطر عليها الفاشيون اثناء الحرب الاهلية.

بعد هزيمة الجيش في برشلونة في العشرين من يوليو، تدفق مئات الالاف من الناس في الشوارع، ليحتفلوا بالانتصار. رئيس البوليس، فريدريك ايسكوفيت، وقد انتابه القلق من نمو قوة كونفدرالية العمل، ارسل بالشرطة الى مستودعات سلاح الجيش في سانت اندرو حيث كان بالمخازن حوالي ٣٠ الف بندقية. ولكنهم وصلوا بعد فوات الاوان. كانت الفدرالية قد استولت على السلاح توا. احتلت الكونفدرالية ايضا التحصينات العسكرية في مونتيوخ، المطلة على برشلونة.

الكونفدرالية، اضافة الى توزيعها السلاح على جماعات الدفاع عن الاحياء، تحركت فورا لخلق جيشها الخاص. تم تجنيد الالف النساء والرجال من اعضاء نقابات الكونفدرالية. اصدرت لجنة الدفاع الكونفدرالية قرارا بمصادرة السيارات - تاكسيات، وسيارات ركوب الاغنياء، والحافلات، والشاحنات. نظمت طوابير من وحدات الميليشيا المتحركة بغرض القيام بهجوم لطرد الجيش من قطالونيا والمناطق المجاورة لها. سلطة اتخاذ القرار العليا في كل طابور كانت مجلس اعضاء الميليشيا. انتخب ضابط للقيادة ("المنسوب الرئيس") في كل طابور. الوحدات الادنى انتخبت مندوبا "لجنة الحرب" - اللجنة الادارية للطابور. ضابط الجيش الاسباني المتعاطف كان يلحق بكل طابور كمستشار فني. الاتجاه العام والكي للطوابير كان عمل لجنة الدفاع الخاصة باتحادات الكونفدرالية.

اثناء صيف ١٩٣٦، طردت طوابير ميليشيا العمال الجيش الفاشي من فالنسيا وقطالونيا خارج مقاطعة قطالونيا ومن مساحة ١٠٠ كيلومتر الى الغرب عبر منطقة اراجون - اوسع مساحة من الارض غنمتها واستولت عليها القوى المعادية للفاشية في الحرب الاهلية.

كانت برشلونة مركز صناعة السيارات الاسبانية. اتحاد الصناعات المعدنية في الكونفدرالية تحرك مباشرة بعد ١٩ يوليو لمصادرة ارصدة هذه الصناعة، وتحويلها الى الانتاج الحربي لصالح ميليشيا النقابة. خلال اسابيع، انشأت الكونفدرالية ٢٤ مصنعا للمعادن والكيماويات لصناعة القنابل والمتفجرات والسيارات المدرعة لصالح جيش العمال الثوري.

الجدل في الكونفدرالية حول السلطة السياسية

طبقا لاقوال مساعديه، كان لويس كومبانيز قلقا وعصبيا في ٢٠ يوليو. رئيس شرطته ايسكوفيت، كان قد حذرته بأن الشرطة لم يعد في استطاعتها اعادة تأكيد سلطة الحكومة. الكونفدرالية الان بحكم الامر الواقع تمتلك قوات مسلحة في قطالونيا. كان كومبانيز رئيسا للحكومة الاقليمية البرلمانية في قطالونيا ورئيس الحزب الجمهوري اليساري لقطالونيا. كان هذا الحزب قد هزم العصبة القطلونية، حزب الينزس الكبير، في انتخابات فبراير ١٩٣٦. الشرائح المتوسطة القطلونية - صغار التجار والينزس الصناعي الصغير، وصغار ملاك الارض، والمحامون والمهنيون، والمدراء والعائلات الفلاحية - كانوا القاعدة الاجتماعية الرئيسية للحزب الجمهوري اليساري.

شغل كومبانيز وظيفة المحامي السابق للكونفدرالية، ويعرف كثير من الاناركيين. احتاج الى توجيه نداء لهم يمنهم من الاطاحة بحكومته.

كان ريكرادو سانتز، وبونيفانتورا ديوروتي، وخوان جارسيا اوليفير نشطاء قياديين في لجنة الدفاع الاقليمي بالكونفدرالية، واعضاء في جماعة "نحن" (Nosotros) - احدى جماعات الفدرالية الاناركية الايبيرية. دعا كومبانيز هؤلاء الرجال الى مكتبته في العشرين من يوليو. اخبرهم كومبانيز:

"اول كل شيء يجب علي القول انه لم يتم التعامل ابدا مع كونفدرالية العمل ولا الفدرالية الاناركية بالاهتمام الواجب الذي يستحقه. لقد تعرضتم للملاحقة الفظة باستمرار. وانا، الذي اعتدت ان اكون معكم، اجبرتي الحقائق السياسية الواقعية على ان اعارضكم واطاردكم. انتم الان تسيطرون على المدينة وعلى قطالونيا لانكم بمفردكم استأصلتم العسكريين الفاشيين. ولكن دعني اذكركم انه لا ينقصكم العون اليوم من رجال حزبي، وايضا العون من الجندرية والحرس الرئاسي... لقد رجتم والسلطة بين ايديكم. لو انكم لستم في حاجة لي ولو انكم لا تريدوني كرئيس لقطالونيا، اخبروني الان ولسوف اكون مجرد جندي اخر في الكفاح... انتم تستطيعون الاعتماد على ولائي كرجل وكقائد حزب يؤمن ان الماضي المجلل بالعار قد اتي الى نهايته اليوم وانا آمل مخلصا ان قطالونيا سوف تقف في طليعة البلاد الاكثر تقدما في القضايا الاجتماعية".

اقترح كومبانيز عندئذ مشاركة الكونفدرالية في لجنة ميليشيا معادية للفاشية، تسيطر عليها احزاب الجبهة الشعبية، لادارة المجهود الحربي ضد العسكرية الفاشية. تلك كانت مراهنه قمار ماهرة لأن استقلال اللجنة الاسمي عن الدولة سوف يسمح للاناركيين ان يقولوا انهم لا يشاركون في هيئة حكومية ولكن ذلك سوف يجبرهم الى سياق عمل تحت سيطرة زعماء احزاب الجبهة الشعبية، ولسوف يترك الحكومة سليمة لا تمس.

كان الرأي الشخصي لسانتر وديوروتي وجاريسا اوليفير ان الكونفدرالية يجب عليها الاطاحة بالحكومة الاقليمية ، ولكنهم لم يصرحوا بهذا الرأي لكومبانيز. اخبروه ان الكونفدرالية هي التي تتخذ قرار فيما يجب عمله. تلك الليلة، عقد مجلس برشلونة المحلي للعمل في الكونفدرالية لقاء لتقرير موقفه من هذا الموضوع. في ذلك اللقاء، كان موقف جاريسا اوليفير ان "الحركة يجب ان تستولى على السلطة". فيليكس كاراسكير، احد معلمي المدارس، ودييجو عباد دي سانتيلان، كلاهما ممثلان للكونفدرالية الاناركسية، دخلا سجالا ضد اقتراح جاريسا اوليفير. الا ان الجدل حكمه اطار مفردات سؤال: "هل يجب ان نفرض رؤيتنا بالشيوعية التحررية؟ هل يجب ان تحكم الكونفدرالية بمفردها؟" كان منطق كاراسكير وعباد دي سانتيلان ان ذلك سوف يكون ديكتاتورية تفرضها الاقلية. بعد نقاش ساخن، صوت مجلس برشلونة للعمل ضد اختيار الاستيلاء على السلطة .

ومع ذلك، هذا القرار لم يفض الى تسوية المسألة. القرار الفعلي سوف يقرره الاجتماع الشامل الاقليمي لكل المجالس المحلية للعمل في الكونفدرالية لمنطقة قطلونيا. دعت السكرتارية الاقليمية للقاء في ٢٣ يوليو. كان هذا اللقاء الاقليمي الشامل اجتماعا لاكثر من ٥٠٠ مندوب عن المجالس المحلية للعمل في الكونفدرالية. اقيم الاجتماع في كاسا دي كامبا، المقر الرئيسي السابق لجمعية اصحاب العمل. هذا المبنى الواسع كان قد تم الاستيلاء عليه كعمل ثوري، من اجل توفير فضاء لاجتماعات الكونفدرالية، وفدرالية الاناركيين ومنظمة النساء الاناركيات.

اقترح وفد مجلس العمال في منطقة بايو لوبريجات ان الاتحادات النقابية يجب ان تستولى على السلطة وتطيح بالحكومة الاقليمية؛ الان حانت اللحظة لتنفيذ برنامج كونفدرالية العمل الثوري، من وجهة نظرهم. بايو لوبريجات هي منطقة الضواحي الصناعية في الحد الجنوبي لبرشلونة، وهي منطقة تم بناؤها اثناء الرواج الصناعي في العشرينات. طلب وفد بايو لوبريجات من جاريسا اوليفير ان ينسق ويعتمد على موقفهم اثناء الجدل. كان جاريسا اوليفير خطيبا مفوها عمل معظم حياته كنادل في المقاهي، عندما لم يكن في السجن. تركته خبرة حياته الطويلة في الكفاح الطبقي متمتعا باحساس قوي ان الطبقة العاملة سوف يكون عليها ان تفرض ارادتها على المجتمع اذا ما كان له ان يحرر نفسه ابدا.

شدد جاريسا اوليفير على ان العملية الثورية يجب ان نحكمها، ولا يمكن تركها في فراغ سلطة، هذا الفراغ الذي "سوف يسمح للاتجاهات الماركسية المتنوعة ان تمسك بزمام الامور وتقضي علينا". السكرتير الاقليمي، ماريانو فاسكيز - عامل بناء من اصل غجري - حافظ على موقفه باستمرار بأنهم يجب ان يقبلوا بعرض كومبانيز بالمشاركة في لجنة ميليشيا معادية للفاشية مؤقتا بينما "يحكمون من الشوارع".

كان المتحدثون الرئيسيون ضد جاريسا اوليفير هم فيدريكا مونتسني ودييجو عباد دي سانتيلان. مونتسني - روائية اناركسية وخطيبة مفوهة تمتلك منزلا في حي راق ببرشلونة - كانت من اتباع الاناركسية الفردية المتطرفة لماكس شتيرنر. كان كلا من مونتسني وعباد دي سانتيلان عضوين في جماعة نيرفيو احدى جماعات فدرالية الاناركيين الايبيريين. مونتسني كانت عضوة بلجنة شبه الجزيرة في فدرالية الاناركيين وكلاهما هي ودي سانتيلان تواجدا في هذا الاجتماع كممثلين للكونفدرالية الاناركسية الايبيرية.

كان منطق مونتسني ان مقترح جاريسا اوليفير لتنفيذ برنامج الكونفدرالية "بالشيوعية التحررية" سوف يعني فرض "ديكتاتورية اناركسية" على السكان. ركز عباد دي سانتيلان على خطر التدخل الاجنبي، مشيرا الى وجود السفن الحربية البريطانية بالقرب من الشواطئ الاسبانية.

اشار جاريسا اوليفير، في رده عليهما، الى انه لم يتكلم ابدا عن "ديكتاتورية" للاناركيين او للكونفدرالية. واعترض على وصف حكم اتحادات العمال النقابية "ديكتاتورية". واحتج جاريسا اوليفير بأن الكونفدرالية، بوصفها منظمة الاغلبية العمالية، عليها التزام ان تنصدر الطريق الى الامام في الثورة وانه يؤمن ان الممارسات التحررية الديمقراطية وايدولوجية الكونفدرالية سوف تكون ضمانا بأن حاكمية الاتحادات النقابية للمجتمع لن تتحلل الى نظام حكم سلطوي. وصنف تعليقات عباد دي سانتيلان بوصفها فقط دعوة للخوف. وفي رد على فاسكيز، قال جاريسا اوليفير انه على الاقل اعترفت السكرتارية الاقليمية بأن الثورة يجب ان نحكمها. ولكنه اصر على ان الكونفدرالية يجب ان تتحمل مسؤولية صنع الثورة.

واثناء حديث جاريسا اوليفير، قطع حديثه بملاحظة ان فيدل ميرو - عضو اخر من جماعة نيرفيو الاناركسية وناشط في جماعة الشبيبة التحررية - كان يتنقل من مندوبين الى مندوبين اخرين في القاعة، ليحشد الاصوات. عندما جرى التصويت، اقترح التعاون مع احزاب الجبهة الشعبية في لجنة ميليشيا معادية للفاشية حصل على الاغلبية .

في ذكرياته الشخصية، اشار جارسيا اوليفير الى ان المندوبين تجمعوا على عجلة، دون اي فرصة للتشاور مع النشطاء في الاتحادات النقابية او فرصة لمناقشة تبعات ما هم بصدد تقريره. اعتقد جارسيا اوليفير ان اللقاء خضع زيادة عن اللزوم لنفوذ "المثقفين الاناركيين من البورجوازية الصغيرة" مثل مونتسيني وعباد دي سانتيلان، اللذان امتلکا نفوذا مؤكدا من خلال الصحافة الاناركية في قطلونيا.

لكن لماذا تأرجح موقف مندوبي المجالس العمالية مع ملاحظات مونتسيني ودي سانتيلان؟ تصور السلطة السياسية للاتحادات النقابية على انها "ديكتاتورية الكونفدرالية الوطنية للعمل" ربما يكون نتيجة لابهام في المفهوم السينديكالي عن الحياة السياسية "المجازية". الفكرة بأن الاتحادات النقابية التحررية "تمثل تصورا مستقبليا" لمجتمع يتمتع بالادارة الذاتية لثبوتونه يمكن تفسيرها على انها تعني ان الاتحاد النقابي نفسه يمسك بالادارة الاقتصادية والسياسية للمجتمع - والسينديكاليون قد يتكلمون هكذا في بعض الاحيان. وهذا قد يؤدي الى استنتاج ان الكونفدرالية نفسها قد تكون الهيكل الحاكم للحياة الاقتصادية والسياسية. من هنا "ديكتاتورية كونفدرالية العمل الوطنية".

ولكن المفهوم السينديكالي للحياة السياسية المجازية، "بناء المجتمع الجديد في رحم القديم"، لا يجب ان يفسر بهذه الطريقة. من الممكن ان نفهمه على انه يعني ان ممارسات وعادات ديموقراطية المشاركة المألوفة تقوم من خلال منظمات الاتحادات النقابية الجماهيرية ومن ثم ينعكس هذا في الهياكل الجديدة لادارة العمال للاقتصاد وهياكل الحاكمية السياسية، المنفصلة عن الاتحادات النقابية نفسها. كانت كونفدرالية العمل الوطنية ذات العضوية البالغة ٣٥٠ الف عضوا هي منظمة العمال ذات الاغلبية في قطلونيا. كانت سوف تمتلك نفوذا عظيما على الاتجاه الذي سوف يأخذه هيكل السلطة السياسية الذي يشارك فيه الاتحاد العام للعمال (UGT) وفدرالية العمل للوحدة النقابية الماركسية (FOUS) كأقليات.

حديث مونتسيني عن "ديكتاتورية الكونفدرالية" دمجته هذه السيدة بعناية ليمتلك جاذبية للافكار المسبقة عند الاناركيين. ولكن ذلك الرأي لم يضع اطارا مناسباً للاوضاع التي كانت تواجه الكونفدرالية في ذلك الوقت. في الشهور التي تلت، سوف تصر الكونفدرالية على ان هدفها هو "انتصار الثورة البروليتارية". النصر في هذا المسعى كان يتطلب ان تهدم الطبقة العاملة القواعد المؤسسية التي تقوم عليها سلطة الطبقات التي تهيمن على الطبقة العاملة وتستغلها.

القاعدة الاجتماعية التي قامت عليها الاحزاب السياسية الجمهورية في اسبانيا كانت طبقات البرنس الصغير والفئات المهنية والفئات التي تشغل الوظائف الادارية العليا. هذه الطبقات الاجتماعية كانت سوف تعارض لا محالة الثورة البروليتارية، حيث ان الاخيرة كانت ولا بد انها سوف تحل سلطة وامتيازات هذه الطبقات. اي سلطة سوف يحتفظ بها قادة الاحزاب القومية الجمهورية واحزاب الباسك الوطنية في الحكم سوف تستخدم لعاقة عملية تمكين الطبقة العاملة. اكثر من ذلك، الحزب الشيوعي، منذ تبنيه للتوجه نحو "الجبهة الشعبية"، والجناح الاجتماعي الديموقراطي في حزب العمال الاشتراكي الاسباني، تحالف هذان الحزبان مع هذه الشرائح الوسطى المعادية للفاشية.

من ناحية اخرى، ومن الواضح بشكل مساوي، ان انتصار للطبقة العاملة كان يحتاج الى اقصى قدر من وحدة الطبقة العاملة. لم تستطع الكونفدرالية تجاهل ١.٤ مليون عامل في الاتحاد العام للعمال. وفي قطلونيا، كان هناك ايضا ٧٠ الف عامل في اتحادات فدرالية العمل للوحدة النقابية التابعة لحزب العمال للتوحيد الماركسي. جماهير اعضاء الكونفدرالية في كفاح الحياة او الموت ضد الجيش، كانت تصر على ضرورة ان تشكل الكونفدرالية تحالف مع منظمات الطبقة العاملة الاخرى. وكانت الكونفدرالية توا قد الزمت نفسها "بتحالف العمال الثوري" مع الاتحاد العام للعمال في الكونجرس الذي عقدته في مايو. وحدة الكونفدرالية مع الاتحاد العام في انتفاضة استورياس في اكتوبر ١٩٣٤ كانت مثالا يألّفه كل فرد من الناس.

اذا لم تتمكن الكونفدرالية من الخروج ببرنامج عملي من اجل سلطة سياسية موحدة للطبقة العاملة، فقد كان هذا يعني ان البديل الوحيد سوف يكون تلك الاستراتيجية التي يروج لها الشيوعيين واحزاب الجبهة الشعبية الاخرى: وحدة من اعلى الى اسفل بين قادة وزعماء احزاب الجبهة الشعبية من خلال دولة جمهورية يعاد بناءها. لم يكن هناك اختيار اخر واقعي. اما ان تستولي الكونفدرالية على السلطة السياسية بالاشتراك مع اتحادات نقابية اخرى، او ان يقود الاحتياج الى الوحدة في الكفاح ضد الجيش الفاشي الى حل الجبهة الشعبية. في الحالة الاخيرة، سوف يعاد بناء الدولة الاسبانية - جهازا استبداديا تراتبيا يستخدم للدفاع عن مصالح الطبقات التي تهيمن على الطبقة العاملة.

ورغم ان جهاز الدولة الجمهورية كان منزوع السلاح بشكل مؤقت، بسبب تمرد الجيش القديم والشرطة القديمة وبناء ميليشيا العمال الثورية، الا ان جهاز الدولة كان مازال محتفظا بموارد ذات وزن ما دام سليما لم يمس. كان جهاز الدولة هذا يمتلك شرعية اجتماعية في عيون الطبقات الوسطى الجمهورية، وكان مسيطرا على النظام المالي للبلاد، واحتياطي الذهب والعملات الاجنبية والعلاقات التجارية. تقريبا بعد الانقلاب مباشرة بدأ الحزب الشيوعي حملته لاعادة بناء الدولة الجمهورية.

ومعنى هذا ان السؤال الحقيقي الذي واجهته الكونفدرالية كان هو كيف تخلق هيكلًا مشتركًا لحكم البلاد مع الاتحادات النقابية الاخرى، يكتسح من امامه جهاز الدولة القديم ويعمل على تأسيس سلطة الطبقة العاملة.

ما فعلته الكونفدرالية كان فعليا الالتفاف حول هذا الاستنتاج... ولكن ذلك اخذ منها ستة اسابيع اخرى من الجدل في الاتحاد.

لجنة الميليشيا المعادية للفاشية في قطالونيا لم تكن اداة "السلطة المزدوجة" للطبقة العاملة. في الواقع زعماء الجبهة الشعبية سيطروا على اللجنة، بالضبط مثلما سيطروا على الحكومة. عدد اعضاء الكونفدرالية البالغ عددهم ٣٥٠ الف شخص كان لهم فقط ثلاث مقاعد من ١٥ مقعدا في اللجنة، مع مقعدين اثنين آخرين لفدرالية الاناركيين الايبيرية. الاتحاد العام للعمال الذي كانت عضويته ١٠٠ الف في قطالونيا، كان لديه ايضا ثلاثة مقاعد. اتحاد مزارعي اسكويرا احتل مقعدا واحدا. كان للحزب السياسية الجمهورية الممثلة للطبقة الوسطى اربعة نواب.

خلال ايام بعد الانقلاب العسكري، تشكلت منظمة سياسية جديدة في قطالونيا - الحزب الاشتراكي الموحد لقطالونيا (PSUC). تشكل هذا الحزب من اندماج اربعة احزاب صغيرة: قسم من حزب العمال الاشتراكي الاسباني (PSOE) في قطالونيا، والحزب الشيوعي القطلوني (PCC) والحزب البروليتاري (وهو جماعة عمالية قطلونية قومية)، والاتحاد الاشتراكي (وهي جماعة ديموقراطية اجتماعية). الحزب الاشتراكي الموحد لقطالونيا، ٦ الاف عضو، اصبح فرعا للحزب الشيوعي الاسباني (PCE) التابع لخط موسكو في قطالونيا. احتل الحزب الاشتراكي الموحد لقطالونيا مقعدين اثنين في لجنة الميليشيا المعادية للفاشية، رغم ان حزب العمال لتوحيد الماركسيين (POUM) الاكثر عددا احتل مقعدا واحدا.

فدرالية العمل للوحدة النقابية الماركسية (FOUS) ذات الـ ٧٠ الف عضو لم يكن لها ممثلين. في اغسطس زعماء الكونفدرالية الاقليميين في قطالونيا يدخلون في صفقة مع الاتحاد العام للعمال من اجل السماح فقط لحاملي بطاقات الاتحادات النقابية لكلا المنظمين بالدخول في نظام حصص الطعام الذي نشأ في اعقاب الانقلاب الفاشي. وقد اجبر هذا الاجراء حل فدرالية العمل للوحدة النقابية الماركسية (FOUS). كان هذا خطأ طائفا من جانب قادة السينديكالية الاناركية. كان الخط السياسي لحزب العمال لوحدة الماركسيين (POUM) اقرب لخط الكونفدرالية منها لخط الشيوعيين المواليين لموسكو. وسرعان ما دعم الشيوعيون سيطرتهم على الاتحاد العام للعمال في قطالونيا. لو تركت فدرالية العمل للوحدة النقابية (FOUS) سليمة لم تمس لتوفر للكونفدرالية حليفا هاما.

برهنت لجنة الميليشيا المعادية للفاشية على عدم فاعليتها. لم تكن هناك سياسة موحدة او تنسيق حقيقي. كل منظمة استخدمت مواقعها كما تهوى وتريد. فدرالية مزارعي اسكويرا، والحزب الاشتراكي الموحد لقطالونيا وحزب العمال لوحدة الماركسيين كل من هذه المنظمات امتلكت فرق ميليشياتها الخاصة، متباعدة بها عن ميليشيا اتحادات الكونفدرالية الاوسع والاكثر عددا. كل واحدة من هذه المنظمات ادارت ميليشيتها ووفرت لها نظام امداد خاص بها وحدها. كان هذا هو النسق في اسبانيا كلها. لم تكن تلك هي الطريقة الفعالة لادارة كفاح مسلح ضد الجيش الفاشي. كان هناك فشلا عاما في التنسيق.

نشطاء الكونفدرالية القياديون وقادة الميليشيا رأوا حاجة واضحة لقيادة موحدة ونظم امداد وتدريب موحدة. وإن لم يستطعوا القيام بذلك نحو الميليشيا، فلسوف يكون هناك بالتأكيد ضغوط من اجل اعادة خلق جيش تقليدي تديره الدولة الجمهورية. خلال ايام من الانقلاب العسكري، بدأ الحزب الشيوعي دق الطبول من اجل اعادة خلق عسكرية تقليدية تتخذ الاوامر من اعلى الى اسفل.

كان من الممكن انقاذ نظام الميليشيا لو كانت الكونفدرالية قد تمكنت من إيجاد طريقة لخلق ميليشيا موحدة. الطريق الوحيد لصنع ذلك كان سوف يكون خلق هيكل حكم عمالي موحد لكل اسبانيا. كانت الاتحادات النقابية في حاجة للاستيلاء على السلطة.

لمعارضة السعي نحو اعادة بناء جيش هرمي تراتيبي قديم، التي جارسيا اوليفير بخطاب في ١٠ اغسطس، مناديا بجيش ثوري للشعب:

"جيش الشعب الخارج من رحم الميليشيا يجب ان ينتظم على مبادئ جديدة. سوف ننظم مدرسة عسكرية ثورية ندرّب فيها الضباط الفنيون الذين لن يكونوا نسخة كربون من الضباط القدامى، ولكن بالاحرى وببساطة فنيين يتبعون تعليمات الضباط الذين اثبتوا ولاءهم للشعب والبروليتاريا".

في اجتماع شامل اخر للكونفدرالية في قطلونيا في اخر ايام اغسطس، جارسيا اوليفير، شاعرا بالاحباط والسخط من عجز لجنة الميليشيا المعادية للفاشية، اقترح مرة اخرى ان تستولى الكونفدرالية على السلطة، وان تلغي الجمهورية الاقليمية، وتقليل زعماء الاحزاب السياسية من اي دور، وتحتزل دور الاتحاد العام للعمال الى اقلية، متماشيا مع حجمها في قطلونيا.

في ٣١ اغسطس، خوسيه جيرال، رئيس الوزراء في مدريد، اخبر عضوا في لجنة الكونفدرالية الوطنية: "كل شيء بين ايدي الكونفدرالية! الكونفدرالية تدير الحرب كما تريد ولكن دون المشاركة في المسئوليات العليا. احكموا! استولوا على السلطة!".

في الاخير، اقيم مؤتمر لكامل الهيئة القومية للكونفدرالية في ٣ ديسمبر، بناء على اصرار الوفد الاقليمي لقطلونيا، وقررت الكونفدرالية التقدم باقتراح تشكيل حكومة عمالية ثورية لتحل محل الحكومة القومية للجبهة الشعبية: مجلس دفاع وطني يتكون من سبع مندوبين من الاتحاد العام للعمال وسبعة من الكونفدرالية، مع لارجو كابليرو رئيسا. المجلس الوطني سوف يكون جزءا من نظام فدرالي مع مجالس دفاع اقليمية. سلطات هذه المجالس سوف تكون مقصورة على وظيفة الدفاع الذاتي الاجتماعي - "محاكم الشعب"، وميليشيا الشعب الموحدة. لن يكون لمجالس الدفاع اي سلطة للتدخل في ادارة الصناعة؛ سوف تدار الصناعات بواسطة العمال. كتب عميل روسي في اسبانيا رسالة للسلطات السوفيتية قال فيها: "وجد التفكير في خلق مثل هذه المجالس استجابة واسعة حتى بين الجماهير التي لم تكن تحت سيطرة نفوذ الاناركيين". اقترحت الكونفدرالية ميليشيا الشعب الموحدة التي سوف تقوم بالسيطرة على "مفوضيات الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال المشتركة". سوف يكون لدى العمل المنظم احتكارا للسلطة المسلحة في اسبانيا.

ومع ذلك، فات الوقت بالنسبة للكونفدرالية. طوال الستة اسابيع الاولى بعد الانقلاب العسكري، ترأس الحكومة في مدريد ليبراليون عاجزون بلا فعالية. ومع ذلك، لارجو كابليرو، السكرتير التنفيذي للاتحاد العام للعمال، كان قد اصبح توا رئيسا للوزراء في اوائل سبتمبر. وصرح كابليرو علنا ان الثورة يجب عليها ان تجمد حركتها حتى نهزم الجيش الفاشي. مارسيل روزنبرج، السفير السوفيتي، حذر كابليرو من ان اقتراح الكونفدرالية سوف يدمر "الشرعية الدولية" للجمهورية الاسبانية. مانويل ازانيا، رئيس الجمهورية، هدد بالاستقالة. ممثلو الكونفدرالية، لمجاملة الشيوعيين، عقدوا لقاء مع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاسباني واكدوا لهم ان كوادرم في نقابات الاتحاد العام للعمال تعتبر تمثيلا لهم في السلطة المقترحة.

تاريخ لارجو كابليرو والاشتراكيون اليساريون كان تاريخا من التأرجح. كانوا يتكلمون عن "الثورة البروليتارية" في لحظة، ثم يتراجعون بعدها لمواقف اشتراكية ديموقراطية معتدلة في اللحظة التالية. لاعطاء شخصية كابليرو بعض القوة، احتاج الامر وضعه في موقف حرج. في قطلونيا كانت الكونفدرالية تمتلك المقدرة على شطب الحكومة الاقليمية ببساطة وتنفيذ اقتراح مجلس مشترك للحكم مع الاتحادات النقابية الاخرى. ولكن القيام بذلك كان سوف يجبر الاتحاد العام للعمال على تطبيق هذا الحل في كل انحاء اسبانيا.

انشتت مجالس للدفاع الاقليمي في استورياس وارجون. مجلس استورياس تشكل من ١٥ عضوا، بأغلبية من الاتحاد العام للعمال. اخذ الجمهوريون من الطبقات الوسطى مقعدان فقط. في اراجون فكرة المبادرة بتشكيل مجلس دفاع اقليمي تسيطر عليه الكونفدرالية جاءت من الاتحادات النقابية في القرى التابعة للكونفدرالية في منطقة اراجون التي حررتها الميليشيا العمالية.

ولكن قطلونيا كانت اكثر اهمية بكثير من مقاطعتي استورياس وارجون الريفيتان. كان لقطلونيا ثلاث ارباع طاقات اسبانيا الصناعية واوسع مدينة في اسبانيا. لو كانت حكومة قطلونيا الاقليمية قد استبدلت بهيكل حكم الطبقة العاملة، لم يكن يستطيع كابليرو تجاهل ذلك. ولكن بدلا من ذلك، ذهبت كونفدرالية قطلونيا في الاتجاه المضاد. انضمت الكونفدرالية الى الحكومة الاقليمية في ٢٦ سبتمبر. وقد نسف ذلك بالكامل قدرة الكونفدرالية على المقايضة مع كابليرو لانها بذلك اخبرته انها غير جادة في مقترح مجلس الدفاع.

وبينما كانت المفاوضات تدور في مدريد بين الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال حول مجلس الدفاع الوطني، اقام ادواردو دي جوزمان محرر صحيفة الكونفدرالية المسماة "كاستيلا ليبرا" في مدريد. في رأيه، مبادرة تشكيل حكومة الطبقة العاملة في مدريد عرقلها فشل الكونفدرالية في الاستيلاء على السلطة في

برشلونة، وحتى لو لم يكن التنفيذ الكامل "للسيوعية التحررية" ممكنا في هذه اللحظة، كان من الممكن خلق "حكومة بروليتارية - ديموقراطية طبقة عاملة شاملة تمثل فيها كل قطاعات البروليتاريا - ولكن البروليتاريا وحدها... ان تصنع ثورة، يجب الاستيلاء على السلطة. لو كانت الكونفدرالية فعلت ذلك في قطلونيا، لكانت قد ساعدت، ولم تق، وضعنا كاقلية في مدريد. ولكنهم اعتقدوا ان السيطرة على الشارع لا تكفي، ولا ان تكون مسيطرا على السلاح. لقد اغفلوا بالكامل اهمية جهاز الدولة".

طبقا لما قاله جوزمان، "كانت البرجوازية الصغيرة لا محالة معارضة للبروليتاريا. كان الشيوعيون يجندون اعضاء من هذه الطبقة، وكان من المقدر للتحالف مع الجمهوريين من البرجوازيين الصغار ان يمنح هذا المعسكر قوة اذا ما اعيد تأسيس الحكومة الاقليمية والحكومة المركزية". اعتقد جوزمان ان تلك كانت غلطة الكونفدرالية، الا تندفع نحو اقامة حكومة الطبقة العاملة من البدايات الاولى حين انعدم على الاطلاق وجود حكومة ذات فعالية في مدريد". في رأيه، "ضاعت لحظة ثورية حملت في ثناياها وعدا عظيما".

افترض دي جوزمان وجود تشوش حول مفهوم "رفض العمل السياسي" في الكونفدرالية. في رأيه ان ذلك كان يجب ان يعني "ببساطة الا نشارك في مهزلة الانتخابات البرلمانية". وهو ليس مثل القول بأن العمل السياسي - هيكل الادارة الشعبية للحكم - امر ضروري من اجل استبدال الدولة. وبالضبط مثل تشديد السينديكاليين على أن استمرار وتواصل الانتاج الاجتماعي يتم الحفاظ عليه وصيانة استمراره عبر عملية التحول الاجتماعي، نفس المنطق يمكن تطبيقه على الوظائف السياسية - صنع وتنفيذ القوانين الاساسية في المجتمع. تلك الوظائف هي ايضا وظائف ضرورية.

استجابة لهيوم الاشتراكيين وهواجسهم حول ولاء "البرجوازية الصغيرة المعادية للفاشية"، عدلت الكونفدرالية مقترحها بمجالس الدفاع الوطنية، في اجتماع لكامل هيئتها الوطنية في منتصف سبتمبر، فاصبح المجلس يتشكل من خمس مندوبين عن الكونفدرالية، وخمسة من الاتحاد العام للعمال، واربعة ممثلين للاحزاب الجمهورية. بهذا التعديل، تبنى احد الاحزاب الجمهورية الصغيرة - الجمهوريون الفدراليون - مقترح الكونفدرالية. ولكن لارجو كاباليرو استمر في رفض الاقتراح باعتباره "قفزة خارج اطار الدستور". بانضمام الكونفدرالية للحكومة الاقليمية في قطلونيا، عرف كاباليرو ان الكونفدرالية ليست جادة في اقتراحها. قدم كاباليرو اقتراحا مضادا: ان تنضم الكونفدرالية لحكومة الجبهة الشعبية القائمة.

وفي النهاية، وفي اجتماع اخر لكامل هيئة الكونفدرالية في ٢٨ سبتمبر، هوراشيو برييتو، سكرتير جماعة الثلاثينيين القومية في الكونفدرالية، دفع في اتجاه قبول عرض كاباليرو. عارض وفد قطلونيا هذا الرأي بعناد. التنظيم الاقليمي في قطلونيا لم يكن منسجما في الرأي - فقد عارض ان تقوم الكونفدرالية على المستوى القومي بفعل ما كانوا قد فعلوه هم في قطلونيا.

الكونفدرالية في الاخير، وقد فشلت في تخطيط مسارا متماسكا لتوحيد الطبقة العاملة في بنائها لهيكل حكم جديدة، واستبدال الدولة الجمهورية، انضمت الى الحكومة القومية للجبهة الشعبية في ٣ نوفمبر، واحتلت اربعة مقاعد فقط من ١٨ مقعد وزاري. في اللقاء الاول للحكومة الجديدة، اقترح خوان ببيرو ان توافق الحكومة على شرعية تحويل الاقتصاد الاسباني كله الى الشكل التعاوني. اوقف هذه المبادرة اعتراض الجمهوريون من الطبقات الوسطى، والقوميون من اقليم الباسك، وحلفاءهم الشيوعيون والاشتراكيون الديموقراطيون.

خلال شهر اكتوبر كله، الصحيفة اليومية للكونفدرالية في برشلونة، سوليدارidad اوبريرا، صعدت حملة كبرى تدعو لمقترح مجلس دفاع قومي مشترك بين الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال. الان وقد اختارت الكونفدرالية التعاون من خلال جبهة شعبية، ارادت اللجنة الاقليمية للكونفدرالية خطأ "ثوريا اقل صلابة" في هذه الصحيفة. من بين هيئة التحرير الذين اقبلوا بسبب معارضتهم لسياسة التعاون مع الجبهة الشعبية كان الصحفي المعوق، حاييم باليوس ومدير تحرير الصحيفة، ليبرتو كاليخاس. سوف يظهر كلا من باليوس وكاليخاس فيما بعد على سطح الاحداث في محاولة لاعادة احياء مقترح مجلس الدفاع العمالي في ربيع ١٩٣٧.

الاتحادات النقابية تتحرك نحو تحقيق التحول الاجتماعي من اسفل

لا يوجد تعبير اوضح عن الروح الثورية للكونفدرالية عن نزع الملكية الواسع للصناعة الرأسمالية في اسبانيا الذي تم على ايدي اعضائها في صيف عام ١٩٣٦، وادارة العمال المباشرة لها اثناء الحرب الاهلية.

في منطقة برشلونة وحدها، استولت الاتحادات النقابية على أكثر من ٣٠٠٠ منشأة كبيرة. لم تصدر تعليمات للقيام بذلك من اللجان القومية او الاقليمية في الكونفدرالية. جرت تلك التحركات بمبادرة من نشطاء الاتحادات المحلية. انتشرت عمليات نزع الملكية الخاصة للمنشآت الانتاجية في قطلونيا متزامنة مع سيطرة الكونفدرالية بحكم الامر الواقع على السلطة المسلحة.

بيرنيت بولوتن، كان مراسلا امريكيا لوكالة يو بي اي في اسبانيا في ذلك الوقت. من بين الصناعات التي وضعها بولوتن في قائمته كصناعات "صادرتها الاتحادات النقابية وتسيطر عليها لجان العمال" كانت الصناعات التالية: السكك الحديدية، النقل البحري التجاري، سيارات الاجرة والحافلات العامة والتاكسيات وشركات القوى الكهربائية، والغاز، والمياه، ومصانع عبوات الزجاج، والعطور، والنسيج والورق والاسمنت ومصانع صناعة الاغذية والبيرة وصناعة السينما والمسرح، والمسارح الاستعراضية ودار الاوبرا الكبرى، والصحف والمطابع، والمتاجر الكبرى، والفنادق والمطاعم الفاخرة والبارات. اضافة الى ذلك، شركات النقل البري، والمخابز، ومحلات الحلابين وصناعات الزجاج والبلور، والصناعات البدائية في جبال البيرينيز، وصناعة الاثاث، والمستشفيات صودرت ايضا. الاتحاد القومي لنقابات التليفونات الصناعية للكونفدرالية الوطنية للعمل استولى على شركة التليفون الوطنية الاسبانية، اكبر فروع الشركة الامريكية المتعددة الجنسيات اي تي. في. في فالنسيا، خلقت الكونفدرالية منظمة لادارة شراء وتعبئة وتصدير محاصيل الموالح - اكبر مصدر في اسبانيا للعمولات الصعبة من التبادل الاجنبي في الثلاثينات.

صودرت الاف من بيوت الاثرياء ومثلها من الشقق الواسعة في المباني السكنية الضخمة. كان هناك على الاقل ٢٠٠٠ من التجمعات الزراعية التعاونية تأسست في انحاء المنطقة المحررة المعادية للفاشية.

وقبل مناقشة تفاصيل الادارة الذاتية التي خلقتها الاتحادات النقابية، من المفيد ان نضع في بالنا ماذا كان غرض الكونفدرالية من ذلك. قبل الحرب الاهلية، لم تدافع الكونفدرالية ابدا عن مبدأ أن اماكن العمل يجب ان تصبح ملكية تعاونية خاصة لعمالها.

دافعت الكونفدرالية عن مبدأ الملكية الاجتماعية. كل مواقع العمل في صناعة ما يجب ان تتجمع معا في فدرالية صناعية تكون مسئولة عن ادارة تلك الصناعة. سوف تنسق مجالس اقتصادية اقليمية وقومية بين الفدراليات الصناعية. سوف تنعكس الملكية الاجتماعية في عملية تطوير الخطط الاجتماعية المتوقع ان تلزم بها هذه الفدراليات الصناعية من خلال عملها. كما كتب عباد دي سانتيلان، المجالس الاقتصادية "سوف تتلقى الاوامر والتعليمات من اسفل، عمل المجالس الاقتصادية هو ضبط تفاصيل هذه التعليمات طبقا لما تخرج به المؤتمرات الاقليمية والقومية".

وطبقا لقول خوان فيرر، صاحب المكتبة الذي كان سكرتيرا لاتحاد نقابات العمال التجاريين في الكونفدرالية ببرشلونة:

"كانت فكرتنا في الكونفدرالية بأن كل شيء يجب ان يبدأ من العمال، وليس - كما ينادي الشيوعيون - كل شيء يجب ان تديره الدولة. ولذلك اردنا من اجل تحقيق هذه الغاية ان ننشئ فدراليات صناعية - للنسيج والصناعات المعدنية واقسام المتاجر الكبرى الخ - سوف تكون ممثلة في مجالس اقتصاديات كلية (macroeconomics) تقوم بادارة الاقتصاد. كل شيء، بما فيه التخطيط الاقتصادي، سوف يبقى هكذا بين ايدي العمال".

وفي تنويعات على هذا الموضوع اقراها كونجرس سرقسطة، كان هناك ايضا اسهام في مدخلات عملية التخطيط الاجتماعي حول قضية من يحدد ماذا ننتج وهي مجالس السكان حسب النطاق الجغرافي في الاحياء او القرى وفي مؤتمرات الشعب الاقليمية والقومية التي تصل ما بين هذه المجالس السكانية وبعضها البعض.

من وجهة نظر السينديكالية التحررية، التحويل الاجتماعي للاقتصاد من المفترض بانه "من اسفل"، من خلال النشاط المباشر للعمال انفسهم. كان هناك جانبين او مرحلتين لعملية التحويل الاجتماعي السينديكالي. المرحلة الاولى كانت مصادرة ممتلكات الرأسماليين وخلق فدراليات صناعية، لقمع منافسة السوق بين المشاريع في الصناعة الواحدة. المرحلة الثانية كان من المفترض ان تكون التخطيط الاجتماعي الكلي. في الواقع العملي، لم تصل اسبانيا ابدا الى هذه المرحلة الثانية.

في عدد من الصناعات، تحركت الاتحادات النقابية سريعا لخلق فدراليات صناعية، لتدمج بين اربعة البزنس في تلك الصناعة. واينما نشأت فدراليات صناعية، كانت تلك الفدراليات من نوعين. في بعض الحالات، اصبحت اتحادات نقابات الكونفدرالية نفسها فدراليات صناعية تدير الصناعة. وفي حالات اخرى، كانت الفدرالية الصناعية هيكلًا جديدًا، منفصلاً عن الاتحاد النقابي. مال هذا النوع الثاني من الفدراليات الصناعية الى الظهور في الاماكن التي كانت الاتحادات

النقابية للاتحاد العام للعمال قوية. كانت الفدراليات الصناعية منفصلة رسميا عن الاتحادات النقابية بحيث يمكن لها ان تصبح منظمة يتشارك فيها الاتحاد العام للعمال والكونفدرالية في السلطة.

شركة مدريد-سرقسطة-اليكانتي هي شركة ضخمة للسكك الحديدية، قطاع خاص تقوم بتشغيل خطوط من مدريد لبرشلونة وفالنسيا، والخط الرئيسي بطول ساحل المتوسط. في العشرين من يوليو، وما زالت حرب الشوارع تدور في برشلونة، مناضلو اتحاد النقابات الصناعية القومي للسكك الحديدية في الكونفدرالية ابلغوا اعضاء الادارة العليا للشركة انهم مفصولين من وظائفهم. استولى العمال على الشركة. تمت مصادرة خط الترام الكهربائي الذي يعمل خارج برشلونة ايضا، وتم دمج السكك الحديدية معا في شبكة مواصلات واحدة. هذا الاستيلاء كان مبادرة من الاتحادات النقابية للكونفدرالية ولكن سرعان ما سار معها الاتحاد العام للعمال في نفس الطريق. امتلك كل اتحاد منهم نفس الحصة من قوة العمل. اطلق تشغيل القطارات، بترائهم النضالي الاقوى، مالوا بعضويتهم النقابية الى الكونفدرالية. وكلاء المحطات، وكتبة السكك الحديدية ورؤساء العنابر مال معظمهم ناحية الاتحاد العام للعمال.

تسمت المنظمة الجديدة التي تشكلت لادارة تشغيل شبكة السكك الحديدية باسم فدرالية السكك الحديدية الثورية. اللجنة المنسقة - التي تتكون من ستة اعضاء من الاتحاد العام للعمال وستة من الكونفدرالية - تسمت باسم اللجنة الثورية. وفيما عدا المدير التنفيذي الذي كان منصبه لكل الوقت، باقي اعضاء اللجنة الثورية جميعهم استمروا في عملهم بوظائفهم الاعتيادية. لكل قسم من اقسام خطوط السكة الحديدية ولكل محطة، تشكلت لجنة من المندوبين المختارين بواسطة مجلس محلي. كانت مقترحات اللجنة تعرض في المجالس التي تعقد كل اسبوعين، من اجل تصديق العمال عليها او رفضها.

كانت السكك الحديدية تحقق خسارة قبل الحرب الاهلية، بسبب تنامي استعمال السيارات. لتحسين كفاءة شبكة المواصلات، تكفلت فدرالية السكك الحديدية بعمل بحث مكثف واسع لخدمات النقل بمساعدة اتحادات النقل في الكونفدرالية. وضعوا خريطة لكل انواع الترام، والنقل البري، وخدمات النقل البحري التجاري. اكتشفت الفدرالية ان مناطق شتى ريفية فقيرة لا تشتغل بها وسائل مواصلات عامة. وفي نفس الوقت، كان هناك العديد من الازدواجية في خدمات النقل على طول الممر الساحلي. ونتيجة لهذا، اتفقت نقابات النقل في الكونفدرالية على خطة لانهاء بعض الخدمات التي تنافس السكك الحديدية مثل خطوط السفن البحرية الساحلية، وخلقت خدمات للشحن البري والترام في المناطق الريفية المحرومة. انشأت السكك الحديدية فرعا جديدا في منطقة اراجون الريفية لخدمة كلا من القرى والميليشيا العمالية على جبهة الارجون .

صادر اتحاد نقابات المنافع العامة في الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال اكثر من عشرة محطات توليد كهرباء، وغاز ومياه. بشكل اولي، انشأت الاتحادات النقابية "لجنة مراقبة" بعد ١٩ يوليو في الشركات المختلفة، مع بقاء الادارة العليا القائمة في اماكنها. لم تحدث حالات نزع الملكية الا في نهاية شهر اغسطس. وكما حدث مع صناعة السكك الحديدية، تشكلت فدرالية صناعية منفصلة عن الاتحادات النقابية لتولي وظيفة الادارة العليا في الصناعة. كان كلا من الاتحاد العام للعمال والكونفدرالية باتحاداتهما النقابية للمنافع العامة يمتلكان تقريبا حصة مساوية من قوة العمل - كلا منهما لديه عضوية ٨٠٠٠ في قطلونيا. المجالس الادارية لمحطات المياه والغاز والكهرباء باقسامها، كل منها تشكل من اعداد متساوية من مندوبين عن الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال، ويتحملون المسؤولية امام مجالس العمال الدورية في المناطق المختلفة .

تواجدت العديد من الصناعات التي اصبحت اتحادات الكونفدرالية النقابية نفسها فدراليات صناعية لها، اي اداة الادارة الذاتية للعمال في الصناعة.

استولى اتحاد صناعة الاخشاب في الكونفدرالية بقطلونيا على الورش الصغيرة التي تصنع الدواليب الخشبية، حيث كانت ظروف أغلبها غاية في السوء، ومستوى الصناعة غير كفء وظروف العمل خطيرة. استبدلت تلك الورش بمصنع جديد، اسمه دبل اكس. استوردت النقابة ماكينات فرنسية بأخر صيحة في تجهيزات الامان. صودر مصنع كبير للاثاث قائم ولكن اضيف له عنبرين لتوسيعه. كل مصنع من هذين المصنعين استخدم ٢٠٠ عامل.

احدى جماعات فدرالية الاناركيين الايبيرية عارضت السعي لضم كامل الصناعة في عملية تشغيل صناعية واحدة يديرها الاتحاد النقابي. دافعت هذه الجماعة عن مبدأ خلق مراكز انتاج صغيرة تتمتع بالادارة الذاتية. الناقدون لافكار تلك الجماعة وصفوا مثل هذا الموقف بردة للخلف الى حقبة الحرفيين الذين يعملون عند انفسهم ما قبل الرأسمالية. اقترح الفدرالية الاناركية الايبيرية تلقى الهزيمة.

استولت النقابات ايضا على متاجر بيع الاثاث بالتجزئة. تم الاستيلاء على الصناعات البدائية في جبال الباييرينيز. دبرت النقابات امر الصناعة بأكملها من استخراج المواد الخام الى بيع المنتج النهائي في المعارض.

أمنت النقابات انها يجب ان ترعى مجمل حياة اعضاءها وراحتهم في المعيشة. لتحقيق هذه الغاية شيدت النقابة صالة رياضات بحمام سباحة من الحجم الاولمبي في مصنع دبل اكس. في احد اودية الجبال انشأت النقابات مزارع لانتاج الطعام لعائلات اعضاء الاتحاد النقابي.

يتذكر احد اعضاء الاتحاد النقابي لصناعة الاخشاب هذا الامر قائلا، "المفهوم الذي ساد هو ان الطبقة العاملة يجب ان تحصل على اثاث جيد بأسعار رخيصة".

مال اتحاد نقابات صناعة الاخشاب، مع وجود العديد من مناضليه مع الميليشيا في الجبهة، الى تعيين اصحاب العمل السابقين او اولادهم كرؤساء اداريين في الاقسام. كان هناك خطرا ما بوضع مثل هؤلاء الناس في هذه المناصب وقد اعتادوا على سلطة اعطاء الاوامر وانتظار الطاعة من الآخرين. في نفس الوقت، لم تتحول لجان الاتحاد الى مجالس ادارية لمنظمة تدير الصناعة. طبقا لقول احد اعضاء الاتحاد، تطور السخط لان الاعضاء شعروا انهم خارج عملية صنع القرار حيث كانت "تقاليد الكونفدرالية هي مناقشة وفحص كل شيء". احد المشاكل، في رأيه، كانت هي الفشل في اصدار نشرة اخبارية تحافظ على اعلام الاعضاء بما يدور.

وكما في معظم حالات الادارة الذاتية للعمال في برشلونة لم تنتخب لجان جديدة لعمال خدمات المحال بعد ان تحولت اللجان النقابية لصناعة الاخشاب الى مجالس ادارية تدير الصناعة. اجرى رونالد فريزر مع عدد من النقابيين المخضرمين في الكونفدرالية حوارا لصالح صحيفة دم اسبانيا فقالوا انهم يعتقدون ان هذا الفشل في اعادة خلق منظمات نقابية منفصلة كان احد الاخطاء.

الغاء النظام الطبقي ليس مجرد عملية شكلية رسمية لنزع الملكية وخلق منظمات جديدة. يحتاج هذا الالغاء الى اعادة التفكير في توصيفات الوظيفة، وتساوى السلطة عبر تعلم مهارات جديدة وتولي العمال المسؤوليات التي كان يؤديها في السابق "مهنيون". "العادات المتأصلة في اعطاء الاوامر واطاعتها يجب تحطيمها. ولان النظام الجديد يرث تباينات في المهارات والتعليم والعادات مستمدة من الانظمة الكهنوتية التراتبية للسلطة، هناك خطر بالعودة الى تجسيد الخبرة واتخاذ القرار في قالب هرمي تراتبي جديد. ربما تستدعي الضرورة وجود المنظمات النقابية - المنفصلة عن هيكل الادارة الذاتية للصناعة - لرعاية مصالح العمال في مجرى عملية الانتقال هذه.

احد الصناعات الاخرى التي اعيد تنظيمها بالكامل كانت صناعة قص الشعر (الحلاقة). قبل ١٩ يوليو، تواجد ١١٠٠ دكان حلاقة في برشلونة، معظمهم هامشي للغاية. عمل بهذه الصناعة ٥٠٠٠ مساعد حلاق هم من بين اقل العمال اجرا في برشلونة. كانت الحكومة الاقليمية قد اعلنت قرار ٤٠ ساعة عمل في الاسبوع وزيادة الاجور بنسبة ١٥٪ بعد ١٩ يوليو - وهو واحد من عدة قرارات حاول بها اسكويرا اجتذاب دعم العمال. وقد تسبب هذا القرار في خراب العديد من محلات الحلاقة. عقدت جمعية عمومية واتفق على اغلاق كل المحلات الغير رابحة. استبدل الـ ١١٠٠ محل بشبكة من ٢٣٥ مركز للحلاقة في الاحياء، بتجهيزات افضل وضاءة افضل مما كانت عليه المحلات القديمة. وقد اصبح ممكنا، نتيجة للكفاءة المكتسبة، ان ترفع الاجور بنسبة ٤٠٪. ادار كامل الشبكة مجالس من اتحاد الحلاقين النقابي في الكونفدرالية. اصبح اصحاب المحلات السابقين اعضاءا في الاتحاد.

بالنسبة لبعض الناقدين، التحويل الاجتماعي لصناعة الحلاقة كان خطأ: "ما هو في الواقع الذي حولوه ليكون ملكية تعاونية؟"، تساءلت سباستيا كلارا، موظفة في حكومة الثلاثينيين في قطالونيا؛ "مقص، وموس، وزوج من كراسي الحلاقين. وماذا كانت النتيجة؟ كل هؤلاء المالكين الصغار... تحولوا ضدنا الان".

ملاحظة كلارا تتغاضى عن فعالية المكاسب التي تحققت باجور اعلى للعمال وفكرة ان التحويل الاجتماعي ليس فقط مجرد تحويل اجتماعي للارصدة المادية ولكنه تغيير لعلاقات السلطة الاجتماعية. هدف الحركة السينديكالية التحررية كان القضاء على خضوع وتبعية العمال الموروثة في كونهم مأجورين يعملون لمصلحة الرئيس مقابل اجر.

الرعاية الصحية صناعة تحولت هي الاخرى بواسطة الثورة. في سبتمبر ١٩٣٦، تشكل اتحاد نقابي جديد لصناعة الصحة تابع للكونفدرالية في برشلونة من ٧٠٠٠ عضو - منهم ٣٢٠٠ من المرضى الذكور. انتظمت المهن المتنوعة للرعاية الصحية داخل اقسام في اتحاد الصحة النقابي. انتزع هذا الاتحاد ملكية المستشفيات وخلق وادار نظاما مجتمعيًا جديدًا للرعاية الصحية في قطالونيا.

قبل يوليو، الممارسة الطبية نمطيا امتلكها الاطباء الكبار، الذين استأجروا بدورهم شباب الاطباء كمساعدين لهم. تركزت الخدمات الطبية في الاحياء الاكثر ثراء. غالبا ما كان الاطباء يغيبون عن القرى الفقيرة. قصد النظام الجديد توفير توزيع اكثر عدالة للموارد الصحية. اذا لم يكن لدى قرية فقيرة طبيب، كان الاتحاد النقابي للصحة يسعى لتوفير طبيب لهذه القرية.

حاول الاتحاد النقابي للصحة ان يوقف العمل الخاص في الطب ولكنه لم يكن قادرا على نيل موافقة اغلبية الاطباء على ذلك. طلب الاتحاد من الاطباء كلهم العمل لمدة ثلاث ساعات يوميا من اجل الاتحاد النقابي الصحي، مما كان يوفر لهم وقتا كافيا في اليوم لرؤية مرضاهم الخصوصيين. وكان الاتحاد يدفع لهم اجرا واحدا عندما كانوا يعملون لصالحه - ولكن اجر الاطباء في الساعة كانت يساوي اربعة اضعاف الاجر القياسي للعامل.

قدمت الحكومة بعض التمويل للمساعدة في رفع الاجور في نظام الرعاية الصحية المجتمعي في قطالونيا، ولكن هذا العون لم يكن كافيا لتغطية كل النفقات. ورغم ان تردد المنتفعين على العيادات الخارجية للشبكة الصحية الجديدة كان مجانيا، الا ان الاتحاد النقابي للرعاية الصحية فرض رسوما لزيارة الاطباء في عياداتهم ولاجراء الجراحات. نتيجة لذلك، عديد من النقابات والاتحادات، والصناعات التعاونية وتعاونيات القرى دخلت في اتفاقيات خاصة مع الاتحاد النقابي للرعاية الصحية لتقدم خدمات الرعاية الصحية المجانية لاعضاءهم وعائلات الاعضاء. ادار الاتحاد الصحي عيادات اسنان وتولى ايضا اجراء الابحاث وصناعة الدواء والكيماويات الطبية.

انتشر نظام الرعاية الصحية الاجتماعي عبر انحاء المنطقة المعادية للفاشية من خلال عمل ٤٠ الف عضو في الفدرالية الصناعية القومية للرعاية الصحية المنظمة للكونفدرالية، والتي تتشكل من ٤٠ اتحاد نقابي محلي.

الجزء الاكبر من نظام النقل العام الداخلي في برشلونة كان نظام التروولي باص، والذي كان يعمل على ٦٠ خطا في انحاء المدينة الكبرى. كانت شركة ترام برشلونة هي التي تقوم بتشغيل هذا النظام، وهي شركة مملوكة اساسا لمستثمرين بلجيك. من العاملين السبعة الاف العاملين في الشركة، انتمى ٦٥٠٠ منهم للنقابة الموحدة للنقل في الكونفدرالية.

في العشرين من يوليو، اكتشفت مجموعة مسلحة من نقابة النقل في الكونفدرالية ان الادارة العليا في شركة ترام برشلونة قد هربت. اقيم اجتماع جماهيري لعمال النقل في اليوم التالي وصوتت الجمعية باغلبية كاسحة لصالح نزع ملكية شركات النقل باسم الشعب. تم الاستيلاء على ثلاث شركات خاصة للحافلات، وشركتين للتليفريك، وشركة قطارات مصاحبا للاستيلاء على شركة التروولي باص.

تضرر نظام التروولي باص بشدة في حرب الشوارع - دمرت العربات، وانهارت الاسلاك وعواميدها، وتحطمت الاكشاك الكهربائية، وتعطلت مسارات التروولي بمتاريس الشوارع. استطاعوا عمال النقل بعد ان عملوا ليلا ونهارا، استعادة نظام النقل في خمسة ايام. ومع الوقت اعادوا طلاء عربات الترام والتروولي باص باللونين الاحمر والاسود المميزين للكونفدرالية. قبل ١٩ يوليو، كانت اكشاك الكهرباء المغذية للترام والتروولي باص تقع في منتصف الشوارع مما جعل من الضروري بالنسبة لترام وتروولي باص برشلونة ان يسيروا في دورانات حادة مما كان يعرضها في احيان كثيرة الى الخروج عن قضبانها. بعد استيلاء الاتحاد النقابي على الشركة، نظمت فدرالية المنافع العامة المدارة بواسطة العمال اعادة وضع الاكشاك الكهربائية بطريقة تجعل سير الخطوط اكثر استقامة.

انماط النقل المتعددة - الاتوبيسات، قطار الانفاق، الترام - كانت "اقسام" منفصلة في الاتحاد النقابي، مثل مستودعات قطع الغيار الهائلة. كل هذه الاقسام كانت تدار من خلال لجان منتخبة، مسئولة امام مجالس العمال. انتخب احد المهندسين لكل لجنة ادارية، لتيسير عملية المشورة الفنية بين العمال اليدويين والمهندسين. كانت هناك جمعية عامة شاملة لاتخاذ القرارات التي تؤثر على نظام النقل ككل. لم يوجد منصب مدير اعلى او مدير تنفيذي.

كان ترامواي برشلونة يعمل بنظام تعريف المنطقة الذي كان يعني زيادة التكلفة بالنسبة للناس في الضواحي العمالية الخارجية حتى ينتقلوا الى وسط المدينة. تحول نظام التشغيل تحت ادارة العمال الى تعريف واحدة بسيطة عبر منطقة المدينة الكبرى، لمساواة تكلفة التعريف لكل الركاب. ورغم تخفيض تذكرة الركوب هذه، استطاع نظام المواصلات الذي اداره العمال ان يحقق ارباحا. تم شراء كميات كبيرة من الادوات الميكانيكية الامريكية والفرنسية، حتى يكتفي نظام النقل الداخلي ذاتيا من قطع الغيار. دخل اتحاد النقل والمواصلات في الكونفدرالية في ترتيبات مع الاتحاد النقابي الجديد للصحة لضمان رعاية طبية مجانية لعمال النقل والمواصلات وعائلاتهم.

وبسبب القيود زمن الحرب المفروضة على جميع انواع السيارات، ازداد نسبة الركاب حوالي ٦٢٪ خلال السنة الاولى من ادارة العمال لشبكة المواصلات. لم يكن ممكننا الحصول على عربات ترام جديدة. وللتكيف مع زيادة عدد الركاب، اعاد العمال ترتيب الاماكن داخل ورش الصيانة، لتخفيض الوقت المطلوب لعمل الصيانة الدورية للعربات. عدد من العربات المتهالكة اعيد بنائها واعيدت للخدمة. تم بناء سيارات خفيفة الوزن جديدة لخطي التليفريك.

بعد صدور قرار الحكومة الاقليمية بالملكيات التعاونية في اكتوبر ١٩٣٦، شبكة النقل التي كانت تديرها الاتحادات النقابية، اعيد تنظيمها كتعاوية خدمية موحدة قطاع عام، منفصلة رسميا عن اتحادات الكونفدرالية. في بعض الاقسام من التعاوية حيث تواجد الاتحاد العام للعمال - كما في مترو الانفاق - كان لدى الاتحاد العام للعمال مندوبين في اللجان الادارية. قبل التاسع عشر من يوليو، عمال القضبان كانوا من اقل العمال اجرا وكان اجر العمال المهرة اكثر ٥٠٪. بعد الاستيلاء على الصناعة، كل العمال غير المهرة تلقوا نفس الراتب، بينما العمال المهرة (مثل العمال الميكانيكيين) كانت اجورهم ٦٪ اعلى فقط. تطوع العمال ايام الاحاد للعمل بالعنابر التي اقامتها نقابات النقل من اجل بناء المواد الحربية من اجل الميليشيا العمالية .

في سبتمبر، عقد مؤتمر في برشلونة لوضع حل عام لاماكن العمل المصادرة في الاقتصاد عموما. كيف تمضي الكونفدرالية نحو التحويل الاجتماعي للملكية؟ ماذا يجب ان تفعل الكونفدرالية بالمشاريع المصادرة؟ نمطيا، تلك المنشآت كانت تديرها الاتحادات النقابية بعد مصادرتها.

قبل الحرب، لم تدافع الكونفدرالية ابدًا عن فكرة تحويل المشاريع المصادرة الى تعاونيات، تعمل في اقتصاد سوق. للمرة الاولى، اقترحت الفكرة في هذا المؤتمر كحل مؤقت ملء الفجوة الحادثة، حتى يأتي الوقت الذي يمكن فيه تنفيذ التحويل الاجتماعي الكامل للملكية. استخدمت كلمة "تعاوية" لوصف هذا الحل المؤقت لسد الفجوة عندما اقترحها في المؤتمر خوان فابريجاس، وهو محاسب قومي قطالوني انضم الى الكونفدرالية بعد يوليو ١٩٣٦.

يتذكر خوان فيرر، سكرتير الاتحاد النقابي التجاري بالكونفدرالية، "حتى تلك اللحظة، لم اكن قد سمعت ابدًا عن التحويل التعاوني كحل لوضع الصناعة - كانت المتاجر الكبرى تدار بواسطة الاتحاد النقابي. الذي كان يعنيه النظام الجديد هو ان كل مشروع تحول الى التعاوية سوف يحتفظ بشخصيته الفردية، لكن لهدف اعلى وهو الدخول في فدرالية لكل المشاريع داخل نفس الصناعة".

في ذلك المؤتمر، الاتحادات النقابية الاقوى، مثل المواصلات، والمنافع العامة، وعمال الصناعات الحشبية، والترفيه العام، والتي شرعت توا في تحقيق المرحلة الاولى من التحويل الاجتماعي للملكية - تجسيد كامل الصناعة في فدرالية صناعية - ارادت تلك الاتحادات استمرار هذا المسار. الاتحادات النقابية الاضعف والاصغر ارادت تحويل المشاريع المصادرة الى تعاونيات.

كانت التعاونيات المدارة ذاتيا تأكيدًا عظيمًا على مقدرة الطبقة العاملة على ادارة الانتاج. طبقا لاقوال فيكتور البا - عضو حزب العمال للوحدة الماركسية اثناء الثورة:

"تعاونيات ١٩٣٦ لم تفشل فقط، ولكنها كانت تعاونيات ناجحة. مع وضع الظروف في الاعتبار، كانت هذه التعاونيات تجسيدا لمبدأ ان العمال يستطيعون القيام بالاعمال الادارية للمشاريع بنفس كفاءة او اكثر كفاءة من اصحاب العمل".

رغم ذلك، عدم اتمام الثورة - الوجود المستمر للسوق والدولة، والفشل في خلق نظام للتخطيط الاجتماعي الشعبي - خلق المشاكل.

احد المشاكل التي بزغت كانت عدم تساوي التعاونيات بين بعضها البعض بسبب الاختلافات في تجهيزات كل مشروع من المشاريع التي ورثتها، والاختلاف في اتصالاتها بالاسواق، او اختلافات اخرى في اوضاع كل منها. على سبيل المثال، المرحلة الاولى من التحول الاجتماعي للملكية لم تتحقق بشكل اولي في صناعة النسيج ببرشلونة. استمر كل مشروع كتعاوية منفصلة. طبقا لقول جوزيب كوستا، سكرتير الاتحاد النقابي للنسيج في الكونفدرالية في الضاحية القريبة بادالونا:

"لم نر تعاونيات النسيج في برشلونة كنموذج لخبرتنا. معامل النسيج الفردية التي اصبحت تعاونيات تصرف هناك من البداية كما لو انها وحدات مستقلة ذاتيا بالكامل، تسوق منتجها على قدر ما تستطيع هي مع اعطاء انتباه ضئيل للوضع العام. لقد تسببت في مشكلة فظيعة. كانت نوعا من الرأسمالية الشعبية".

في بدالونا، نقابات الكونفدرالية نسقت ما بين كل معامل النسيج في انحاء البلدة.

صناعة النسيج، مثل كل الصناعات الانتاجية الاخرى في قطالونيا، كانت تنتج للسوق الاسباني. خسرت الصناعة في اسبانيا، وثالث البلاد في ايدي الجيش الفاشي، نصيبا كبيرا من سوقها. الانتاج الصناعي في قطالونيا انخفض بنسبة ٣٠٪ اثناء السنة الاولى من التحول التعاوني.

في النهاية، في فبراير ١٩٣٧، عقد مؤتمر مشترك بين الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال لصناعة النسيج في قطالونيا لتأسيس مجلس صناعي للنسيج - فدرالية صناعية تقوم بالتنسيق وتنهاي المنافسة بين معامل النسيج. وافق الكونجرس على ان تحويل المعامل الفردية الى تعاونيات كان خطأ وان من الضروري الشروع سريعا في الاتجاه نحو التحويل الاجتماعي الكامل لهذه الصناعة.

غالبا ما تتعامل التعاونيات مع خسارة الاسواق بالعمل لعدد ساعات اقل او بدفع اجور ناس لا تعمل اصلا. طبقا لاقوال عباد دي سانتيلان، اكثر من ١٥ الف من سكان قطالونيا في ديسمبر ١٩٣٦ كانوا يتلقون رواتب دون ان يعملوا. وكما لاحظ، لم يكن امرا ذو كفاية اجتماعية ان يكون لديك مثل هذا العدد الكبير من الناس الذين يعملون اقل من المطلوب او لا يعملون بتاتا؛ فالمجتمع يخسر عمل هم قادرون على ادائه. لو وجد نظام للتخطيط الاجتماعي لكان سمح باعادة تخصيصهم لوظائف طبقا للطلب وطبقا للاحتياج الى ما يراد انتاجه.

اعاد عباد دي سانتيلان تأكيد الموقف الاصلي للكونفدرالية في صالح اقتصاد محول اجتماعيا:

"نحن حركة معادية للرأسمالية، وضد اصحاب الاملاك. لقد رأينا في الملكية الخاصة لادوات العمل، للمصانع، لوسائل النقل، في الجهاز الرأسمالي للتوزيع، السبب الاول للبؤس وانعدام العدالة. نحن نريد تحويلا اجتماعيا لكل الثروة من اجل الا نترك فردا واحدا على هامش مأدبة الحياة".

في اقتصاد محول اجتماعيا، الاتحاد المحلي والفدراليات الصناعية ليسو "ملاكاً" للصناعة ولكنهم "فقط مديرون اداريون لخدمة المجتمع بأكمله"، هذا ما قاله دي سانتيلان.

فشل الكونفدرالية الوطنية للعمل في تجسيد السلطة السياسية كان في حد ذاته سببا لعدم اكتمال الثورة الاقتصادية. الحكومة الاقليمية سيطرت على الائتمانات الخارجية والنظام المالي. مع الوقت، اصبحت الصناعة التعاونية مديونة بشدة للحكومة. وقد استخدم ذلك فعليا لتأمين سيطرة متزايدة للدولة في السنوات الاخيرة من الحرب الاهلية، كما اكتسب الحزب الشيوعي سلطة متزايدة وتحرك نحو اقتصاد مؤمم.

هدف الاجر عند الكونفدرالية في الثورة كان "اجرا واحدا". لو تم تنفيذ هذا الهدف، لكان ذلك يعني ان كل شخص سوف يأخذ نفس الاجر في الساعة. اوضح ناشط في نقابة النسيج بالكونفدرالية هذا المنطق كالتالي:

"نحن التحرريون لدينا مبدأ ملزم لنا: كل منا سوف ينتج طبقا لقدراته، وكل منا سوف يستهلك طبقا لاحتياجاته. الانتاج مثل الساعة - كل جزء يعتمد على الآخر. لو فشل احد الاجزاء تتوقف الساعة عن العمل. انه لامر صعب جدا ان تحدد اي من العمال الذين يقومون بهذا القدر الكبير والمتنوع من المهام هو الاكثر اهمية. عامل المنجم يحفر ويستخرج الفحم، والعامل ينقله الى المصنع، والعامل الفرن يدفعه الى الافران التي تحرك المصنع. دون اي عامل منهم سوف تتوقف العملية. كلهم يجب ان يتلقوا نفس الاجر؛ الفرق الوحيد يجب ان يعتمد على اجابة اسئلة مثل: هل الرجل اعزب ام متزوج ويعول اطفال؛ وفي الحالة الاخيرة، يجب ان يحصل المتزوج على نصيب اكبر لكل من يعوله".

نفذ الاجر الواحد في بعض الصناعات وبعض المواقع. احد مثل هذه المواقع كان مدينة هوسبيتالت دي لوبريجات، ضاحية عمالية في الحد الجنوبي من برشلونة. كان النسيج هو الصناعة الاكبر هناك ولكن تواجد ايضا عدد من الصناعات المعدنية بورشها لتشكيل المعادن وافران صهرها. اتحادات الكونفدرالية في هوسبيتالت كانت جزءا من مجلس العمل لبايو لوبريجات التي دافعت عن الاطاحة بالحكومة الاقليمية في يوليو ١٩٣٦. في مدينة هوسبيتالت اكتسحت الكونفدرالية حكومة المدينة القديمة، ووضعت مكانها لجنة ثورية. عقدت اللجنة الثورية للكونفدرالية مجالس احياء متنوعة لتستطلع اراءها. لم يساو ذلك تماما فكرة الكونفدرالية السابقة على الحرب الداعية الى "بلديات حرة" لأن المجالس المشكلة على اساس جغرافي تلك لم تنتخب مجلس بلدية جديد؛ بل كانت مجالس تسيطر عليها الاتحادات النقابية.

قررت كونفدرالية هوسبيتالت، بسبب الاختلافات في الاوضاع الاقتصادية للتعاونيات، ان تنفذ سياسة الاجر الواحد بالشروع في التحويل الاجتماعي لاقتصاد البلدة، عن طريق دعم التعاونيات الاحسن وضعا للتعاونيات الاخرى الاقل بالعون المالي .

فدرالية السكك الحديدية الثورية ساوت اوليا اجور كل عمال السكك الحديدية. في ذلك الوقت، كان الحرس على بوابات عبور محطات السكة الحديد في اسبانيا معظمهم من النساء. كانت هذه النسوة اقل العمال اجورا في قطاع السكة الحديد. تلك النسوة كن اكثر من كسب من مساواة الاجر في السكة الحديد. فيما بعد، ومع ذلك، احتاجت فدرالية السكك الحديدية الى استئجار العديد من المهندسين. اضطرت الفدرالية اضطرارا الى ان تدفع لهؤلاء المهندسين اجورا اعلى مرتين ونصف.

في ظل اقتصاد السوق، يستطيع المهنيون المتعلمون ان يستفيدوا من خبراتهم النادرة ليطلبوا باجور اعلى ومميزات اخرى. يمكن التعامل مع هذه المشكلة مع الوقت في اقتصاد مجتمعي بنظام التعليم المجاني للعمال ومع الحملات المنهجية لرفع مهارات العمال. ولكن ذلك يستغرق وقتا للتنفيذ، وكان الاقتصاد المجتمعي لم يتجسد في الواقع العملي بعد.

تحققت المساواة في الاجر بين الرجال والنساء الذين يؤدون نفس العمل بطريقة عشوائية فقط هنا وهناك وحدثت على الغالب الارجح فقط في المواقع التي نظمت فيها منظمة النسوة الاحرار جمعيات للعمال. تشكلت منظمة النسوة الاحرار على المستوى القومي في ربيع ١٩٣٦. في قاتالونيا، خرجت منظمة النسوة الاحرار من هيئات النساء في اتحادات الكونفدرالية النقابية.

في اوائل الثلاثينات، الوحدة النقابية للصناعات المعدنية في الكونفدرالية بدأت دفع راتبا صغيرا لسوليداد استوراخ للعمل كمندوبة للنشاط. ثار قلق النقابة على نقص انخراط النسوة العاملات في نشاطها. اكتشفت استوراخ ان العاملات اذا ما حاولن الحديث في لقاءات النقابة بالكونفدرالية، فانهن كن يتعرضن للسخرية والاستهزاء من قبل الرجال. لم تكن المشكلة فقط سلوكيات ذكورية شوفينية من الرجال.

انتهت استوراخ بأن آمنت ان من الضروري لهؤلاء النسوة ان يكون لديهن منظمتهن المستقلة ذاتيا - ساحة آمنة لهن يستطعن دراسة القضايا الاجتماعية، وتعلم الخطابة، ويتم تحضيرهن ليكن ناشطات. ساعثن سوف تستطيع النساء ان تمسك بقضيتهن مع الرجال في اجتماعات النقابة. النتيجة كانت هيئة النساء في كونفدرالية العمل الوطنية بقاتالونيا. ايضا نظمت هيئة النساء انشطة رعاية الاطفال حتى تستطيع الناشطات حضور اجتماعات النقابة ويطرحن فيها كمندوبات.

نصت منظمة النسوة الاحرار على ان غرضها هو تحرير النساء من "العبودية ثلاثية الابعاد" المتمثلة في عبودية "الجهل، والعبودية كنسوة، والعبودية كعمال". لم تستخدم النساء اللائي اسسن منظمة النسوة الاحرار مصطلح "نسوي - feminist". كن واعيات بوضعهن الطبقي مثل اندادهن الذكور. وبالنسبة لهن، "النسوية - feminism" كانت حركة للمرأة بهدف الحصول على وضع نخبوي في المهن المختلفة، والادارة العليا، والحكومة. اثناء الثورة والحرب جندت المنظمة ٣٠ الف امرأة من الطبقة العاملة تقريبا.

الشابات اللائي شكلن منظمة النسوة الاحرار، رغم ولائهن لحركة الكونفدرالية، اصررن على ان تحرير المرأة هو امر يتميز عن تحرير الطبقة العاملة، ورفضن ان يكن مجرد زوائد خارجية تابعة - "ملحقات نسوية" - لفدرالية الاناركيين الايبيرية او لكونفدرالية العمل الوطنية. لم تؤمن المنظمة ان الرجال يستطيعون تحرير المرأة. زعماء فدرالية الاناركيين الايبيرية والكونفدرالية، من ناحية اخرى، اصرروا على ان حركة النسوة المستقلة ذاتيا هي حركة "انقسامية".

احد ميادين التغيير في علاقات النوع في اسبانيا اثناء الحرب كان الازدياد الكبير في عدد النساء العاملات في الصناعة. حيث ذهب الرجال الى القتال في جيش الشعب المعادي للفاشية، تم تجنيد النساء ليحلوا محلهم في الحياة المدنية.

جمعية النسوة المناهضات للفاشية (AMA) تشكلت بين النسوة العاملات في الصناعة. هذه الجمعية كانت "حزام اشعاع" للحزب الشيوعي. ومع انتشار نفوذ الجمعية النسائية لمناهضة الفاشية في الصناعات، خشي نشطاء الكونفدرالية من انضمام النساء الى اتحادات الاتحاد العام للعمال النقابية. في هذه الحالة قد ينحسر وجود اتحادات الكونفدرالية. لمواجهة ذلك، فتحت النقابات المحلية للكونفدرالية قاعات اتحاداتها لمنظمة النسوة الاحرار. قدمت النقابات ساحاتها لمراكز

رعاية الاطفال، وجماعات النساء الدراسية، وفصول محو الامية وبرامج تعليم الصبية من النساء. في المصانع التعاونية، كان يتم ايقاف العمل للسماح لانشاطات منظمة النسوة الاحرار لالقاء محاضرات.

احد الصناعات التي كان لمنظمة النسوة الاحرار وجود قوي فيها هي صناعة النقل العام. كانت بورا بيريز عضو منظمة النسوة الاحرار وكانت واحدة من اولى النساء اللاتي عملن قائدات لعربات الترام والترولي باص في شوارع برشلونة. وكما تتذكر بورا بيريز، رجال نقابة النقل العام في الكونفدرالية اتخذوا من النساء "صبيان لهم يعملن في الصيانة الميكانيكية والقيادة، وهم الذين علمونا حقا الادوار التي قمنا بها". رفاق كونفدرالية النقل العام، كما تقول بيريز، "تلقوا صدمة من النظرات المبهوطة على وجوه الركاب عندما علموا ان من يقود الترام الذي يركبونه امرأة".

الخط البياني للحزب الشيوعي الاسباني

برغم الثورة البروليتارية الحقيقية التي كانت تجري في اسبانيا، اصر الحزب الشيوعي الاسباني على ان الاجندة المباشرة في اسبانيا هي اجندة "ثورة ديمقراطية بورجوازية"، وان الكفاح يجب ان نراه ببساطة من منطلق الدفاع عن "الجمهورية الديمقراطية".

موقف الحزب الشيوعي الاسباني، ومحاولة الاممية الشيوعية لاختفاء طبيعة الثورة العمالية الفعلية في اسبانيا في دعايتها بالبلاد الاخرى، تم تخطيطها لطمأنة "الديمقراطيات" الرأسمالية الغربية، وتكرار قول ذلك على الاغلب، خصوصا في الولايات المتحدة، وبريطانيا وفرنسا. طرح الشيوعيون ومؤيدوهم وجهة النظر القائلة ان ذلك هو احسن سبيل لكسب الحرب ضد العسكرية الفاشية.

معظم الجدل التاريخي حول دور الشيوعية في الثورة والحرب الاهلية الاسبانية قد تركز حول مخططات ستالين الجيوبوليتيكية. كان الاتحاد السوفيتي قد بدأ توا في الخروج من عزلته الدولية، منضما الى عصبة الامم في ١٩٣٤. محاولة الشيوعيين لتهدئة مخاوف "ديمقراطيات" الرأسمالية البريطانية والامريكية والفرنسية لم تكن تكتيكا فقط من اجل الحصول على شحنات السلاح ولكنها كانت ايضا من اجل التكيف مع مخاوف ستالين من العسكرية الالمانية، ورغبته في الدخول اما في حلف عسكري مع "الديمقراطيات" الغربية واما جرهم الى الصدام مع القوى الفاشية.

ولكن الحزب الشيوعي الاسباني طور قاعدته الاجتماعية الخاصة في اسبانيا اثناء الحرب الاهلية. ماذا كان المعنى الاجتماعي الحقيقي للحزب الشيوعي الاسباني في اسبانيا؟ لاجابة هذا السؤال، نحتاج الى الفاء نظرة على البناء الطبقي للرأسمالية المعاصرة. رأى ماركس في القرن التاسع عشر بشكل اساسي صراع ثنائي القطبين بين الرأسمال والعمل.

ومع ذلك، ومنذ نهاية القرن التاسع عشر، ظهور اشكال للرأسمالية تنظمها الدولة، واشكال الكوربوريشن الظاهرة جلبت معها ظهور طبقة رئيسية جديدة، انا اسميها طبقة المدراء او رجال الادارة. فور ان اصبحت المشاريع الرأسمالية على هذا القدر الكبير جدا من الاتساع فوق طاقة اصحاب الاعمال على ادارتها بانفسهم، كان على الرأسماليين ان يتنازلوا عن قدر من ميدان السلطة لمستويات تراتبية من المدراء والمهنيون في الشركات العملاقة وشركات الدولة الضخمة. سلطة طبقة المدراء لا تقوم على اساس الملكية ولكن على اساس احتكارهم النسبي لادوات اتخاذ القرار واشكال العمل الاخرى ذات المكانة والنفوذ. تمتلك طبقة المدراء مصالح طبقية خاصة بهم. اكثر من ذلك، هذه الطبقة تمتلك القدرة على ان تكون طبقة حاكمة. المسار الذي ارتاده الحزب البلشفي في الثورة الروسية كان يعبر عن استخدامهم الدولة لبناء نظام اقتصادي جديد تتولى فيه طبقة المدراء الحكم، دون وجود رأسماليين.

لو اقتصرنا زاوية رؤيتنا على البعد الطبقي للتحويل الاجتماعي، هناك نمطان مختلفان محتملان للثورة المناهضة للرأسمالية. الثورة البروليتارية، لو ناجحة، هي عملية تفكيك الابنية الطبقية لسلطة الرأسماليين وطبقة المدراء للدرجة التي لا تسمح بعدها لايهما ان يهيمن على الطبقة العاملة واستغلالها. ثورة المدراء، مع ذلك، هي مسار خط بياني للتغيير، لو كان ناجحا، يخلع الرأسماليين من موقعهم المهيمن ولكنه يمنح المكانة والنفوذ لطبقة المدراء كمجموعة مهيمنة جديدة. وتظل الطبقة العاملة مجموعة خاضعة ومستغلة.

الخط البياني لمسار الحزب الشيوعي الاسباني هو نموذج لما اسميه النضال اليساري لطبقة المدراء - السعي من اجل استراتيجيات وبرامج تمنح المكانة والنفوذ لطبقة المدراء، في ظل خطابة يسارية او خطابة مناهضة للرأسماليين. طبقة المدراء اليسارية هي اخر دفاع عن نظام الطبقات في البيئة الاجتماعية حين تهدد حركة الطبقة العاملة بقاء نظام الطبقات هذا. تمكين طبقة المدراء من النفوذ والسلطة كان واضحا في استراتيجية الحزب الشيوعي الاسباني: الحملة لاعادة بناء

جهاز الدولة؛ الحملة لبناء جيش وشرطة هرمية المراتب وتجنيد كتائب من الضباط في الحزب؛ الحملة لتجنيد الشرائح المتوسطة في المجتمع الاسباني والدفاع عن مصالحهم؛ التحركات اثناء الحرب نحو تأمين الصناعات التعاونية وفرض سيطرة الدولة عليها.

مفهوم الحزب الشيوعي للثورة في اسبانيا كان مفهوم الثورة على مراحل. كانت المرحلة "البرجوازية الديمقراطية" هي مهمة النضال المباشر. فكرة المراحل هذه عبر عنها بوضوح جيورجي ديميتروف، سكرتير الامة الشيوعية، في لقاء للامة عقد في ٢٣ يوليو ١٩٣٦:

"يجب علينا في المرحلة الحالية الانعين مهمة - للشبيوعيين الاسبان - لخلق سوفيات ومحاولة تأسيس ديكتاتورية البروليتاريا في اسبانيا. سوف يكون ذلك خطأ قاتلا. لذلك يجب القول: تصرفوا متكررين بالدفاع عن الجمهورية؛ لا تتخلوا عن سياسة النظام الجمهوري في اسبانيا عند هذه اللحظة... عندما يتدعم موقفنا، نستطيع ان نمضي الى المزيد". (تشديد مضاف)

كان هناك صراعا جيوبوليتيكيا دوليا بين نخبة المدراء في الدولة السوفيتية وبين القوى الامبريالية الرأسمالية. تحتاج الامبريالية الرأسمالية للاحتفاظ بانحاء الكوكب بقدر ما تستطيع مفتوحا امام تغلغل الرأسمال الخاص المتجول واساليب استغلاله. اي ثورة - سواء ثورة طبقة مدراء ومنسقين، ام ثورة قوميين، ام ثورة بروليتاريا - "تنزع" مناطق من العالم خارج استحواد الرأسمال الامبريالي سوف تضعف من قوة الرأسمالية العالمية ولهذا السبب سوف ترجح معارضة القوى الامبريالية الرأسمالية لها. ولنفس السبب، اي ثورة لطبقة المدراء سوف تكون في صالح نخبة المدراء للدولة السوفيتية.

شعار الدفاع عن "الجمهورية البرجوازية الديمقراطية" كان له معنيين بالنسبة للشبيوعيين الاسبان. الاول، تحت هذا الشعار عمل الحزب الشيوعي في اسبانيا على تجنيد اعضاء من البرنس الصغير وطبقات المدراء، عن طريق الدفاع عن مصالحهم.

المعنى الثاني لدفاع الحزب الشيوعي الاسباني عن "الجمهورية البرجوازية" كان حملتهم لاعادة بناء جهاز الدولة الجمهورية. الاستراتيجية الثورية طويلة المدى للحزب الشيوعي كانت استراتيجية انتشار وتغلغل. باعادة بناء القيادة الهرمية المراتبية داخل ماكينة الجيش والشرطة، عمل الشيوعيون على الامساك والسيطرة على مناصب الضباط. هدفهم كان استخدام ذلك كوسيلة للاستيلاء فعليا على سلطة الدولة في اسبانيا.

بنهاية سبتمبر، بدأت حكومة الجبهة الشعبية عملية بناء قوة شرطة قومية جديدة، تحت اسم الحرس الوطني الجمهوري، وصلت الى ٢٨ الف فرد في ديسمبر. في نفس الوقت، تأسست قوة هائلة من ٤٠ الف فرد لشرطة حرس الحدود والجمارك تحت ادارة الدكتور خوان نجرين، استاذ الفسيولوجي والاشتراكي الديمقراطي الذي ينتمي لعائلة ثرية. في نوفمبر، قررت الحكومة استبدال ميليشيا العمال بجيش تقليدي له قيادة من اعلى الى اسفل. استطاع الحزب الشيوعي أن يغنم السيطرة على الاكاديمية الجديدة التي نشأت لتدريب الضباط. سيطر الحزب ايضا على القوميسارية الجديدة للحرب التي انشأت لممارسة النفوذ السياسي على الجيش من خلال شبكة من القوميساريين السياسيين. سيطر الشيوعيين على عملية تدفق الجرائد الى القوات في الجبهة. ضغط الشيوعيون ضغطا عظيما على الضباط لحثهم على الحصول على بطاقات عضوية بالحزب. هؤلاء الضباط الذين لم ينصاعوا لذلك تم نسفهم. دمر الحزب الشيوعي الاسباني معنويات الجيش "بواسطة التصرف على اساس اشرس حلقيه ممكنة"، كما يتذكر احد الاعضاء الاشتراكيين اليساريين من عصبة الشبيبة الاشتراكية الموحدة .

في يوليو ١٩٣٦، بدأ الحزب الشيوعي الاسباني من وضع ضعيف. كانت عضويته في اسبانيا اقل من ٤٠ الف، ويمتلك تأييدا قليلا جدا داخل الطبقة العاملة الاسبانية. استخدم الشيوعيون العديد من التكتيكات للتغلب على وضع الضعف هذا. اولاً، استخدم الشيوعيون استراتيجية اقتراس قاعدة الحزب الاشتراكي. عدد من قادة منظمة الشبيبة الاشتراكية (ومنهم سانتياجو كاريللو) اخذوا في جولات بروسيا حيث المأدب والنبيذ. هؤلاء الشيوعيون السريون تفاوضوا حول اندماج بين منظمي الشبيبة الاشتراكية والشيوعية، لخلق منظمة الشبيبة الاشتراكية الموحدة (JSU). افترضت صفقة الاندماج ان سياسات الشبيبة الاشتراكية الموحدة سوف تقرر داخل كونجرس يعقد لهذا الغرض. جماعة الشبيبة الاشتراكية كانت اكبر واوسع من الشبيبة الشيوعية واحتوت على العديد من اتباع الجناح اليساري الذي يستلهم كابليرو في الحزب الاشتراكي. تم منع الاشتراكيين اليساريين من الحصول على سيطرة على قسم الحزب الاشتراكي في قطلونيا من خلال تكتيك اندماج مماثل. في خريف ١٩٣٦، حاول القادة الشيوعيون اقناع لارجو كابليرو بالموافقة على اندماج بين الحزبين الاشتراكي والشيوعي. وقتها رأي كابليرو نتيجة مثل هذه السياسة ولذلك رفض الاقتراح.

الفلاحون مالكو الارض، واصحاب الحوانيت، وملاك البزنس الصغير والمتوسط، والمدراء ، واصحاب الياقات البيضاء كانوا القاعدة الاجتماعية العريضة للاسكويرا في قطلونيا. وغالبا ما كانت هذه الشرائح الاجتماعية المتوسطة تشعر بالرعب من فكرة نزع ملكية الاعمال والمباني، وادارة الاتحادات النقابية للصناعة. في بلاد اخرى مهددة بالثورة البروليتارية، تلك الشرائح الاجتماعية اصبحت القاعدة الاجتماعية للفاشية. ولكن في قطلونيا كانت الشرائح الوسطى مناهضة للفاشية لانها كانت تنتمي لتيار القومية القطلونية. نجح الشيوعيون في تجنيد هذه الشرائح الوسطى الجمهورية النزعة في انحاء المناطق المعادية للفاشية لان الشيوعيين ظهروا كمدافعين عن مصالح هذه الطبقات اكثر تشددا واكثر انتظاما من الاحزاب الجمهورية القديمة.

اول اقتتال بين الحزب الاشتراكي الموحد لقطلونيا (PSUC) وكونفدرالية العمل الوطني في قطلونيا كان حول تشريع نزع ملكية مشاريع الاعمال. وقع هذا الاقتتال في اكتوبر، بعد ان انضمت الكونفدرالية الى الحكومة الاقليمية. طبقا لقول اندرو كابديفيلا، عامل النسيج الاناري،

"قاتل الحزب الاشتراكي الموحد لقطلونيا والاسكويرا بشراسة من اجل تخفيض اعداد المشاريع المؤهلة لتحويلها الى تعاونيات بينما تمسكت الكونفدرالية وفدرالية الاناركيين اليبيريين باكثر القرارات راديكالية قدر الاستطاعة. سبب موافقة الكونفدرالية على تحويل الملكية الى الشكل التعاوني هو عدم استطاعتها تحويل الملكية الى الشكل الاجتماعي كما كان هدفنا. استولى العمال على المصانع... ولكن النصر لم يكن انتصار الكونفدرالية وحدها. لم نستطع الاستيلاء على الاقتصاد كله والسيطرة عليه".

معظم ما عارضه الشيوعيون كان التحويل الاجتماعي للاقتصاد بواسطة النقابات، وعملية ربطها لكامل الاقتصاد بشكل مستقل عن الدولة. المحافظة على بقاء مشاريع القطاع الخاص كان سبيلا لايقاف وسد الطريق على التحويل الاجتماعي للاقتصاد تحت سيطرة الاتحادات النقابية. القانون الذي تم تمريره قنن فقط لعملية مصادرة المشاريع التي تزيد عمالتها عن ١٠٠ عامل، او المشاريع التي تتراوح عمالتها بين ١٠٠ و ٥٠٠ عامل فإنها تصادر لو ان ٧٥٪ من عمالها قرروا مصادرتها. في الممارسة العملية، تجاهلت الكونفدرالية ببساطة حقيقة ان ذلك لم يكن متماشيا مع مصادرة الاعداد الواسعة من مشاريع الاعمال الاصغر التي كانت الفدرالية قد نفذتها. محاولات الحزب الاشتراكي الموحد لقطلونيا (PSUC) قطع الطريق على التحركات التي تتجاوز المصادرة الى ضرب اقتصاد السوق كان تكتيكا داعما للمهنيون والمدراء اضافة الى اصحاب البزنس الصغير.

ايضا نظم الحزب الاشتراكي الموحد لقطلونيا اصحاب مشاريع الاعمال الصغيرة واصحاب المحلات في منظمة مشاريع الاعمال الصناعية والتجارية الصغيرة (GEPCI). بحلول ربيع ١٩٣٧، ترعرعت منظمات اتحاد العمال العام في قطلونيا لتصل بالعضوية الى ٣٥٠ الف عضو (ومن ضمنهم ١٨ الف من منظمة مشاريع الاعمال الصناعية والتجارية الصغيرة)، متساويا تقريبا مع عضوية الكونفدرالية البالغة ٤٠٠ الف عضو. تأسس الكثير من هذا النمو على قيام الحزب الاشتراكي الموحد لقطلونيا بتنظيم الشرائح الوسطى من السكان. بنى الشيوعيون مركزا ثقل قويا مضادا للثورة العمالية في قطلونيا.

شحنات الاسلحة السوفيتية للحكومة الجمهورية ووصول الكتيبة الدولية اثناء معركة مدريد في اكتوبر-نوفمبر ١٩٣٦، منح الحزب الشيوعي هالة من المكانة والنفوذ وكان سببا ثالثا لنمو قوتهم هذه. في نهاية سبتمبر ١٩٣٦، لويس كامبانيز وبوينافنتورا دوروتي زارا لارجو كابلير في مدريد في محاولة للحصول منه على التزام بمجزء من احتياطي ذهب اسبانيا لامداد الصناعة الحربية والميليشيا بمزيد من الموارد. وافق كابلير واوليا على ذلك، ولكن خوان نيجرين اقنعه بتغيير رأيه. في ١٣ سبتمبر، وافق كابلير على ان يرسل نيجرين احتياطي الذهب الى حيثما يريد. في ذلك الوقت كانت اسبانيا تمتلك رابع اكبر احتياطي ذهب في العالم، مساويا ٨٠٠ مليون دولار (١١ بليون دولار باسعار اليوم). اقنع الشيوعيون نيجرين ان يرسل ٧٠٪ من احتياطي الذهب الى روسيا. كان الاسبان قد تلقوا تأكيدات شفوية بأن الذهب يمكن اعادته تصديره اليهم في اي وقت قد يرغبونه. فور وصول الذهب الى موسكو، علق ستالين رغم ذلك انه "لن يستطيع الاسبان رؤية ذهبهم مرة اخرى، بالضبط كما لا يستطيع ان ير المرء حلما اذنه".

نقل الذهب الاسباني الى روسيا دمر على نحو بالغ الاقتصاد الاسباني والمجهود الحربي ضد الفاشية. عندما تسربت اخبار ان البيريتا الاسبانية لم تعد تتمتع بغطاءها الضخم من الاحتياطي الذهبي، هبطت قيمة البيريتا بمدة في اسواق تغيير العملات الاجنبية. بحلول ديسمبر فقدت العملة الاسبانية نصف قيمتها. وقد تسبب ذلك في ارتفاع عظيم لتكلفة الواردات، وهكذا دمر ستالين قدرة اسبانيا المعادية للفاشية على استدامة المجهود الحربي.

قدم كل من هتلر وموسيليني ونظام الحكم الفاشي في البرتغال الدعم العسكري للجيش الفاشي الاسباني. في كتابه اسلحة لاسبانيا كشف الباحث البريطاني جيرالد هاوسون وثائق بتفاصيل غنية عن شحنات الاسلحة التي قدمت لكل جانب في الحرب الاهلية. اظهر هاوسون ان العسكر الفاشيست تلقوا اسلحة اكثر بكثير جدا مما تلقاه الجانب المعادي للفاشية. ارسل الروس مواد حربية للاسبان اقل بكثير مما كان يعتقد في السابق. ارسلوا القليل جدا من الاسلحة الحديثة. معظم الاصناف كانت قديمة وتوقف استعمالها.

واصبح من الصعب جدا على الجانب الاسباني المعادي للفاشية ان يحصل على سلاح باي ثمن نتيجة للمقاطعة التي نفذتها فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة. اغار مكتب التحقيقات الفدرالي على المخازن الكبيرة في المكسيك لاحتجاز الارقام الكودية للأسلحة كجزء من المشاركة الامريكية في جهود المقاطعة.

العهد الجديد (النيو ديل) في الولايات المتحدة الامريكية مال اوليا الى السماح بارسال شحنات اسلحة الى الجانب المعادي للفاشية في اسبانيا. نظم الاساقفة الكاثوليك حملة ضغط مكثفة ادت الى الدعم الامريكي لما يسمى حلف "عدم التدخل" (رغم حقيقة ان كنيسة الباسك الرومانية الكاثوليكية دعمت الجانب المعادي للفاشية). في مايو ١٩٣٨، قاد جوزيف كينيدي جهود جماعة ضغط كاثوليكية اخرى اوقفت بنجاح محاولة رجال الكونجرس الليبراليين افشال المشاركة الامريكية في المقاطعة .

اضطر وكلاء الجمهوريين الاسبان لتقديم رشوى ضخمة في كل مكان ذهبوا اليه في العالم من اجل الحصول على السلاح. حلف "عدم التدخل" جعل القوى الاسبانية المعادية للفاشية اكثر اعتمادا على الاتحاد السوفيتي.

ارسال الذهب الى روسيا منح النظام السوفيتي السيطرة على تدفق الاسلحة على اسبانيا. مثلاً، في اواخر ١٩٣٧، جارسيا اوليفير تعامل مع خوان نيجرين من خلال اقتراح تنظيم جيش حرب عصابات في جبال الاندلس. كانت معظم اراضي الاندلس قد اجتاحتها القوات الفاشية في الاسابيع الاولى من الحرب الاهلية ولكن كان من المعتقد ان الاف من القوى المعادية للفاشية يختبأون في الجبال هناك. اراد جارسيا اوليفير اسلحة وامدادات لتنظيم جماعة من حوالي ٢٠٠ رجل يتسللون الى الجبال. هذه المجموعة القلب سوف تنظم من ثم جيشا يناوش القوى الفاشية في خطوطها الخلفية. وافق نيجرين اوليا على ذلك. ولكن المندوب السوفيتي رفض الترخيص لهم بالسلاح لانهم لا يريدون جيش حرب عصابات يسيطر عليه الاناركيين.

ولم يؤد ارسال الذهب الى روسيا سوى تسهيل سرقة ستالين للاسبان. وقد باع السوفيت الاسلحة باسعار باهظة من خلال نسبة خاصة لتبادل العملات، لصالحهم، في صفقات الاسلحة. نصب الروس على الاسبان في ٥٠ مليون دولار في بيعهم طائرتين فقط. كتب هاوسون: "من كل اعمال النصب، والغش، والسرقات والخيانات التي قامت بها الحكومات والمسؤولون ومهربو السلاح من كل انحاء العالم والتي كان على الجمهوريون ان يلتموا افواههم حجرا ويصمتوا عنها... سلوكيات ستالين والمسؤولين الاعلى في المناصب السياسية العليا بالدولة السوفيتية (nomenklatura) نحوهم... كانت الاكثر قذارة، والاعظم غدرا، والاضعف حجة".

"كرونشاد الاسبانية"

في اوائل عام ١٩٣٧ شعر الشيوعيون بالقوة التي تكفي لعمل تحركات تمكّنهم من وضع مهيمن في اسبانيا. وصلت عضوية الحزب الشيوعي الاسباني الى ٢٣٠ الف في مارس، اضافة الى عضوية منظمة الشبيبة الاشتراكية الموحدة التي وصلت وحدها الى ٢٥٠ الف عضو. اثناء نفس هذه الفترة، نمت عضوية فدرالية الاناركيين الاسبانية الى ١٦٠ الف عضو. فقط حوالي ٤٠٪ من عضوية الحزب الشيوعي الاسباني كانت من الطبقة العاملة.

ظهرت النية الشيوعية في التحرك ضد ثورة العمال واضحة جلية في صحيفة البرافدا في ديسمبر ١٩٣٦: "بالنسبة لقطالونيا، تطهير التروتسكيين والسينديكاليين الاناركيين قد بدأ، وسوف يجري بنفس القوة التي جرى بها في اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية".

خوان دومينغ، سكرتير اتحاد نقابات عمال الزجاج في الكونفدرالية، كان مسئولاً عن امدادات الغذاء في الحكومة الاقليمية في قطلونيا. في السابع من يناير، منظمة الامداد بالتموين التي تسيطر عليها الكونفدرالية كان قد تم حلها بناء على اوامر الحكومة الاقليمية. مسئولية الامداد بالطعام انتقلت من دومينغ الى الحزب الاشتراكي الموحد لقطالونيا. التقى الحزب المهمة على عاتق السوق الحر والبزنس - وهو تحرك دعم من قوة منظمة البزنس التجاري والصناعي الصغير في

قطالونيا (GEPCI). كانت النتيجة ارتفاعا كبيرا في اسعار اصناف الطعام، بسبب الدعاية ونقص وفاد المواد الغذائية. الصحافة الشيوعية القت باللائمة على التعاونيات.

في ٢٣ يناير، اتحاد العمال العام في قطالونيا، الذي سيطر عليه الان الشيوعيون، عقد "مؤتمرا" للفلاحين اصحاب الارض في قطالونيا. كان هذا المؤتمر بشكل اساسي احباط دعائي موجه ضد التعاونيات الزراعية. تحريض الشيوعيين ادى الى هبة مسلحة من فلاحي مقاطعة تاراجونا، نتج عنها صدامات مسلحة مع الحرس الثوري وقوات دوريات المراقبة (ميليشيا شكلها البوليس بعد ١٩ يوليو ١٩٣٦). تصاعد الصدام عندما بدأ رودريجوز سالاس، رئيس الشرطة الجديد الموالي للشيوعيين، التحرك لتجريد المدنيين من السلاح في برشلونة - وهو المتهجم على جماعات الدفاع عن الاحياء في الكونفدرالية. هذه الصدامات ادت الى قرار من الحكومة الاقليمية بحل ميليشيات دوريات المراقبة في ٤ مارس.

في نوفمبر ١٩٣٦، عندما انضمت الكونفدرالية الى حكومة الجبهة الشعبية، جارسيا اوليفير اصبح وزيرا للعدل. وقد جعله ذلك مسئولا عن نظام السجون في اسبانيا. في اكتوبر اخذ حرس السجون الف من السجناء اليمينيين في سجون مدريد الى اطراف البلدة وتم اعدامهم، دون اوامر بذلك. لمنع الانتهاكات من هذا النوع، عين جارسيا اوليفير احد الاناركيين، ميلكور رودريجوز، رئيسا للسجون في مدريد. في نفس الوقت، كان الشيوعيون قد اكتسبوا السيطرة على الحكومة الثورية في مدريد، بالسيطرة على عصبة الدفاع في مدريد. في ٢٠ ابريل ١٩٣٧، صرح رودريجوز بأن سجن شيوعيا سريرا قد تم اكتشافه في مدريد. في هذا السجن كان ابن اخت احد المسؤولين الكبار في حزب العمال الاشتراكي الاسباني معتقلا، وعدد من الاشتراكيين الذين تم تعذيبهم فيه. هذه الفضيحة ادت بحكومة كابليرو الى حل عصبة الدفاع في مدريد. غير الحزب الشيوعي الاسباني نغمة حديثه عن كابليرو بعد ذلك بوقت قصير. في اوائل ١٩٣٦ وشمّت الصحافة الشيوعية كابليرو بخاتم "لينين اسبانيا". في ربيع ١٩٣٧ كانت صحافتهم تصفه كبله عجوز يعاني من الشيخوخة.

في ٢٥ ابريل، اغتيل ناشط الحزب الاشتراكي الموحد، رولدان كورتدادا، احد مجموعة الثلاثينيين السابقين، في منطقة بايو لوبريجات - احد معاقل الاناركية. قبض على احد الناشطين الاناركيين البارزين في بايو لوبريجات ولكن لم يقدم دليلا على اتهمته. كانت جنازة كورتدادا فرصة لمظاهرة جماهيرية حاشدة في الشوارع - استعراض قوة من الشيوعيين.

في مناخ من التوتر المتزايد، انفجر الصدام بين الشيوعيين والكونفدرالية في الثالث من مايو عندما هاجمت قوات ضخمة من الشرطة التي يسيطر عليها الشيوعيين مبنى تحويل المكالمات التليفونية الذي يديره العمال في برشلونة، مع اغارات اخرى منسقة على مباني تحويل المكالمات في مناطق اخرى. نظام التليفون في اسبانيا كان مدارا بواسطة فدرالية العمال التي تسيطر عليها الكونفدرالية الوطنية للعمل. كان عمال الكونفدرالية يسترقون السمع على مكالمات المسؤولين الحكوميين من اجل الاحتفاظ بمعلومات عن مواقفهم. استخدم الشيوعيون هذا الامر كذريعة لمحاولة الاستيلاء على نظام التليفونات في اسبانيا. لم يكن الحزب الاشتراكي الموحد لقطالونيا ضد هذه الممارسة للتنصت على المكالمات، على كل. وكما يتذكر احد المساعدين القريبين من زعيم الحزب الاشتراكي الموحد لقطالونيا خوان كوموريرا فيما بعد: "طبعاً، لو كان الحزب في موقع يستطيع فيه التنصت على المحادثات التليفونية، لكان صنع ذلك ايضا. يريد الحزب دائما ان يلم بكل المعلومات بشكل حسن". كانت مسألة سلطة.

انتشر سريعا خبر الهجوم على مبنى التليفونات. خلال ساعات انطلقت لجان الدفاع عن الاحياء في الكونفدرالية الى العمل ضد الشرطة التي يسيطر عليها الشيوعيين وبدأت في مترسة المباني. انضم حزب العمال للوحدة الماركسية ومنظمة الشبيبة التحررية الى هذا الاقتتال الداخلي وسرعان ما سيطرت جماعات العمال المسلحين على معظم انحاء المدينة والضواحي. انتشر اضراب عام في كل منطقة برشلونة. احتفظت القوات الحكومية بسيطرتها فقط على بعض اجزاء من المنطقة المركزية.

كل هذا القتال كان رد فعل تلقائي من الطبقة العاملة ضد لعب مسلح بالسلطة من قبل الشيوعيين. حاولت اللجان المحلية والاقليمية في الكونفدرالية التفاوض حول انتهاء القتال، ومنعت وحدات جيش الكونفدرالية من التدخل. في الرابع من مايو، اذاعت الكونفدرالية من خلال مكبرات الصوت ومن خلال راديو النقابات نداءات لانتهاء القتال وناشدت كل شخص ان يعود الى عمله. كلا من فيديريكا منتسني وجارسيا اوليفير، الوزيران الاناركيين في الحكومة القومية، اذاعا من خلال الراديو مناشدات بانهاء القتال. وصف عضو من حزب العمال لوحدة الماركسيين ما حدث في المتاريس كرد فعل على خطاب مونتينسي في الراديو:

"مقاتلو الكونفدرالية كانوا هائجين غضبا لدرجة انهم امسكوا بمسدساتهم واطلقوا الرصاص على جهاز الراديو. بدا الامر عجبيا ولكنه حدث امام عيني. لقد جن جنونهم غضبا على الاطلاق، ومع ذلك اطاعوا ما طلبوه منهم. ربما هم اناركيون، ولكن عندما يصل الامر الى منظماتهم فلديهم انصياعا هائلا للانظام".

بدأ العمال في السادس من مايو تفكيك المتاريس. فورا انتهز الحزب الاشتراكي الموحد في قطلونيا هذه الفرصة التي منحها الوضع للاستيلاء على مبنى التليفونات. بدا ان زعماء الكونفدرالية يصدقون ان كل شيء سوف يعود الى حاله كما كان قائما قبل الاقتتال، حيث ان "اعضاءنا قد اظهروا اسنانهم حاميه". لكن الامور لم تمض على هذا النحو.

قوة بوليس شبه عسكرية شديدة التسليح باعداد كبيرة ارسلت الى برشلونة لاعادة فرض سلطة الحكومة. استولت هذه القوات على مخازن كبيرة للسلاح تحتفظ بها الكونفدرالية. في الحادي عشر من مايو، تم دفن ١٢ جثة مشوهة بشدة لاناركيين شباب في مدفن بالقرب من ريبوليت. في الخامس من مايو، قتل الشيوعيون الاناركي الايطالي كاميلو بيرنيري، استاذ الفلسفة والمنفي المهاجر بسبب الفاشية الايطالية، ومعه اناركي ايطالي اخر.

في لقاء لمجلس وزراء حكومة الجبهة الشعبية في ١٥ مايو، اقترح الشيوعيون تحركا لحظر الكونفدرالية وحزب العمال لوحدة الماركسيين. رد كابليرو بأن ذلك لا يمكن تنفيذه بطريقة قانونية ابدأ، وانه لن يسمح بذلك طالما بقي رئيسا للحكومة. عندئذ غادر الوزراء الشيوعيون الاجتماع. وعندما قال كابليرو، "مجلس الوزراء ما زال منعقدا"، غادر الوزراء الاشتراكيون الديموقراطيون، والجمهوريون والقوميون الباسك الاجتماع ايضا، مساندة للشيوعيين. فقط الوزراء الاشتراكيون اليساريون الثلاثة والوزراء الاربعة من الكونفدرالية ايدوا كابليرو.

كانت الحكومة المركزية والحزب الشيوعي الاسباني هما المنتصر الاساسي في احداث مايو الدامية. تم طرد الكونفدرالية من كلا من الحكومة المركزية والحكومة الاقليمية في برشلونة.

سريعا، حرمت الحكومة المركزية الحكومة الاقليمية في قطلونيا من سيطرتها على البوليس المحلي وفعليا دمرت الاستقلال الذاتي لقطلونيا. كامبانيز واسكيرا تم تهميشهما بالكامل. حل خوان نيجرين محل كابليرو - وهو الاشتراكي الديموقراطي الذي كان متعاطفا مع الشيوعيين. تحرك الشيوعيون ضد الاشتراكيين اليساريين، مستخدمين البوليس للاستيلاء على صحفهم الكبرى التي يسيطر عليها فصيل كابليرو في حزب العمال الاشتراكي الاسباني.

صدق نيجرين على القمع الموجه ضد حزب العمال لوحدة الماركسيين الذي رفض كابليرو ان يفعله. اندرو نين، زعيم حزب العمال لوحدة الماركسيين، سريعا ما قبض عليه، وتعرض للتعذيب والاغتيل بواسطة عملاء شيوعيين. في ١٥ اغسطس، صدر قرار بمنح سلطات هيئة التحقيق العسكرية (SIM). هذه الهيئة هي شرطة سياسية سرية، يتسبدها عملاء البوليس السري العسكري السوفيتي (GPU). في مدريد وحدها كان عدد عملاء هيئة التحقيق العسكري السريين حوالي ٦٠٠٠.

كان بيل هيريك عضو الحزب الشيوعي الامريكي من نيويورك يخدم في كتيبة ابراهام لنكولن باسبانيا. في مذكراته، يصف هيريك كيف رشقته عيون غاضبة عدوانية بينما يسير في جولة ببرشلونة مرتديا زي الكتيبة الدولية اواخر عام ١٩٣٧... وكيف بصق الناس عليه. كتب هيريك عن ان احد الرؤساء في الحزب اجبره على مشاهدة اعدام شاب من الثوريين رميا بالرصاص في احد سجون هيئة التحقيق العسكرية. وصف هيريك مشهد اعدام فتاة هتفت "تحيا الثورة - Viva la revolución" في وجه احد بلطجية هيئة التحقيقات العسكرية الذي اطلق رصاصة ففجر رأسها. سيطر منظر اعدام تلك الفتاة على مخيلة هيريك ولازمه شبحها مما ادى الى خروجه فعليا من الحزب الشيوعي الامريكي بعد عودته الى مدينته نيويورك.

قامت استراتيجية الجبهة الشعبية على اساس فكرة محاولة الحصول على سماح من القوى الامبريالية الرأسمالية بشحنات السلاح الى الجانب المعادي للفاشية في اسبانيا. ولم تكن تلك استراتيجية واقعية تماما. القلق الاكبر للنخبة البريطانية كان البلشفية، وليس الفاشية. وهذا هو سبب تقديم الحكومة البريطانية في الثلاثينات تنازلات لا تنتهي لهتلر.

قادت استراتيجية الجبهة الشعبية بشكل طبيعي الى رؤية الكفاح على انه حرب اصطلاحية تقليدية. ولكن بمعايير الحرب التقليدية، كان الفاشيون يمتلكون ميزة متقدمة. كان لديهم جيشا مدربا وسبل للحصول على سلاح بكميات اكبر، عن طريق هتلر وموسوليني. فشل تنظيم حروب عصابات خلف خطوط

الفاشيين جاء من هذه الصورة التي رسمت الكفاح بوصفه حرب تقليدية. ولكن حرب العصابات كانت سوف تستفيد من تميز الجانب المعادي للفاشية بالتأييد الجماهيري لتكبير قطاعات واسعة من الجيش الفاشي.

لم توجه نداءات على اسس طبقية الى العمال في البلاد الاخرى لأن استراتيجية الجبهة الشعبية لم تصور القتال على انه كفاح جوهري من اجل سلطة الطبقة العاملة. وكما كتب جورج اورويل:

"فور ان تم تضيق منظور الحرب الى مجرد "حرب من اجل الديمقراطية" اصبح مستحيلا ان تتوجه بأي دعوة واسعة المدى تشارك عون الطبقة العاملة في الخارج... السبيل الذي كانت تستطيع الطبقة العاملة في البلاد الديمقراطية ان تساعد به الرفاق الاسبان كان هو العمل الصناعي - الاضراب والمقاطعات. لم يبدأ حدوث اي شيء من هذا القبيل ابدا".

الميزة المتقدمة الكبرى التي امتلكها الجانب المعادي للفاشية هي الحماس الثوري الجماهيري. ناور الشيوعيون لاكتساب السيطرة على الجيش، وإخفاء او تدمير ادارة العمال للصناعة، وساهموا في تخطيط المعنويات.

التحويل التعاوني القسري؟

في اغسطس ١٩٣٧، اصدرت حكومة نيجرين مرسوما بإلغاء مجلس اراجون للدفاع الذي تسيطر عليه الكونفدرالية. قوات الجيش تحت قيادة الجنرال الشيوعي انريك لايستر حطمت التعاونيات، وسلمت الارض مرة اخرى الى ملاكها، وقبضت على ٦٠٠ من اعضاء الكونفدرالية (وقتل بعضهم).

اتهم الشيوعيون، لتبرير مذبح اراجون، اتهموا الاناركيين بانهم يديرون عمليات نظام تعاوني اجباري. زعم الشيوعيون انهم ذهبوا الى هناك لتحرير المزارعين. عرض الاناركيون من جانبهم صورة ان تشكيل التعاونيات للاقتصاد الزراعي في اراجون كان منتجا لمبادرات محلية، حركة تحرر من اصحاب العمل الزراعيين وملاك الاراضي المستغلين. قامت شواهد تدعم كلا الصورتين.

طبقا لماكاريو رويو، العضو الفلاح باللجنة الاقليمية للكونفدرالية باراجون، عنصر من عناصر الاكراه لم يكن من الممكن تفاديه في اي ثورة. فالتطبيقات المهيمنة لا محالة سوف تقف موقفا مضادا لتحرر الطبقة العاملة. ولكن الى اي مدى يمتد هذا الاكراه والارغام؟ سياسة الشيوعيين حول الزراعة كانت مصدرا للنزاع مع اقسام من فدرالية العمال الزراعيين (FNNT) في الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال.

الشقاق الاكبر كان حول السياسة نحو ملاك الاراضي المتوسطين والكبار الذين لم يفروا من اراضيهم كرد فعل لانقلاب الجيش. هؤلاء الناس امتلكوا الارض الكافية لتأجير عمال يعملون لصالحهم. هؤلاء الملاك كانوا المعادل الاسباني لطبقة الكولاك في الثورة الروسية عام ١٩١٧. في معظم الاراضي المعادية للفاشية، كلا من فدرالية العمال الزراعيين والكونفدرالية عادة ما اتخذوا موقف يسمح لهؤلاء الملاك الفلاحين بالاحتفاظ بالارض التي تستطيع عائلاتهم زراعتها فقط. كان هدف فدرالية العمال الزراعيين والكونفدرالية هو القضاء على استخدام العمل المأجور في الريف.

ولكن الحزب الشيوعي الاسباني كان معارضا لنزع ملكية اي مالك للارض لم يفر. ومع ذلك، الفلاحين ملاك الارض الاكثر غنى وثروة كانوا عادة يمينيين، وكانوا غالبا الرؤوس السياسية **caciques** اليمينية في القرى. سياسة الشيوعيين المدافعة عنهم - التي تصل حتى الى نقطة مساعدتهم على استرجاعهم للارض التي تحولت ملكيتها الى التعاونيات - دعمت عناصر اليمين في الريف.

الممارسات الفعلية للكونفدرالية بالتحويل التعاوني لشكل ملكية الاراضي الزراعية والانتاج الزراعي اختلف باختلاف المناطق. في الاندلس، سياسة الكونفدرالية كانت هي نفسها سياسة الحزب الشيوعي الاسباني. لم تنزع الكونفدرالية ملكية اي ارض على الاطلاق. انشأت الفدرالية تعاونيات زراعية على عزب واقطاعات الملاك الذين هربوا، واستخدمت الحيازات الصغيرة التي جلبها الفلاحين طوعية اليها.

النزاع حول اراجون كان ايضا حول المدى الذي يجبر عنده الفلاحين اصحاب الملكيات الصغيرة الذين لا يستخدمون اي عمل مأجور على ادماج حيازاتهم الصغيرة في التعاونيات. هذا الصنيع كان عكس نصيحة كروبتكين في كتابه غزو الخبز ولم تتبعه الكونفدرالية في اجزاء اخرى من المنطقة المعادية للفاشية.

كان ساتيرينيو كارود ابنا لعامل زراعي بلا ارض في اراجون وقائدا للاحد طوابير ميليشيا الكونفدرالية. كان كارود مدركا بشكل جيد كيف يرتبط الفلاحون بقوة بقطعة الارض الصغيرة التي يمتلكونها. "انها جزء من وجودهم. انهم عبيد لها. حرمانهم منها مثل خلع قلوبهم من بين ضلوعهم. يجب الا نرغم الفلاح على تسليم ارضه الى التعاونيات". ولكن في اراجون نصيحة كارود لم يأخذها احد دوما في اعتباره.

قرية انجويس مثال على ذلك. ينقل لنا رونالد فريزر، من كتابه "في دماء اسبانيا"، عبارات لحديث زوجين من انجويس. كلاهما كانا من المؤيدين المتحمسين المؤمنين: قال الرجل انه سوف يعطي حياته دفاعا عن الكونفدرالية. عندما انشأت التعاونية، كانا سعداء للخروج من تحت قبضة ملاك الاراضي الذين كانوا يطحنونهم في العمل.

لكن الزوجين وصفا المدينة وهي تدار بواسطة لجنة من ٢٠ رجل يطوفون فيها ومسدساتهم معلقة على جنوبهم ولا يعملون عملا ما. الفلاحون الذين حاولوا العيش لم يستطيعوا شراء السماد او البذور حيث ان النقود كانت قد الغيت والموارد تحت سيطرة التعاونية. اللجنة التي ادارت البلدة كانت تحشو جيوبها. افضل الطعام والاطياب كانت ينتهي بها السبيل الى منازلهم. هذا ما زعمه الزوجان.

كان رجال اللجنة يتجولون في الانحاء في سيارات صادروها من العائلات الثرية. وعلى غير منوال النساء الاخريات في البلدة، نساءهم كن معفيات من العمل. نادرا ما كانت تعقد مجالس القرية ولم تكن هناك اجراءات مرعية لسحب العضوية عن الاعضاء. الزوجان المناصران للكونفدرالية قالوا انه ساد سخط عظيم على تلك الاوضاع. آمن الزوجان انه لا بد من ثورة اخرى للتخلص من تلك النخبة الادارية الجديدة .

دعاية الشيوعيين صورت الامر في كل اراجون على انه يشبه احوال قرية انجويس. في الواقع، كانت هناك بلدات اخرى اوضاعها مختلفة تماما.

ماس دي لاس ماتاس كانت بلدة ثرية مزدهرة للفلاحين الصغار الذين يمتلكون اراضي في اراجون، يبلغ سكانها ٢٥٠٠ نسمة. قبل الحرب، كانت عضوية الاتحاد النقابي للكونفدرالية هناك حوالي ٢٠٠ عضو. بادر الاناريكيون في انشاء تعاونية شملت القرية بالدعوة لعقد مجلسا للسكان. انتخب المجلس لجنة معادية للفاشية - نصفها كان من اعضاء الكونفدرالية ونصفها من انصار الحزب الجمهوري اليساري. كلا من اللجنة المنتخبة ومجلس البلدة اصبحا الحكومة الجديدة لها وادوات للتحويل الاجتماعي لاقتصاد البلدة. هذا مثال لما كان يسميه الاناريكيون الاسبان "البلديات الحرة". وهذا واحد من الاماكن القليلة التي بنى فيها الاناريكيون فعليا هذا النوع من هيكل للحكم قائم على اساس محاسبي جغرافي اثناء الثورة.

ادخل العديد من الفلاحين حيازاتهم الصغيرة من الارض في تعاونية البلدة، موافقين على العمل في الارض بشكل جماعي. احد مميزات ذلك انه كان اكثر جدوى في استخدام الميكنة، التي قامت البلدة بشرائها من اجل استخدامها في عمليات فلاحية وزراعة الارض. كان سكرتير التعاونية شاب عمره ٢٦ عاما يعمل لدى نفسه كصانع دواليب خشبية. احضر ادواته الشخصية وادخلها في التعاونية. سيطرت التعاونية على كل الخدمات. السلطة السياسية التي مارسها تعاونية البلدة ظهرت في حقيقة انهم حظروا استئجار اي شخص للعمل كأجير. كما حظروا ايضا لعب القمار وبيع المشروبات الروحية .

رفضت ٥٠ عائلة من ملاك الارض في القرية الانضمام الى التعاونية وانضموا الى الاتحاد العام للعمال. ومع ذلك، لم يعارض كل الفلاحين الاكثر ثراء التعاونية. عندما سأل زائر احد اكثر الرجال ثروة في البلدة عن سبب انضمامه الى التعاونية، اجابه: "لماذا؟ لان هذا هو اكثر الانظمة الموجودة انسانية".

لم يعارض الاتحاد العام للعمال دائما التعاونيات. في قرية اندورا، اغلبية اعضاء التعاونية كانوا ينتمون الى الاتحاد العام للعمال.

عندما قامت قوات ليستر الموالية للشيوعيين بغزو اراجون في ١٩٣٧، انعقد مجلس السكان في ماس دي لاس ماتاس، وبوجود البوليس على رأس الاجتماع، سمحوا لأي شخص يريد الخروج من التعاونية ان يفعل ذلك. هبطت عضوية التعاونية الى ١٥٠٠. وهكذا استمر ٦٠٪ من السكان طوعيا يدعمون التعاونية، رغم التهديد الموجود في القوات الشيوعية.

التحول الى التعاونية في اراجون كان له غرض مزدوج. للمدى الذي كانت فيه المبادرة محلية، الدوافع كانت ادارة ذاتية مجتمعية والمساواة. ولكن جيش العمال في اراجون، الذي تواجد على بعد كيلومترات قليلة فقط من القرية، لم يكن يمتلك خط يعتمد عليه تماما من الامداد لقطالونيا وفالنسيا وهما المنطقتان التي كانت الميليشيا هذه قد تشكلت فيهما. لعبت قرى اراجون ايضا دور تزويد هذه الميليشيات العمالية بالطعام.

في الاغلب، الغيت النفود وفرض نظام الحصص. بالسيطرة على استهلاك السكان المحليين، كان يمكن توليد فوائض من اجل تزويد الجيش الثوري. العمل مجانا لصالح الميليشيا المعادية للفاشية كان موضع فخر لانصار اليسار في القرى، ومصدر استهجان وسخط بين اليمينيين في القرى.

ولكن الغاء النفود في حد ذاتها كان مصدرا اخر للسخط بين الفلاحين الصغار. طبقا لرئيس الكونفدرالية في القرية التعاونية الكوريسا، لم يعجب الفلاحون فكرة اخذ الاشياء مجانا من المتجر العمومي لانهم يشعرون ان ذلك يشبه التسول . فهم يعتقدون انهم يكسبون الحق عند مستوى معين من الاستهلاك من خلال عملهم.

السكرتير الاناركي للتعاونية الناجحة في ماس دي لاس ماتاس قال ان الغاء النفود "ظهر انه كان احد اخطاءنا الكبيرة". آمن الرجل انه قد كان من الافضل ان ندفع للناس نظير عملهم، ونمنحهم مكافآت اضافية نظير احتياجات من يعولونهم.

لو ان البالغين القادرين جسديا يكسبون حقا لهم في الاستهلاك بناء على عملهم، فهذا يسمح لكل فرد ان يرتب احتياجاته الخاصة من المنتجات طبقا لرغباتهم الخاصة. غياب النفود ادى الى حالات من الاسراف والتبديد وانعدام الكفاءة مثل تخلص الناس من الخبز الزائد لانهم يحصلون عليه مجانا.

ساتورنينو كارود اعتقد ان الغاء النفود كان نتيجة مؤسسة على خلط للامور بين النفود والرأسمال. واصر على ان هناك حاجة لنظام محاسبة اجتماعية . وهذا سوف يتطلب وحدة نقدية لتحتوي القيمة في طياتها بالنسبة لنا التي هي قيمة الموارد المستخدمة في انتاج الاشياء. الرأسمال هو علاقة اجتماعية للهيمنة، تمارس من خلال الشراء السوقي لوسائل الانتاج واستئجار العمال، من اجل صنع الارباح. لا تفترض النفود استمرار وجود تلك الترتيبات الرأس مالية الاقتصادية.

الهدف الحقيقي للشيوعيين لم يكن تدمير التعاونيات. ساعد الشيوعيون على تشكيل التعاونيات الزراعية في مناطق اخرى. هدف الشيوعيين في اراجون كان تدمير قوة الكونفدرالية الوطنية للعمل. وبينما كانت القوات الشيوعية تهاجم الكونفدرالية في اراجون، لم تسمح قيادة الكونفدرالية لوحدة جيش الكونفدرالية في منطقة الارجون بالتدخل. اثر كل هذه الحقة كان تدمير المعنويات. وقد ساهم ذلك في غزو الجيش الفاشي لارجون بعدها بشهور قليلة.

اصدقاء دوروتي

اثناء القتال في ايام مايو بين الشرطة التي يسيطر عليها الشيوعيون وخصومهم من الطبقة العاملة في برشلونة، اقترحت مجموعة اصدقاء دوروتي - وهي جماعة من فدرالية الاناركيين الايبيريين - بديلا لسياسة التعاون مع الجبهة الشعبية التي تبنتها الكونفدرالية. وزع الاصدقاء (الاميجوس) منشورات اثناء القتال يدعون الكونفدرالية الى الاطاحة بالحكومة الاقليمية، واستبدالها بمجلس ثوري (junta) في قطلونيا يسيطر عليه اتحادات الكونفدرالية النقابية. دعت منشوراتهم ايضا الى التحويل الاجتماعي الكامل للاقتصاد ونزع سلاح الشرطة.

شكل الاصدقاء منظمتهم في مارس ١٩٣٧، بناء على مبادرة من اعضاء ميليشيا الكونفدرالية الذين عارضوا خلق جيشا جمهوريا جديدا بهيكل هرمي للقيادة. اطلق على المجموعة اسم دوروتي بسبب حربه الاخيرة داخل الكونفدرالية في اكتوبر ١٩٣٦. هوراشيو برييتو، لرغبته في استخدام شعبية دوروتي، حاول ان يجعله احد وزراء الكونفدرالية في حكومة الجبهة الشعبية. دوروتي رفض. قال دوروتي، "عندما ينزع العمال ملكية البرجوازية، وعندما يهاجم المرء الممتلكات الاجنبية، وعندما يصبح النظام العام في ايدي العمال، وعندما تسيطر الاتحادات النقابية للعمال على الميليشيا، وعندما يكون المرء، في الواقع العملي، في عملية صنع ثورة من اسفل لاعلى"، ببساطة لا يصلح مع ذلك ان نحافظ على استمرار شرعية الدولة الجمهورية .

الاميجوس (الاصدقاء) كانوا سينديكاليين تحررين يحاولون اعادة احياء برنامج مجلس الدفاع الذي دافعت الكونفدرالية عنه في سبتمبر-اكتوبر ١٩٣٦. اثنان من النشاط القياديين في مجموعة الاصدقاء هما ليبرتو كالياس وخايمم باليوس. في سبتمبر واكتوبر ١٩٣٦، كلاهما كان عضو هيئة ادارة منظمة التضامن العمالي اثناء حملة مقترح مجلس الدفاع.

في احداث مايو الفعلية في ١٩٣٧، لم يكن للاصدقاء وزنا كافيا في الكونفدرالية لاحداث تغيير في الاتجاه. كان لدى الاصدقاء بعض النفوذ بين وحدات ميليشيا الكونفدرالية وجماعات الدفاع عن الاحياء في الكونفدرالية. ولكن الوزن الاكبر في الكونفدرالية بقطلونيا كان لمقاتلي الوحدات النقابية المحلية، ومندوبي

مجالس العمال المحلية ومجالس عنابر المصانع ومحلات العمل في الصناعات التي تحولت الى الملكية التعاونية. لو سادت وجهة نظر الاصدقاء بين المجالس العمالية، لكانوا قد استطاعوا الحصول على سيطرة في المجمع الاقليمي العام وطردها المنادين بالتعاون مع اللجنة الاقليمية للجهة الشعبية.

عندما يجد الناس انفسهم يتبعون مسارا معينا من الحركة، فانهم يريدون الشعور بان لديهم تبريرا حتى يقدموا على ذلك. وهذا يعني ان هناك ميل عند الناس لايجاد مبرر لتصرفاتهم. حوالي مايو ١٩٣٧، السينديكاليون الاناركيون القياديون كانوا يتبعون استراتيجية الجبهة الشعبية ويحتلون مناصب في مراتب السلطة الهرمية في الحكومة وفي الجيش لبعض الوقت. كان ذلك محكوما بتغيير نظرتهم العامة للامور. احد الامثلة الطيبة على ذلك هو خوان جارسيا اوليفير. في يوليو واغسطس ١٩٣٦، كان اوليفير بطلا ممثلا للكونفدرالية "في المخاطرة بكل شيء"، في الاطاحة بالحكومة القطالونية الاقليمية، والاستيلاء على السلطة لتمسك بها الكونفدرالية. حوالي شهر مارس ١٩٣٧، تغيرت وجهة النظر هذه؛ اصبح خوان جارسيا اوليفير مدافعا عن ائتلاف الجبهة الشعبية. ظهر هذا التغيير في صورة درامية عن طريق مسلكه اثناء احداث مايو، معارضا اي محاولة لتوسيع الصراع، والاستيلاء على السلطة لصالح النقابات واتحاداتها.

انتقد الاصدقاء في منشورهم الرئيسي فشل الكونفدرالية في الاستيلاء على السلطة السياسية في يوليو ١٩٣٦:

"ما حدث كان يجب ان يحدث. الكونفدرالية... لم تمتلك برنامجا متماسكا. لم يكن لدينا فكرة الى اين نمضي... عندما ننطق بوجود منظمة بأكملها في التبشير بالثورة، فعلى تلك المنظمة التزاما ان تصرف عندما تنهض مجموعة من الظروف المواتية. وفي يوليو قدمت الفرصة نفسها. كان يجب على الكونفدرالية ان تقفز الى مقعد السائق في البلاد... بهذه الطريقة كنا سوف نكسب الحرب وننفذ الثورة. ولكن الكونفدرالية فعلت العكس. تعاونت مع البرجوازية في شئون الدولة، بالضبط في الوقت الذي كانت الدولة تتداعى نحو الانهيار الكامل."

اضافة الى الدفاع عن فكرة مجالس الدفاع القومية والاقليمية تحت سيطرة الاتحادات النقابية، دافع الاصدقاء ايضا عن تشكيل "بلديات حرة" - هياكل حكم تقوم على اساس مجالس سكان الاحياء او القرى - التي كانت الكونفدرالية تدافع عنها في البرنامج الذي اقره كونجرس سرقسطة في مايو ١٩٣٦. باليوس اطلق على البلديات الحرة اسم "حكومة ثورية صحيحة". تمسك الاصدقاء ايضا بالبرنامج السينديكالي للتحويل الاجتماعي للاقتصاد من اسفل من خلال ادارة الاتحادات النقابية للمشاريع الاقتصادية.

طبقا لاقوال باليوس، مبادرة العمال في احداث مايو برشلونة اظهرت "عزم البروليتاريا الذي لا يهتز نحو وضع قيادة للعمال في المسؤولية بالنسبة للكفاح المسلح، والاقتصاد وكامل وجود البلاد. وهو ما يقال عنه (بالنسبة لأي اناركي يخاف من الكلمات) ان البروليتاريا كانت تحارب من اجل الاستيلاء على السلطة التي كانت ستمضي ضروريا عبر تدمير الادوات البرجوازية القديمة وتشبيد هيكلا جديدا مكانها يقوم على اساس اللجان التي طفت الى السطح في يوليو (١٩٣٧)".

من وجهة النظر الاناركية الاجتماعية، القضية الرئيسية حول مجالس الدفاع المقترحة سوف تكون قابليتهم للمساءلة امام المجالس في مستوى القاعدة. اقترح الاصدقاء ان مجالس الدفاع تنتخب بواسطة مجالس الاتحادات النقابية. ولكن ماذا عن صناعة السياسات؟ سوف يكون الحل الممكن هنا جعل مجالس الدفاع تأخذ اوامر عملها من كونجرس الشعب القومي والاقليمي المقترح في برنامج سرقسطة للكونفدرالية المطروح في مايو ١٩٣٦. هذه الهيئات كان مقدرا ان تكون كيانات قصدية، تتشكل من مندوبين ينتخبون بواسطة المجالس القاعدية، بينما تعود القضايا الكبرى للمجالس القاعدية من اجل اتخاذ القرار فيها.

اقترحت الكونفدرالية ايضا حظر تدخل مجالس الدفاع في ادارة الاقتصاد، تلك الادارة التي سوف يسيطر عليها العمال من خلال نظام فدراليات الصناعة التي يديرها العمال ونظام التخطيط الاجتماعي.

وهكذا فيما يبدو لي ان الاقتراح السينديكالي بمجالس الدفاع وميليشيا الشعب الموحدة والتي تسيطر عليها النقابات كان تكتيكا على الاقل يتضمن انسجاما في الرؤية للاناركية الاجتماعية.

في اي نقاط يختلف مقترح مجالس الدفاع عن المفهوم اللينيني "للاستيلاء على السلطة"؟ اعتقد ان الاختلاف هو اوضح ما يكون اذا ما نظرنا الى الجدل الذي ثار داخل الحزب الشيوعي الروسي في ١٩٢١. في ذلك الوقت، نيكولا بوخارين، والكسندرا كولونتاوي وعدد اخر من البلاشفة تقدموا باقتراح نظام هيئات ادارة للاقتصاد الروسي تنتخبها النقابات. ندد لينين بهذا الاقتراح بوصفه "انحرافا سينديكاليا اناركيا" لانه سوف يعطي السلطة الاقتصادية "لجماهير غير حزبية"

شكلت ٩٠٪ من عضوية الاتحادات النقابية. بمنطق موقف لينين، كان عليه ان يندد ايضا بمقترح لجان دفاع الكونفدرالية لانه سوف يعطي السلطة الاقتصادية والسياسية والمسلحة "لجماهير غير حزبية" في الاتحادات النقابية.

رغم ذلك، بالنسبة لخصيه بيراتس، كانت "قوة السينديكاليين الاناركيين" بعد ١٩ يوليو ١٩٣٦ تكمن في نسق انتشار السلطة في المنطقة المعادية للفاشية، مفتتة الى عناقيد لا حصر لعددها من اللجان المحلية والاقليمية .

بييراتس، الذي نشط في الشبيبة التحررية بقطالونيا، عارض انضمام الكونفدرالية الى الحكومة الجبهة الشعبية ولكنه عارض ايضا البديل الداعي الى استبدال الحكومة المركزية الجمهورية بمجلس دفاع قومي مشكل من الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال. قال بييراتس ان مقترح مجلس الدفاع كان "مجرد حكومة اخرى باسم اخر". لكن الا يمكن ان يقال هذا عن اي نظام للحياة السياسية يقدم نسق للحكم العام في اسبانيا ككل؟ كان بييراتس محررا لصحيفة في قطالونيا باسم "اقراطيا"، ومعنى الاسم "لا حكم". يبدو ان اناركية "لا حكم" بييراتس كانت معارضة لاي نوع من الحياة السياسية الشاملة او لأي هيكل حاكم لاسبانيا كلها.

ولكن ذلك ببساطة كان مستحيلا. كانت هناك ضرورة ملحة لقيادة موحدة في القتال المسلح ضد العسكر الفاشيست. عمال الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال كانوا يصرون على الوحدة في النضال. كانت هناك طريقتين فقط حتى يمكن تحقيق هذه الوحدة. اما ان تأخذ الكونفدرالية زمام المبادرة وتستبدل جهاز الدولة القائم في قطالونيا وعلى المستوى القومي، موحدة عمال الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال في سلطة للحكم تسيطر عليها الطبقة العاملة، وإلا سوف ينجح الشيوعيون في توحيد السكان خلف راية اعادة بناء جهاز الدولة وجيش بقيادة هرمية. تلك كانت الاشكالية الجوهرية التي واجهت الكونفدرالية بعد ١٩ يوليو ١٩٣٦.

لو اطاحت الكونفدرالية بالحكومة الاقليمية في قطالونيا وخلقت هيكلًا لمجالس حاكمة قومية واقليمية من الكونفدرالية والاتحاد العام للعمال ووحدت ميليشيا الشعب، تحت سيطرة النقابات، لكان في استطاعة الكونفدرالية ان تسد الطريق على مقترحات الشيوعيين بجيش هرمي القيادة وارسال الذهب الى روسيا. لم تستطع الكونفدرالية سد الطريق على استراتيجية الحزب الشيوعي الاسباني للظفر بسلطة الدولة. وبفشلها في اتباع هذا المسار، جعلت الكونفدرالية من استراتيجية الجبهة الشعبية امرا لا مناص منه، وهكذا سهلت نمو سلطة الشيوعيين. ومع التسليم بتفوق الجانب الفاشي في امدادات السلاح، فلم يكن خلق نظام سياسي تسيطر عليه الطبقة العاملة في اسبانيا ضمانا للانتصار. ولكنه قد يكون عاملا لتحسين فرص النجاح.

باليوس والاصدقاء، وهذا يوضع في رصيدهم الايجابي، رأوا ان السينديكالية التحررية تفترض مسبقا نظاما للحياة السياسية - هيكلًا للحكم الذاتي السياسي - يستبدل الدولة، لو كان للطبقة العاملة ان تنجح في تحرير نفسها.

ظهرت الاناركية التقليدية غامضة وغير منسجمة الرؤى فيما يتعلق بمسألة ما الذي يمكن ان يحل محل الدولة. افتقدوا الوضوح نحو ضرورة وجود نمط جديد للحياة السياسية لاداء الوظائف السياسية الضرورية - وضع القوانين والقواعد الاساسية، وتكليف الاتهامات الخاصة بالسلوك الاجرامي والتقاضي لتسوية النزاعات بين الناس، والدفاع عن الترتيبات الاجتماعية الاساسية ضد الهجوم الداخلي والخارجي عليها والتنفيذ الجبري للقواعد والاحكام الاساسية. لا يمكن التخلص والاستغناء عن الوظائف السياسية للمجتمع بأكثر مما نستطيع التخلص به من الانتاج الاجتماعي. ولكن يمكننا القيام بالوظائف السياسية عن طريق هيكل من الحكم الذاتي الجماهيري، الذي يمد جذوره في ديموقراطية المشاركة لمجالس المجتمعات المحلية والوظائف الاجتماعية واماكن العمل.

الأناركسية والماركسية

الدولة والثورة

وهكذا تختلف الماركسية عن الأناركسية في العديد من الواجه، الا ان هناك بعض التماثل بين المدرستين في عدد من النقاط الفكرية والمنهجية. تشترك الماركسية مع الأناركسية في اهداف طويلة المدى (المجتمع الاشتراكي بلا دولة)، وفي العداء لنفس الخصوم السياسيين (المحافظون واليمينيون واحيانا الليبراليون)، ونفس التحديات البنوية (الرأسمالية والحكومات القائمة). بل طالما شارك العديد من الماركسيين في ثورات اناركسية والعديد من الأناركيين في ثورات ماركسية. ومع ذلك، يختلف الأناركيون مع الماركسيين في كثير من القضايا الهامة ومنها: الدولة، والبناء الطبقي للمجتمع، ومنهج الحتمية التاريخية.

النموذج الكلاسيكي والدائم فعلا للصدام بين الأناركسية والماركسية حدث اثناء الحرب الاهلية الروسية (١٩١٨ - ١٩٢١) في اوكرانيا: قوات الانصار الماخنويين تعرضت للتدمير والقتل والاعتقال على ايدي الجيش الاحمر البلشفي في الوقت الذي كان يحارب فيه هذان الجيشان معا ضد القوات البيضاء وقوات الغزو الالماني النمساوي؛ وحدث ايضا اثناء الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦: الماركسيون الثوريون من حزب العمال للتوحيد الماركسي (POUM)، والسينديكاليون الأناركيون في كونفدرالية العمل الوطنية (CNT)، وناركيو الفدرالية الأناركسية الايبيرية (FAI) ثلاثتهم واجهوا القمع وتعرضوا لهجمات القوات المسلحة للحزب الشيوعي الاسباني والكتيبة الدولية الستالينية في الوقت الذي كان الجميع يحاربون ضد الحركة الفاشية بقيادة الجنرال فرانيسكو فرانكو. هذا بعيدا عن التشهير بالعمالة للقبصر على غير اساس الذي وجهه ماركس ونجلز اكثر من مرة لباكونين في الاممية الاولى، وتصالحو بعدها لبعض الوقت. الا انه على الجانب الايجابي، تواجدت تاريخيا حركات هجين طابقت فكريا ما بين المدرستين: مثل حركات الماركسيين التحرريين وانصار التسيير الذاتي.

الدولة

بالنسبة للماركسيين، اي دولة هي بشكل اصيل ديكتاتورية طبقة على باقي الطبقات الاخرى. لذلك، في اطار النظرية الماركسية، فور ما يختفي التمايز بين الطبقات، سوف تختفي الدولة ايضا.

في اشهر مؤلفات لينين بعد قيام الثورة الروسية في فبراير ١٩١٧، الدولة والثورة، يستند لينين بشدة على شروح لافكار ماركس ونجلز، مدافعا عن خطته للاستيلاء بجهاز حزبه السري على سلطة جهاز الدولة الامبراطورية الروسية المتهاوية تحت ضربات جيوش المحور في الحرب العالمية الاولى، وفراغ السلطة الناتج عن الثورة ضد القيصر وخلعه في ثورة فبراير ١٩١٧ الشعبية. في هذا الكتاب يستشهد لينين بفقرة كاملة من كتاب فردريك انجلز الاشهر "اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة"، قام هو نفسه بترجمتها عن الالمانية، عن مفهوم الدولة في النظرية الماركسية:

"لذلك، فالدولة بلا أي قصد اخر هي سلطة مفروضة على المجتمع من خارجه؛ بالضبط كما هي اقل من ان تكون "حقيقة الفكرة الاخلاقية"، و صورة وحقيقة العقل، بنفس القدر الذي يستمر هيجل في وصفها به. بالاحرى، هي نتاج مجتمع وصل الى مرحلة معينة من التطور؛ انها القبول بأن هذا المجتمع قد وقع في حبال تناقض مع نفسه غير قابل للحل، وان هذا المجتمع قد انشق في تناقضات لا يمكن تسويتها، ولا يمتلك حولا ولا طولا للتخلص منها. ولكن بسبب هذه التناقضات، تلك الطبقات بمصالحها الاقتصادية المتصارعة، قد لا تستهلك نفسها ولا مجتمعها في صراع لا طائل من ورائه، ويصبح من الضروري ان تمتلك سلطة، تبدو من الظاهر أنها قائمة فوق المجتمع، تقوم بتطييب اثار هذا الصراع وتخفيف ويلاته والاحتفاظ به داخل حدود 'النظام العام'؛ وهذه السلطة، التي تخرج من المجتمع ولكن تضع نفسها فوقه، وتغترب بنفسها اكثر فأكثر عنه، هي الدولة".

وبهذا الاستشهاد يؤكد لينين حجته في مواجهة خصومه، فيقول: "وطبقا لماركس، الدولة هي اداة الحكم الطبقي، اداة لاضطهاد طبقة بواسطة طبقة اخرى؛ انها عملية خلق للنظام العام، الذي يعطي شرعية وديمومة لهذا الاضطهاد عن طريق التحكم في درجات سخونة واشتعال الصراع بين الطبقات. ومع ذلك، في رأي السياسيين البرجوازيين الصغار[هنا يقصد لينين ماركسيي الدولية الثانية في اوربا وروسيا]، النظام العام يعني التصالح بين الطبقات، وليس عدم اضطهاد طبقة بواسطة طبقة اخرى؛ وأن تخفف درجة اشتعال الصراع يعني تصالح الطبقات وليس حرمان الطبقات التي تخضع للاضطهاد من وسائل واساليب كفاحية محددة للاطاحة بظالمهم".

ومع ذلك، هناك بعض التطابق في الآراء بين الأناركيين والماركسيين. يؤمن الأناركيون أن أي دولة سوف تهيمن عليها لا محالة نخبة سياسية اقتصادية، لذلك تتحول الدولة فعلياً فتصبح أداة للسيطرة الطبقية.

وعلى خلاف الأناركيين، يؤمن الماركسيون أن القمع الطبقي الناجح دائماً ما يتطلب تقريباً طاقة فائقة للعنف هي الدولة، وأن المجتمعات السابقة على الاشتراكية كانت تحكمها طبقات اقلية، لذلك في النظرية الماركسية أي دولة غير اشتراكية تمتلك نفس الخصائص التي ينسبها الأناركيون والآخرين لكل شكل من أشكال الدولة.

المرحلة الانتقالية

تقود نظرية الدولة مباشرة إلى السؤال العملي عما يكون عليه شكل المرحلة الانتقالية إلى مجتمع حر بلا دولة في رأي كلا من الأناركيين والماركسيين بوصف هذا المجتمع هو الهدف النهائي لكلا منهما.

يؤمن الماركسيون أن الانتقال الناجح للمجتمع الشيوعي المتحرر من الدولة يتطلب قمع الرأسماليين وإلا فإنهم سوف يعيدون تأسيس سيطرتهم الخاصة بعد أن يستجمعوا قواهم مرة أخرى، ولذلك يرى الماركسيون ضرورة لوجود دولة في شكل ما يديرها العمال (ديكتاتورية البروليتاريا) لتأمين المرحلة الانتقالية. يعارض الأناركيون هذا المنطق بقولهم أن "دولة العمال" التي يدافع عنها الماركسيون هي استحالة منطقية، حيث أنه فور أن تبدأ أي جماعة في الحكم بواسطة جهاز الدولة، فإنهم يتوقفون عن كونهم عمال (هذا إذا كانوا كذلك من الأصل) ويتحولون إلى طغاة. أيضاً انتقد معظم الأناركيين فكرة ديكتاتورية البروليتاريا على كل من المستوى النظري والتاريخي. بشكل أساسي، ما يقال لدحضها هو أنها ليست الطبقة التي تستولى على السلطة ولكنها الأقلية، أي الحزب بالمعنى اللينيني، وبهذا الشكل تصبح ديكتاتورية ضد البروليتاريا. أنهم يشيرون إلى التدابير التي اتخذها لينين وتروتسكي وستالين أثناء الثورة الروسية منذ البدايات الأولى عام ١٩١٧ كدليل على ذلك. يدعم الأناركيون حججهم بالإشارة إلى طبيعة الاتحاد السوفيتي الغير ديمقراطية وطبيعة الدول الأخرى التي تميز نفسها بأنها "ماركسية"، بينما يدعم الماركسيون حججهم بالإشارة إلى هزيمة الثورات التي قادها الأناركيون مثل هزيمتهم أبان الحرب الأهلية الأسبانية.

لذلك كلا من الأناركيين والماركسيين يرغبون في "سحق" الدول القائمة. بعد "تخليم" الدولة، يسعى الماركسيون إلى استبدالها فوراً بدولة عمال، أي بديكتاتورية البروليتاريا، أو تنظيم العمال كطبقة حاكمة. من هذه النقطة، كما عبر عنها فردريك أنجلز، سوف تبدأ دولة العمال في الأفول. وفي الأخير تتوقف عن الوجود عندما ينهزم التناقض الطبقي تماماً. من الناحية الأخرى، يشعر الأناركيون أن أي إعادة خلق لأي نوع من الدولة سوف يضع السلطة في أيدي أقلية ضئيلة، ولسوف يستمر بعدها قمع الدولة. يرد عديد من الماركسيين على ذلك بقولهم أن القمع المنظم والمركزي ضد الطبقة الرأسمالية سوف يكون ضرورياً بشكل مطلق، وأن البروليتاريا تستطيع تحقيق ذلك على أكمل وجه عن طريق استخدام الدولة. يندمج الموقف الماركسي مع موقف الأناركية في أحد نهايات الطيف، حيث أن الأناركيين لا يتفقون بين أنفسهم حول إذا ما كان نظاماً لمجالس العمال الديمقراطية يحتكر العنف هو نفسه شكل من أشكال الدولة أم لا، بينما يختلف الماركسيون بين بعضهم البعض اختلافاً واسعاً على الشكل الذي تتخذه ديكتاتورية البروليتاريا.

الأحزاب السياسية

مسألة الاستيلاء على السلطة تستدعي معها مسألة الأحزاب السياسية، وهي أيضاً القضية التي تفرق بين الأناركيين والماركسيين. معظم الماركسيين يرون في الأحزاب السياسية أدوات مفيدة بل أنها حتى بالنسبة لهم أداة ضرورية للاستيلاء على السلطة، حيث أنهم يرون أن الجهود التي يتم تنسيقها بشكل مركزي هي أمر ضروري لهزيمة الرأسمالية ودولتها هزيمة تامة؛ وإن الأحزاب ضرورية أيضاً من أجل تأسيس هيئة قادرة على الاحتفاظ بالسلطة.

باختصار يمثل الحزب عند الماركسيين فكرة الطليعة السياسية التي استخدمت بشكل واسع ورحب جداً في القرن التاسع عشر لوصف أي فرد، يعتبر من وجه نظر ما، ساعياً لاكتشاف طريق يؤدي إلى مجتمع مستقبلي حر. صك هنري دو سان سيمون مصطلح 'الطليعة' في سلسلة من مؤلفاته كتبها في أخريات أيام حياته. وحذا حذوه هذا الذي كان في أحد الأوقات سكرتيره واحد حواريه (وفيما بعد، أنكى منافسيه، أوجست كونت)؛ سان سيمون كان يكتب في ظل الثورة الفرنسية، وكان يسأل بالأساس ما هو الخطأ الذي وقع: انتقال مجتمع العصور الوسطى الإقطاعي الكاثوليكي إلى مجتمع ديمقراطي صناعي عصري لماذا يؤدي هذا

الانتقال إلى إنتاج كل هذا العنف والانحلال الاجتماعي الهائل؟ رأى سان سيمون في الفنانين طليعة مجتمعه الجديد بينما رأى أوجست كونت في العلماء طليعة مجتمعه الفاضل.

الا انه ماركس، هو الذي بدأ في إحداث تغيير له وزنه لمعنى الطليعة عن طريق تقديم فكرته القائلة بأن البروليتاريا هي الطبقة الوحيدة الثورية حقا لأنها ليس لديها ما تخسره عند الغاء الطبقات - هو لم يستخدم حرفيا مصطلح "الطليعة" في كتاباته. والنتيجة، "نعرفها جميعا! فكرة حزب الطليعة الذي ينذر نفسه لكلا من تنظيم هذه الطبقة الأكثر اضطهادا المختارة كوسيط لحركة التاريخ ومن اجل منحها مشروعا فكريا، ولكنه أيضا، حزب الطليعة الذي ينذر نفسه لإشعال شرارة الثورة من خلال استعداده لاستخدام العنف، هذه الفكرة أوضحها لأول مرة لينين في ١٩٠٢ في كتابه 'ما العمل؟' وتردد صداها إلى ما لا نهاية منذ ذلك الحين".

ففي وقت كتابته "ما العمل؟"، كان لينين شابا روسيا مهاجرا عاد من منفاه في سيبيريا ويعيش في جنيف بسويسرا. كتاباته في الصحيفة الروسية الاشتراكية الديمقراطية "الايسكرا" (الشعلة)، وضعته في مركز الجدل المحتدم في ذلك الوقت بين الدوائر الماركسية الأوروبية حول افكار ادوارد برنشتاين "المراجعة او النقدية" للماركسية. كانت المشكلة أكثر الحاحا بالنسبة للينين الشاب حيث ان الماركسيين الروس المنفيين، المعروفين باسم الاقتصاديين، كانوا يدافعون عن افكار برنشتاين بحجة ان الحزب الديمقراطي الاجتماعي الروسي يجب ان يركز على العمل الشرعي الذي يستهدف التحسن الاقتصادي للطبقة العاملة الروسية. رد لينين على ذلك كان جدلا كلاميا ساخنا وضع فيه الخطوط العريضة للحزب الثوري الماركسي، كتاب "ما العمل".

يشرح لينين هذا المشهد بقوله: "ليس سرا ان هناك تياران قد تكونا في الاممية الاشتراكية الديمقراطية اليوم. يشتعل هيب الصراع بين هذين التيارين الان، وتتحول اوراق "قرارات الهدنة" الى رماد ودخان. جوهر الاتجاه الجديد، والذي يتبنى اتجاها "نقديا" ضد "التحجر العقائدي البائد" للماركسية، يعرضه برنشتاين بما يكفي من وضوح، ويعلنه ميليران".

تيار "المراجعة - نقد الماركسية" الذي ترعّمه برنشتاين احاط نفسه ببطارية كاملة من "الحجج المنطقية"، ورفض فكرة الافكار المتنامي واشتداد التناقضات داخل المجتمع الرأسمالي، ولم ير تناقضا من حيث المبدأ بين الاشتراكية والليبرالية. ومن هنا رفض هذا التيار المراجع فكرة الصراع الطبقي وبالتالي ديكتاتورية البروليتاريا على ارضية انه لا يمكن تطبيقها على مجتمع ديمقراطي بشكل خاص لأن الحكم فيه يتم طبقا لارادة الاغلبية. وهي النتيجة التي رأى لينين فيها "ليس أكثر ولا اقل من تنويع جديدة من الانتهازية"... وان ما تتدعيه من "حرية الانتقاد" هو الحرية في تحويل الاشتراكية الديمقراطية الى حزب ديمقراطي للإصلاحات الاجتماعية.

ومن هنا جاءت اول اسس اللينينية: "دون نظرية ثورية لا يمكن ان تكون هناك حركة ثورية... دور مناضلي الطليعة لا يمكن الوفاء به الا بواسطة حزب ترشده أكثر النظريات تقدما"...

حجر الاساس الثاني في اللينينية كانت مقدماته تحليل لينين للاضرابات العمالية في سان بطرسبورج التي حدثت بشكل منهجي خلال تسعينات القرن التاسع عشر في سان بطرسبرج. في نظر لينين، كانت هذه الاضرابات في حد ذاتها، ببساطة كفاح نقابي، تمثل علامة على استيقاظ التناقضات بين العمال واصحاب العمل، ولكن لم يصبح العمال بعد، ولا يمكنهم ان يكونوا على وعي بالتناقضات التي لا يمكن حلها بين مصالحهم وبين كامل النظام السياسي والاجتماعي الحديث. بهذا المعنى، حكم لينين على اضرابات التسعينات، رغم التقدم الهائل الذي تمثله مقارنة "بالتمردات" المبكرة، بأنها "تظل حركة عفوية صرف".

ترى اللينينية انه لا يمكن ان ينشأ وعي اشتراكي ديمقراطي وسط العمال من تلقاء انفسهم، بل يجب ان يجلب اليهم هذا الوعي من خارجهم: "تاريخ كل البلدان يظهر ان الطبقة العاملة، من خلال جهودها هي الحصرية، لا تستطيع سوى تطوير وعيا نقابيا فقط، اي، الاقتناع بضرورة الاتحاد والتجمع في نقابات، ومحاربة اصحاب العمل والسعي الحثيث لاجبار الحكومات على تمرير القوانين الضرورية لتشريعات العمل، الخ.

"...مذهب الاشتراكية الديمقراطية النظري نهض بشكل مستقل تماما عن النمو العفوي لحركة الطبقة العاملة، نهض كنتيجة طبيعية وحتمية لتطور الفكر وسط النخبة المثقفة الاشتراكية الثورية... ومن هنا، لدينا كل من النهوض العفوي لجماهير العمال، النهوض لحياة واعية وكفاح واع، ولدينا شباب ثوري، مسلح بالنظرية الاشتراكية الديمقراطية، شغوف لبناء اتصال بالعمال..."

وبالتالي يصل لينين الى اكتشافه المؤسس وهو الحزب الثوري: "الكفاح السياسي للاشتراكية الديمقراطية هو كفاح اكثر تكثيفا واكثر تركيبا بكثير من الكفاح الاقتصادي للعمال ضد اصحاب العمل والحكومة. وبالمثل (فعليا لهذا السبب)، تنظيم حزب اشتراكي ديمقراطي ثوري يجب ان يكون حتميا نوع مختلف عن شكل تنظيم العمال من اجل كفاحهم الاقتصادي هذا...

"انا اشدد على:

(١) لا يمكن لحركة ثورية ان تتحمل الصعاب وتبقى دون وجود منظمة ثابتة من قادة يضمنون الاستمرار؛

(٢) كلما جذب الكفاح العفوي جماهير اعرض، لتشكل اساس الحركة ولتشارك فيها، كلما كانت الحاجة اكثر الحاحا لمثل هذه المنظمة، وكلما كانت الحاجة اعظم لمنظمة متماسكة...؛

(٣) وأن مثل هذه المنظمة يجب ان تتشكل من اناس منخرطين بشكل محترف في النشاط الثوري؛

(٤) وانه في دولة استبدادية الحكم، كلما حصرتنا عضوية مثل هذه المنظمة اكثر في الناس المنخرطين باحتراف في العمل الثوري والمدرين بشكل محترف على اساليب مكافحة البوليس السياسي، كلما كان اصعب اجتثاث هذه المنظمة وتدميرها؛

(٥) وبالتالي كان عدد افراد الطبقة العاملة والطبقات الاخرى من المجتمع، الذين سوف يستطيعون الانضمام الى الحركة والقيام بالعمل الايجابي فيها، اعظم..."

يرى الاناركيون في منظماتهم النقيض من الجماعات الماركسية المغلقة. ففي رأيهم اهتمام الأحزاب "المركزية الديمقراطية" الاكبر ينصب على بلورة تحليل نظري صحيح وتام، وبناء عليه تطلب هذه المنظمات من اعضائها توحدا ايدولوجيا صارما، وتميل إلى استكمال رؤيتها التفصيلية للمستقبل، بممارسات سلطوية متطرفة داخل التنظيم في الوقت الحاضر. بينما المنظمات التي يتحدث عنها معظم الاناركيين تتخذ شكل المجالس او الفدراليات او الكونفدراليات تمارس الديمقراطية المباشرة وتسعى لخلق اليات تحقيق الاجماع والتوافق وتبحث عن التعددية بشكل مفتوح. الجدل داخل منظماتهم هذه يركز دائما حول جولات بعينها من الحركة؛ فمن المسلم به عندهم انه لن يستطيع أى احد أبدا ان يحول أحدا آخر إلى وجهة نظره بالكامل. قد يكون شعار، "لو أنت على استعداد للتصرف كأنا ركي في هذا الاتجاه في هذه اللحظة، فرؤيتك طويلة المدى هي شأنك الخاص تماما". يقول جريبر: "وهذا فقط يبدو معقولا: فلا احد منا يعرف إلى أى مدى سوف تأخذنا هذه المبادئ فعلا، ولا أى تركيب مجتمعي مبنى على أساس هذه الافكار سوف تبدو صورته النهائية الفعلية". اما بالنسبة لقضية الطليعة او النخبة المثقفة والجماهير، فهم يطرحونها على نحو مختلف نوعيا، "أن التحالفات الثورية تميل دائما للارتكان إلى نوع من الأحلاف بين عناصر المجتمع 'الأقل اغترابا' والعناصر 'الأكثر تعرضا للاضطهاد'. ونستطيع القول، أن الثورات الفعلية مالت للحدوث عندما تداخلت هاتان الشريحتان الاجتماعيتان مع بعضهما البعض بشكل واسع". وهم يصرون على عدم اعطاء اي وضع خاص متميز للبروليتاريا من خلال سؤال يطرحونه وهو، "لماذا تقريبا يبدو دائما أن الفلاحين والحرفيين، وحتى لدرجة اكبر، العمال الصناعيين الذين كانوا فلاحين وحرفيين منذ وقت قريب، هم الذين أطاحوا فعلا بالأنظمة الرأسمالية؛ وليس أولئك الذين يتعيشون منذ أجيال على العمل المأجور".

ومع ذلك، يختلف الماركسيون بين بعضهم البعض حول ما اذا كان للحزب الثوري ان يشارك في الانتخابات البرجوازية ام لا، واي دور يجب ان يلعبه الحزب بعد الثورة، وكيف يجب تنظيم هذا الحزب. من ناحية اخرى، يرفض الاناركيون بشكل عام المشاركة في الحكومات، ولهذا هم لا يشكلون احزابا سياسية، حيث انهم يرون اي هيكل ذو بناء هرمي يمتلك ميلا اصيلا نحو التحول الى كيان سلطوي وظالم. الا ان الكثير منهم ينتظمون سياسيا على اساس الديمقراطية المباشرة والفدرالية من اجل المشاركة بشكل اكثر فعالية في الكفاحات الجماهيرية وقيادة الناس نحو الثورة الاشتراكية (عن طريق ضرب النموذج وفشر الافكار).

العنف والثورة

هناك سؤال اخر يتعلق بقوة بنظرية الدولة وهو اذا ما كان استخدام العنف الواسع المنهجي امرا مقبولا ام لا؟ وكيف يتم تطبيق هذا العنف من اجل تحقيق الثورة الناجحة. منطق الاناركيين هو ان كل الدول هي دول "غير شرعية" لأن كل الدول تركز الى استخدام العنف المنهجي، في الوقت الذي ترى فيه الاناركية ان استخدام العنف على نطاق ضيق او حتى استخدام عمليات الاغتيال الذي يستهدف النخب الاجرامية قد يكون مفيدا او حتى ضروريا في بعض الظروف

(الدعاية بواسطة الفعل)، اما استخدام العنف الجماعي ضد الناس العاديين – مثل ذلك الذي مارسه ستالين في عمليات التطهير الكبرى، او بواسطة ماو في الثورة الثقافية – هو امر غير مقبول ابدا وغير مبرر. معظم الماركسيين يقدمون منطقا يطرح ان العنف الواسع المدى هو امر مشروع وهكذا "الحرب العادلة" هي امر ممكن، على الاقل في ظروف محددة كالدفاع الجماعي عن النفس، مثلا ضد محاولة انقلاب او ضد غزو امبريالي. وبعض الماركسيين خصوصا الستالينيون يزيدون في منطق استخدام العنف الواسع المدى بقولهم عموما "ان الغاية تبرر الوسيلة"، وهكذا نظريا اي درجة من العنف واهراق الدماء قد تكون مبررة من اجل تحقيق الشيوعية.

من الناحية الاخرى، بعض الاناركيين يرتقون بفكرة الدفاع الجماعي بدلا من فكرة العنف واسع المدى ضد الدولة. فبعضهم يروج للاحتجاجات والمسيرات والاضرابات العامة السلمية، ويرضون عن العنف فقط كدفاع عن النفس في مواجهة التحركات العدوانية التي تقوم بها الدولة لمنع ثورات الاناركيين السلمية. الا ان العديد من الاناركيين الاشتراكيين مثل جماعات الفردويين وجماعات العون المتبادل يفضلون عادة المقاربات الاصلاحية بدلا عن العنف الصريح ويدافعون فقط عن قدر محدود من العنف في ظل شروط مشددة للغاية. الاناركية الاجتماعية المعاصرة غالبا ما تروج لعدم العنف والكفاح السلمي واستخدام العنف فقط في حالات الدفاع عن النفس، ولكنها لا تؤمن بالمقاربات الاصلاحية.

الجدل حول قضية الطبقة

كلا من الماركسيين والاناركيين تستند تحاليلهم للطبقات الاجتماعية على اساس فكرة ان المجتمع ينقسم الى عديد من "الطبقات" المختلفة، لكل واحدة منها مصالح مختلفة طبقا لشروط وجودها المادي. ولكن الاناركيين والماركسيين يختلفون في اين يمكن لكل منهما رسم الخطوط الفاصلة بين تلك المجموعات الطبقة.

بالنسبة للماركسيين، الطبقتان الاكثر اهمية بالنسبة للتغيير الاجتماعي هما "البرجوازية" (ملاك وسائل الانتاج) و"البروليتاريا" (العمال بالاجر). اعتقد ماركس ان الظروف التاريخية الفريدة التي انشأت طبقة العمال الصناعيين سوف تدفعهم الى تنظيم انفسهم معا والاستيلاء على الدولة ووسائل الانتاج من بين ايدي طبقة البرنس، وتقوم بتحويل الاثنيين (الدولة وعلاقات الملكية) الى الشكل التعاوني، من اجل خلق مجتمع لا طبقي يديره العمال من اجل العمال. ماركس يرفض بوضوح لا لبس فيه الفلاحين، و"البرجوازيين الصغار" اصحاب الممتلكات الصغيرة، و"البروليتاريا الرثة" – من العاطلين والطبقات السفلى – بوصفهم غير قادرين على خلق ثورة.

التحليل الاناركي للطبقة سابق تاريخيا على الماركسية ويتناقض معها. منطق الاناركيين هو انه ليست كامل الطبقة الحاكمة هي التي تهيمن فعلا على الدولة، ولكنها اقلية تشكل جزء من الطبقة الحاكمة (وهكذا تدافع عن مصالحها هي)، ولكن من خلال منظور الاهتمامات الخاصة لهذه الاقلية، وخصوصا هم الاحتفاظ بكرسي السلطة. اقلية من الثوار تستولي على سلطة الدولة وتفرض ارادتها على الشعب سوف تصبح سلطوية بنفس القدر الذي تكون عليه الاقلية الرأسمالية الحاكمة، وسوف تؤسس نفسها فعليا بوصفها طبقة حاكمة. مثل هذا الوضع تنبأ به باكونين منذ زمن طويل سابق على الثورة الروسية وسقوط الاتحاد السوفيتي .

ايضا وبشكل تقليدي دافع الاناركيون عن ان الثورة الناجحة تحتاج الى دعم الفلاحين وان الثورة تستطيع الحصول على هذا الدعم عن طريق اعادة توزيع الارض على المعدمين منهم وصغار الملاك الفقراء. وبهذا المعنى، يتضح بلا اي لبس ان الاناركيين يرفضون امتلاك الدولة للارض بالارغام، رغم رؤيتهم الايجابية للملكية التعاونية الطوعية وانها اكثر كفاءة ومن هنا دعم الاناركيين لها (فعليا، اثناء الحرب الاهلية الاسبانية اطلق الاناركيون مبادرات لثأت من عمليات انشاء التعاونيات ولكن اقلية صغيرة فقط من هذه التعاونيات امتلكت كامل الارض، وقد اصبح مسموحا للفلاحين الصغار ان يزرعوا مزارعهم الخاصة دون استخدام العمل المجور).

منطق بعض الاناركيين المعاصرين (خصوصا انصار الباربيكون – "اقتصاد المشاركة") يقول بأن المجتمع الرأسمالي لديه ثلاث "طبقات" محورية في عملية التغيير الاجتماعي – وليس طبقتان. الاولى هي طبقة العمال (التي تتضمن كل من يدخل بعمله في انتاج او توزيع السلع اضافة الى كثير مما يسمى صناعة "الخدمات"). وبهذا تتضمن هذه الطبقة الفلاحين، المزارعين واصحاب الملكيات الصغيرة، واصحاب البرنس الصغير الذين يعملون مع عمالهم واصحاب الياقات الزرقاء والبيضاء والوردية . الطبقة الثانية هي طبقة المدراء (coordinator) التي تتضمن كل من تصبح طبيعة عمله بشكل اولي تتعلق "بضبط مسار" وادارة عمل

الآخرين ويكون ذلك بهدف مصلحة البرجوازية بشكل اولي، وايضا تتعلق بادارة المؤسسات، واعداد وتأسيس الحالة الفكرية الراهنة، او ادارة جهاز الدولة. التعريف الاناركي "طبقة المدراء" يتضمن اشخاصا مثل البيروقراطيين، والتكنوقراط، والمدراء، والاداريين الكبار، ومثقي الطبقة الوسطى (مثل علماء الاقتصاد، وعلماء السياسة والاجتماع، وعلماء الرياضيات، والفلاسفة، الخ)، وعلماء الطبقة والقضاة والمحامين وضباط الجيش ومنظمي الاحزاب السياسية والزعماء الخ. واخيرا طبقة النخبة المالكة او "الطبقة الرأسمالية" (والتي تستمد دخلها من خلال سيطرتها على الثروة والارض والملكية والموارد). بل ان هؤلاء الاناركيين يجادلون بالمزيد ان الماركسية تفشل، ولسوف تفشل دائما، لأنها تخلق، وسوف تخلق دائما، ديكتاتورية طبقة المدراء هذه حيث ان "ديكتاتورية البروليتاريا" هي استحالة منطقية. يعتقد البعض ان الماركسية تفشل لان "نمطها الاشتراكي في الانتاج" على المستوى النظري يجعل جهاز الدولة محوريا ويمنحه المكانة والنفوذ مما يجعله بدوره يمنح المكانة والنفوذ لاشخاص من طبقة المدراء هذه ليسيظروا على الدولة ووسائل الانتاج لادارة الطبقة العاملة، متصرفين فعليا بوصفهم طبقة رأسمالية بديلة. ومع ذلك، هذا لا يمثل مشكلة كبيرة امام الماركسيين التحرريين الذين يؤمنون بأن مثل جهاز الدولة هذا يجب ان يعمل من خلال ديموقراطية مشاركة تقودها الطبقة العاملة او حتى في شكل دولة اشبه بدولة الطوائف (Consociational state).

نقاط الاختلاف الرئيسية تتضمن هكذا حقيقة ان الاناركيين لا يميزون بين الفلاحين والبروليتاريا الرثة والبروليتاريا الصناعية وبدلا من ذلك يحددون كل الناس الذين يعملون من اجل تحقيق ربح للآخرين بوصفهم اعضاء في الطبقة العاملة، بغض النظر عن الوظيفة؛ وان الاناركيين يميزون بين النخب الاقتصادية والسياسية التي تضع السياسة ومشاريع الاعمال وبين موظفي الدولة الذين ينفذون هذه السياسات في الوقت الذي يضع الماركسيون المجموعتين في سلة واحدة.

يتهم كلا من الاناركيين والماركسيين بعضهم البعض بأن افكار الآخر تنبع من عقول مثقفي الطبقة الوسطى، بينما يدعي كل منهم ان فكره الخاص ينبع من الطبقة العاملة. فهم يشيرون الى حقيقة ان من ابتداع الماركسية عموما هو حامل لدرجة الدكتوراة، ومدارس الماركسية غالبا ما يطلق عليها اسماء مشتقة من المثقف الذي شكل الحركة من خلال رياضة ذهنية راقية في التنظير الفلسفي والتحليلي. بينما مدارس الاناركية تميل للظهور على اساس مبادئ تنظيمية او شكل من اشكال الممارسة العملية ونادرا (ان لم يكن مطلقا) ما تسمى باسم او تتمحور حول احد الافراد المثقفين. "لدى مدارس الماركسية دائما مؤسسون. وبالضبط، كما أن الماركسية انبثقت من عقل ماركس، فهكذا لدينا اللينينيون Leninists، والماويون Maoists، والالتوسيريون Althusserians. (لاحظ كيف أن القائمة تبدأ برؤساء الدول وتدرج بلا فواصل حتى تصل إلى أساتذة الجامعات الفرنسيين - الذين بدورهم يستطيعون توليد شيعهم الخاصة: لاكانيون Lacanians، وفوكوديون Foucauldians...). مدارس الأناركية على العكس، تنبثق من بعض أشكال المبادئ التنظيمية أو أشكال الممارسة العملية: النقابيون الأناركيون Anarcho-Syndicalists، الأناركيون الشيوعيون Anarcho-Communists، والانتفاضيون Insurrectionists، والبرنامحيون Platformists، والتعاونيون Cooperatives، والمجالسيون Councilists، والفردويون Individualists وهكذا دواليك."

يدافع الماركسيون عن ان افكارهم ليست ايدولوجيات جديدة ولم تخرج عنوة من فكر المثقفين ولكنها افكار تشكلت من خلال التناقضات الطبقيّة في كل نمط اقتصادي اجتماعي في التاريخ. هم يدافعون بقولهم ان الاشتراكية الماركسية على وجه اخص نشأت من عقول الطبقة العاملة بسبب التناقض الطبقي للنمط الرأسمالي في الانتاج. بعض الماركسيين موقفهم ايضا ان الاناركية قفزت من افكار البروليتاريا (او حتى البورجوازية الصغيرة) الذين همشتم الرأسمالية بوصفها كفاح ضد قوى الرأسمالية عشوائي وغشيم ورجعي.

محاور الظلم والاضطهاد الاخرى

التحليل الطبقي الماركسي يؤدي الى نتائج تتعلق بالكيفية التي ينخرط فيها الماركسيون مع حركات التحرر الاخرى في قضايا المرأة والسكان الاصليين وجماعات الاقلية العرقية والاقليات الثقافية مثل المثليين جنسيا. يدعم الماركسيون مثل هذه الحركات التحررية، ليس فقط لانها حركات ذات قيمة في حد ذاتها، ولكن ايضا على ارضية انها حركات ضرورية بالنسبة لثورة الطبقة العاملة، والتي لا يمكن لها ان تنجح دون الوحدة معها. ومع ذلك، يؤمن الماركسيون ان المحاولات التي تقوم بها الجماعات النوعية المضطهدة هذه، على اختلاف مجالاتها، من اجل تحرير نفسها سوف تستمر في الفشل ولا تحقق اهدافها كاملة حتى ينتهي المجتمع الطبقي، ولانه في ظل الرأسمالية والمجتمعات الطبقيّة الاخرى، السلطة الاجتماعية تستقر على اساس الانتاج.

ينتقد الاناركيون ومعهم اخرون الماركسية لوضعها اولوية للطبقة بهذه الطريقة وينتقدون كذلك تفسير الماركسية لاسباب التغيير التاريخي، ومنطقتهم في ذلك ان هذا الموقف الماركسي يخفي انواع اخرى من المظالم الاجتماعية والثقافية، والتي تتواجد لاسباب تتعلق بديناميكياتها الداخلية الخاصة. يرى الاناركيون كل

حركات التحرر لهؤلاء المضطهدين حركات مشروعة بشكل اصيل، سواء اكانوا فلاحين ام بروليتاريا، او اخرين، دون الحاجة الى تسكين هذه الحركات في مكان معين بمخطط مسبق للثورة. ومع ذلك، هذا الموقف ليس واحدا عبر كل الحركة الاناركسية، فالعديد من الاناركسيين يؤمنون ان كفاحات قضية واحدة بمفردها، تصبح محدودة الابعاد للغاية، رغم انهم يشاركونها (مثل الماركسيين) كفاحاتها ويحاولون دفع مواقفها للامام وتحسين اساليب كفاحها بطريقة اناركسية.

يميل الماركسيون الى رؤية الناس مشتركين في وعي طبقي معين قائم على اساس الوضع الذي يحتلونه في المجتمع الرأسمالي. يؤمن الماركسيون ان الناس تشترك في مجموعة من القيم والتصورات العقلية الجماعية الاقتصادية-اجتماعية وان الحرية تأتي من تحرير الطبقة من قيود وضعها الطبقي، وهكذا يمكننا تمكين المرء الفرد فعليا. الاناركيون من ناحية اخرى يميلون الى رؤية الناس بوصفهم افراد اجتماعيين يعيشون ظرفا مشتركا في المجتمع الرأسمالي، ولكنهم لا يشتركون بالضرورة في وعي طبقي منسجم. يؤمن الاناركيون ان الحرية تنبع من تمكين الفرد حتى يحررون انفسهم من الخضوع والتبعية والطاعة للقوى السلطوية والتراتبية الهرمية، وهكذا يشجعون الافراد على نسج علاقات بشكل حر وجماعي مع بعضهم البعض.

الدين مساحة اخرى للاختلاف بين الاناركسيين والماركسيين. يرى الماركسيون الدين كاداة برجوازية للهيمنة على عقول الطبقات الدنيا والتبشير للخنوع امام السلطة وقبول الوضع الراهن في مقابل وعود بمكافآت عظيمة في المستقبل. يتفق الاناركيون مع هذا التحليل، ولكنهم لا يعتقدون ان كل الاديان بحكم تكوينها تقوم بهذه الوظيفة. يميل الماركسيون الى تصوير المجتمع الشيوعي الخالي من وجود دولة مجتمعا خال ايضا من وجود الدين، بل انهم احيانا يروجون للعنف ضد رجال الدين والمؤسسات الدينية. رغم ذلك، هناك من الماركسيين الكاثوليك في امريكا اللاتينية الذين يتخذون مواقف ماركسية تحركهم دوافع لاهوت التحرير ومنهم من انضم حتى الى القتال في صفوف رجال حرب العصابات مثل حالة الراهب الكولومبي الشهير كاميليو توريس الذي قاتل في صفوف جيش التحرر الوطني الكولومبي ومات في احد المعارك. يستمر ماركسيون من لاهوت التحرير حتى اليوم في العمل بين صفوف حركة المنظمات الاجتماعية القاعدية كما هي الحالة في حركة الفلاحين بلا ارض البرازيلية. وبينما يروج الاناركيون احيانا للعنف ضد مؤسسات دينية معينة طاغية وسلطوية، فالاناركسية اشتهرت تاريخيا انها تتقبل برحابة صدر اكبر الروحانيات الشخصية والاديان التي تدعو للمساواة وتمارسها. ايضا اكتسبت الاناركسية تاريخيا دعما اكبر بين الطوائف الدينية وفي اوقات واماكن متنوعة جذبت اشكال اناركسية من المسيحية والبوذية والهندوسية والاديان الاخرى عشرات الالاف من الاعضاء. بعض الاناركيون يتصورون مجتمع المستقبل مجتمعا خال من الاديان بينما يتصوره اخرون منهم مجتمعا يحتفظ باشكال مساواتية من الاديان وروحانيات حرة منفتحة.

العلاقة بالسكان الاصليين والامم دون دولة

يختلف الاناركيون والماركسيون فيما بينهما اختلافا بينا في علاقتهم بالسكان الاصليين والاقليات القومية. في البدايات الاولى لكلا الحركتين تنبأ المفكرون من ماركس الى باكونين الى كروبتكين ان الثورة القادمة سوف تكتسب كل التمايزات بين الهويات القومية، وان عمال العالم ليس لديهم "امة"، وان الشكل الطبيعي للاشتراكية كان هو الاممية التي لا تعترف بالحدود ولا تحترمها. ظل هذا هو الموقف الثابت لكل معسكر اليسار المعادي للرأسمالية حتى اوائل القرن العشرين وما زال يمتلك تأثيرا ملموسا في دوائر كلا من الاناركسية والماركسية حتى اليوم.

اثناء السنوات التي ادت الى الثورة الروسية، وجد لينين والبلاشفة انه من المناسب قطع وعود بالاستقلال للاقليات القومية من السكان الاصليين العديدين غير الروس الذين يعيشون داخل حدود الامبراطورية القيصرية الشاسعة، خصوصا الاوكرانيين والبولنديين، في مقابل كسب دعمهم ضد القيصر. وفور استيلائهم على السلطة تبخرت كل هذه الوعود وتحطمت كل الحركات القومية في انحاء روسيا كلها وفي انحاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية فيما بعد وبشكل وحشي، حطمها لينين وتروتسكي وستالين وكل خلفائهم استمروا في نفس السياسة حتى انهيار الاتحاد السوفيتي كوحدة سياسية. في سنوات ما قبل احتدام الحرب العالمية الثانية، تمحورت سياسة الاتحاد السوفيتي الخارجية حول فكرة البلشفية القومية (الاشتراكية في وطن واحد)، عبرها سعت النخبة السياسية البلشفية في روسيا الى تحريض ودعم ثورات شيوعية-قومية في انحاء العالم، ابرزها الثورة في المجر والمانيا، ثم بعدها يقوم المركز بابتلاع المناطق الجديدة المستقلة في كومونولث سوفيتي - وهو الهدف الذي تحقق بعد الحرب العالمية الثانية مع حلف وارسو. فشل محاولة الهبة البلشفية القومية في المانيا عام ١٩٣٩ عوقت اليسار الالمانى، ومهدت الطريق لنهوض النازي واستيلائهم على السلطة وكانت الاثار الجانبية لهذه العملية الفاشلة حاسمة في السماح لستالين بالانفراد بسلطة الكرملين وطرده وقتل منافسيه الداخليين. عناصر هذا الفكر استمرت في السياسة الخارجية السوفيتية طوال سنوات الحرب الباردة وساعدت على خلق جاذبية لدعم الحركات الوطنية والمناهضة للامبريالية في انحاء العالم الثالث. وكانت تلك هي ايضا الدوافع التي حكمت معونة روسيا للحزب الشيوعي الصيني اثناء الثورة الصينية، لكن

فور استيلاء ماو على السلطة رفض السماح للاتحاد السوفيتي بالسيطرة على السياسة الصينية، مما أدى الى الخلاف مع ستالين الذي تصاعد الى حرب قصيرة بين القوتين. وهو نفس السياق الذي حدث فيما بعد بين الحكام الشيوعيين في الصين وفيتنام.

اثناء الثورة الصينية حدث سياق مواز عندما وعد ماو والحزب الشيوعي الصيني في البداية كل امم الصين العديدة، التي تعيش بلا دولة خاصة بها على ارض الصين الشاسعة ، بالاستقلال وحق تقرير المصير، ثم لم يرفض ماو والحزب الشيوعي الصيني الوفاء بالوعود فور استيلاءهم على السلطة فقط ولكنهم فعليا قاموا بغزو والحاق التبت، التي كان يعتبرها ماو مقاطعة رجعية. كل الحكومات الشيوعية المتتالية في انحاء العالم اتبعت نفس السياق في اطلاق الوعود اولا للاقليات القومية من السكان الاصليين بحق تقرير المصير من اجل اكتساب تأييدهم ثم المعارضة النشيطة لحقوقهم في تقرير المصير فور استيلاءهم على السلطة. الموقف الثابت الذي لا يلين ولا يتغير، السياسة العامة للحكومات الماركسية بداية من لينين فصاعدا كانت دعم النزعة القومية الثورية وحقوق جماعات الاقلية القومية نظريا ومعارضتها في الممارسة العملية. الاحداث، حركة الساندينستا في نيكاراغوا متهمة، بعد استيلائها على السلطة، بتنفيذ حملات تطهير عرقي ضد الشعوب الاصلية في البلاد من اجل الاستيلاء على اراضيهم.

موقف الاناركية هو لحد ما النقيض من ذلك. معظم الاناركيين، تاريخيا وحتى اليوم، يرى في الحدود والتقسيمات القومية امرا مدمرا ويتصورون عالما تتلاشى فيه التمايزات العرقية والعنصرية وتخفي مع الوقت بوصف هذا العالم هو العالم المثال. ومع ذلك، في الممارسة العملية، يقوم بنیان الاناركية على اساس انظمة ذات حجم صغير تتمتع بحق تقرير المصير، والحاكمة المحلية الذاتية، والعون المتبادل الذي يشجع رغبات الاقليات القومية في تقرير مصيرها على اساس من الامر الواقع؛ وبهذا المتوال اصبحت الاناركية تاريخيا متصالحة مع اشكال من القومية المناهضة للدولة. احد ابرز اشكال هذا التعاون بين نزعة الاقليات القومية للاستقلال الذاتي والاناركية كان التعاون مع الحركات التي تناضل من اجل الحكم الذاتي في قطلونيا واقليم الباسك في اسبانيا والذي وجد تعبيرا عنه تحت راية الكونفدرالية الوطنية للعمال اثناء الحرب الاهلية الاسبانية. والاحداث هو محاولة الانصار الصريح بين الاناركية والتقاليد السياسية للامريكيين الاصليين التي تجد تعبيرا عنها في حركة السكان الاصليين الحديثة (indigenist movement). المنظمات القومية المناهضة للدولة والتي تصف عملها السياسي بصفة الاناركية توجد حاليا في ايرلندا. والعديد من اعضاء حركة الهنود الامريكيين المعاصرة يعتبرون انفسهم اناركيين.

المادية التاريخية

المادية التاريخية هي مقارنة منهجية لدراسة المجتمع والاقتصاد والتاريخ صاغها بادئ ذي بدء كارل ماركس.

انقى صياغة عند ماركس "لمفهومه المادي للتاريخ" كان في مقدمة كتابه الشهير، "الرأسمال" : "في الانتاج الاجتماعي لوجودهم، يدخل البشر حتميا في علاقات محددة، مستقلة عن ارادتهم، وهي بالاسم علاقات الانتاج التي تلائم مرحلة معينة من تطور قوى الانتاج المادية. الحصلة الكلية لعلاقات الانتاج هذه تؤسس البنية الاقتصادية للمجتمع، الاركان الحقيقية له، التي تنهض عليها البنية الفوقية القانونية والسياسية المتوافقة بدورها مع اشكال محددة من الوعي الاجتماعي. نمط انتاج الحياة المادية يكيف المسيرة العامة للحياة الفكرية والسياسية والاجتماعية ويطبعا بطابعه. انه ليس وعي البشر الذي يحدد وجودهم، ولكن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم".

استمد ماركس صيغة المادية التاريخية من مفهوم الديالكتيك (الجدل) الذي وضعه هيغل الفيلسوف الالماني السابق عليه. خرجت هذه الطريقة من الافتراضات القائلة بأن اي ظاهرة طبيعية تتكون من خلال تباينها مع ظاهرة اخرى، وان ما هو كمي يمكن رؤيته بشكل نوعي، وأن الفهم الدقيق لما يمثل ظاهرة عشوائية هو امر ممكن (على غرار العديد من مبادئ عدم اليقين الفيزيائية). ماركس وشريكه في العمل فردريك انجلز "قلبا هيغل على رأسه" وحجتهم هي ان تلك الطرائق يمكن تطبيقها على المجتمع الانساني في شكل المادية التاريخية، لذلك يمكن دراسة الطبقات باستخدام التباين بين صاحب الملكية والعامل مثلا، او بتناول ما هو كمي للخروج بما هو نوعي، مثل تفسير التوزيع الغير عادل للملكية الخاصة من اجل اظهار المظالم الطبقيّة.

ورغم ان ماركس نفسه لم يستخدم مصطلح المادية التاريخية ابداء، (كان يشير اليه بوصفه "المادية الفلسفية"، وهو مصطلح استخدمه ليميزه عما سماه "المادية الشعبوية")، ففي السنوات الاخيرة من عمره، عام ١٨٧٧، كتب ماركس رسالة الى رئيس تحرير الصحيفة الروسية "اوتيتشستفيني زابيسكي (Otetchestvennye Zapisky)"، احتوت على هذا التصحيح ذو المغزى الكبير: ".... لو ان روسيا تنوي ان تصبح امة رأسمالية على منوال بلدان اوروبا الغربية، واثناء السنوات الاخيرة الماضية تحملت كثير من الصعاب في هذا الاتجاه - فهي لن تنجح دون ان تتحول اولا بقدر كاف من فلاحها ليصبحوا

بروليتاريا؛ وبعد ذلك، فور انتقالها الى الاحضان الدافئة للنظام الرأسمالي، سوف تجرب روسيا قوانين هذا النظام الذي لا يرحم مثل باقي الشعوب التي ارتكبت هذه الخطيئة. هذا هو كل شيء. ولكن ذلك لا يكفي ناقدى. انه يشعر من جراء نفسه انه ملزم بتشويهه مخططي التاريخي الذي وضعته حول نشوء وتكون الرأسمالية في غرب اوروبا وحوله هو الى نظرية فلسفية تاريخية للمسيرة العمومية التي فرضها القدر المحتوم على كل شعب، مهما كانت الظروف التاريخية التي يجد فيها هذا الشعب نفسه، من اجل هدف محتمل وهو وصول هذا المجتمع في نهاية المطاف الى شكل من الاقتصاد يضمن، بالتوسع الاكبر في قوى العمل الاجتماعي المنتجة، بلوغ التنمية الكاملة الاعظم للبشر. ولكني استميحه عذرا. (انه يسبغ على شرفا وفي نفس الوقت يلطخ سمعتي بشكل بالغ).

اما انجلز فقد كتب: "انا استخدم 'المادية التاريخية' لاضع مخططا حتى ارى مسار التاريخ السابق، الذي يسعى نحو الغايات النهائية والقوة المحركة العظمى، في كل الاحداث التاريخية الهامة للتطورات الاقتصادية في المجتمع، وأراه في التغييرات الحادثة بانماط الانتاج والتبادل، مع التقسيم التالي للمجتمع الى طبقات متميزة والصراع بين تلك الطبقات".

ورغم ان ماركس قد قال انه بذلك يقترح خطوطا استرشادية للبحث التاريخي، اصبح مفهوم المادية التاريخية بحلول القرن العشرين احد اركان المذهب الشيوعي، وقد توسع في بناءه وصقله مثقفون ماركسيون كبار مثل ادوارد برنشتاين وكارل كاوتسكي وجيورجي بليخانوف ونيكولاي بوخارين اضافة الى الاف من الدراسات الاكاديمية منذ وفاة ماركس وانجلز، حتى الان.

وهكذا اصبح الماركسيين يستخدمون شكلا لتحليل المجتمعات الانسانية يسمى "المادية التاريخية"، يفترض دائما ان البشر من اجل البقاء يستغلون الطبيعة معا بشكل جماعي من اجل انتاج وسائل العيش. ولكن بالطبع لا يؤدي جميع البشر نفس الاعمال، ولذلك يقوم بينهم تقسيم للعمل حيث يتكفل كل منهم بوظائف تختلف عن الآخرين. ولكن بعض الناس يعيشون على عمل الآخرين نتيجة لامتلاكهم وسائل الانتاج. والطريقة التي يتم بها ذلك تختلف باختلاف نوع المجتمع. وبناء عليه تفترض المادية التاريخية ان المجتمع ينتقل عبر عدد من الانواع او انماط الانتاج. تتضمن هذه الانماط عموما المشاعية البدائية او المجتمع القبلي (مرحلة ما قبل التاريخ)، والمجتمع القديم والاقطاعية والرأسمالية. في كل من هذه المراحل الاجتماعية يتفاعل الناس مع الطبيعة ويصنعون سبل عيشهم بطرق مختلفة. يتم توزيع فائض الانتاج بطرق متنوعة. المجتمع القديم يقوم على الطبقة الحاكمة من مالكي العبيد وطبقة العبيد، والمجتمع الاقطاعي يقوم على ملاك الارض الكبار واقتنائهم. ينتظم المجتمع الرأسمالي على اساس الرأسماليين الذين يملكون وسائل الانتاج، والتوزيع والتبادل (اي المصانع والمناجم والدكاكين والبنوك)، والطبقة العاملة التي تعيش على بيع عملها للرأسماليين مقابل الاجر.

على قمة هذا التحليل المادي التاريخي تقف فكرة ان الناس يجدون انفسهم اسرى عالم مادي محدد مسبقا، وان تحركاتهم من اجل احداث تغيير فيه تصبح داخل اطار ما يستطيعون هم تصوره عنه او وعيهم به. وبشكل خاص اكثر، علاقات الانتاج الاقتصادية الاكثر جوهرية، هي القوة المحركة والدافعة للتاريخ، وتجد تفسيرها في ميادين "البنية الفوقية" من الايديولوجيا والقانون، على الاقل في المدى الطويل.

طبقا للعديد من الماركسيين الذين وقعوا تحت نفوذ الماركسية السوفيتية، المادية التاريخية هي اسلوب من اساليب علم الاجتماع، بينما المادية الجدلية تتعلق بالفلسفة الاكثر عمومية وتجريدا. الادبيات الماركسية الارثوذكسية السوفيتية، صاحبة النفوذ القوي والتأثير القوي لمدة نصف قرن، قامت على مبادئ كتيب جوزيف ستالين "المادية الجدلية والمادية التاريخية"، وعلى المراجع التي اصدرها "معهد الماركسية اللينينية التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي".

وعلى الجانب الاخر، يستخدم الاناركيون نوعيات واسعة من الادوات للتحليل الاجتماعي وبعضهم يرون جدارة في المادية التاريخية بوصفها اداة للتحليل الاجتماعي. الا ان معظم الاناركيين يرفضون المادية التاريخية بوصفها علم كاذب يقوم على اساس مزاعم عمومية لم تختبر ومصطنعة. كان الاناركيون من بين الاوائل الذين انتقدوا اتجاه الديالكتيك المادي على هذا الاساس، وعلى اساس انه ينزع انسانية التحليل السياسي والاجتماعي ولا يمكن الاعتماد عليه باستمرار كمنهجية شاملة.

الحتمية التاريخية

التفسير البسيط للمادية التاريخية يفترض انه لو كانت الماركسية على حق في فهمها للقوى الطبقية التي تتصارع في ظل الرأسمالية، فتورة الطبقة العاملة الناجحة هي امر حادث لا محالة. ففي تحليله لحركة التاريخ، تنبأ ماركس بانهيار الرأسمالية (نتيجة للصراع الطبقي وانهيار معدل الربح)، وتأسيس مجتمعا شيوعيا في الوقت المناسب يمكن التغلب فيه على الصراع بين البشر، القائم بسبب الصراع بين الطبقات.

وما هو حقيقي بدرجة كبيرة هو ان ماركس وانجلز كان ينظرا الى مسارات التاريخ بوصفها مسارات تحكمها قوانين، وان الاتجاهات المستقبلية الممكنة للتطور التاريخي محدودة ومحكومة بقدر كبير بما قد حدث من قبل. وبالنظر الى الوراء، يرى ماركس وانجلز انه يمكن فهم المسارات التاريخية التي حدثت في الماضي بوصفها حدثت بحكم الضرورة بطريقة معينة وليست اخرى، ولحد ما على الاقل، يمكن تحديد المتغيرات الاكثر ترجيحاً في المستقبل على اساس دراسة متأنية لحقائق معلومة.

بعض الماركسيين، خصوصا زعماء الدولية الثانية في اواخر القرن التاسع عشر ووائل القرن العشرين، آمنوا بذلك. ومع ذلك، الدرجة التي يجب ان تصنع بها الثورة قوى واعية، كانت دائما قضية محل خلاف بينهم، والعديد منهم دافع عن موقفه بأن مقولة ماركس الشهيرة، "انا لست ماركسيا" هي رفض للحتمية التاريخية. وقد تعمق هذا الانشقاق بالحرب العالمية الاولى، عندما دعم كل حزب من احزاب الاشتراكية الديمقراطية في الدولية الثانية المجهود الحربي للامة التي ينتمي اليها هذا الحزب منهم او ذاك، باعتبار أن انتصار الرأسمالية في وطنها سوف يفسح المجال للانتصار النهائي الحتمي لبروليتاريتها. العديد من خصوم الحرب الماركسيين، مثل روزا لكسمبورج، القوا باللوم على "خيانة الدولية الثانية" جزئيا بسبب مذهبهم في حتمية الاشتراكية، الذي يبرر محاولتهم اصلاح الدول الرأسمالية القائمة. بدائل المستقبل التي طرحها روزا لكسمبورج بديلا عما يطرحه زعماء الاشتراكية الديمقراطية كانت "الاشتراكية او البربرية".

وحيث ان معظم الاناركيين يرفضون الديالكتيك والمادية التاريخية، فهم لا يزعمون ان الثورة واعادة تنظيم المجتمع هي امور حتمية، فقط هم يرونها امور مرغوب بها [جد].

نحو أناركية أخرى أندريه جروباتشيك

كتب احد أصدقائي مؤخراً: "ما من احد في حاجة لإزمية -ism أخرى من إزميات القرن التاسع عشر. ما من احد يحتاج لكلمة أخرى تسجن المعاني وتثبتها، كلمة أخرى تغرى عدد من الناس بالراحة والصفاء التي توفرها المنظمات المغلقة لأعضائها بينما تقود بعضاً منهم إلى الوقوف أمام فرق الإعدام أو أمام المحاكمات المظهرية. اللافتات تقودنا بسهولة إلى الأصولية، الشيع تقود حتماً إلى التعصب، وترسم المذهبية، وتصنع الجمود الفكرى، وتقلص من إمكانية التغيير".

من الصعب أن تختلف مع هذه الوجهة. إلا انه لمن دواعى الواجب اللذيد، اليوم، أن أقدم لكم احد الإزميات -ism، التي تمثل المنظور السائد للحركة الاجتماعية ما-بعد الماركسية في زماننا الحالى. إنها الأناركية. صبغت هذه الفكرة، الفكرة الأناركية، بلونها الوعى بالدعوة المسماة "أم الحركات" التي نساهم فيها الآن، وختمتها بخاتم جوهرى. تمثل الأناركية اليوم، بإطار أخلاقياتها، الإلهام الاساسى لحركتنا، التي يأتى اهتمامها بموضوع الاستيلاء على السلطة اقل من اهتمامها بفضح آليات الحكم ونزع شرعيته وكشف ستره، بينما تسعى لكسب مساحات اكبر باستمرار لصالح الحكم المحلى المستقل والإدارة الذاتية.

فى نيتى، خلال هاتين الدقيقتين الممنوحتين لى للكلام، أن أقدم لكم باختصار عرضاً لتاريخ الأناركية، حتى أستطيع فيما يليه أن اقترح نموذجاً للأناركية وتبعاتها الاستراتيجية التي سوف تلقى على عاتقنا حينما نرضى بمثل هذا النموذج.

إننى أنحو للاتفاق مع هؤلاء الذين يرون فى الأناركية ميلاً فى تاريخ الفكر الانسانى والممارسة البشرية، ميلاً لا يمكن حصره داخل نظرية عامة فى الأيديولوجية، تكافح من اجل تحديد وفضح الأبنية الاجتماعية الجبرية التسلطية متعددة المراتب الكهنوتية، وذلك عن طريق وضع علامات استفهام حول مشروعيتها: وفى حالة عدم تمكن هذه الأبنية من الرد على هذا التحدى، وعلى الأرجح هذا هو المنتظر، تصبح الأناركية حينئذ هى الجهود التي تقلص سلطانهم وتوسع من آفاق الحرية.

وهى لذلك، الأناركية، ظاهرة اجتماعية يتغير محتواها بالإضافة إلى مظاهر نشاطها السياسى مع الوقت. هناك طابع وحيد ذو طبيعة خاصة يرتبط بالأناركية، وهو أنها على عكس كل الأيديولوجيات الكبرى لا يمكن أن يتأتى لها وجود ثابت ومستمر على الأرض من خلال كونها سلطة حكومية أو لكونها جزء من النظام السياسى. يأتى تاريخها وسماتها المعاصرة من عامل آخر - إنها موجات من الكفاح السياسى. ونتيجة لذلك، تمتلك الأناركية ميلاً نحو "تعاقب الأجيال"، بمعنى انك تستطيع أن تحدد فى تاريخها موجات محددة المعالم جداً، طبقاً لفترة الكفاح التي تشكلت فيها.

ولكن من الطبيعى، كما مع كل محاولة أخرى لصياغة المفاهيم، محاولتى هنا أيضاً سوف يشوبها التبسيط. على الرغم من هذا، فإننى أتعشم أن تكون محاولتى مفيدة لفهم هذه الظاهرة الاجتماعية.

تاريخياً، تشكلت الموجة الأولى من خلال الصراع الطبقي فى أوروبا فى أواخر القرن التاسع عشر، وكان جناح "باكونين" فى الأممية الأولى هو ممثلها النظرى والعملى. تصاعدت بدايات المرحلة حتى عام ١٨٤٨، وبلغت ذروتها مع كومونة باريس (١٨٧١)، وترنحت خلال ثمانينات القرن التاسع عشر.

إنها شكل جنينى تماماً للأناركية، تخلط معاً ما بين الميول المناهضة للدولة، والمناهضة للرأسمالية، والإلحاد، بينما تحافظ بشكل أصيل على اعتمادها على العمالة الصناعية الماهرة فى المدن كعامل ثورى. "باكونين"، هذا الحالم المهيب، الذى كان "ديناميت وليس بشراً"، الذى هتف فى عام ١٨٤٨، "يجب إنقاذ سيمفونية بيتهوفن التاسعة من نيران الثورة العالمية حتى ولو دفع الواحد حياته ثمناً لها".

باكونين ترك لنا من ضمن تراثه واحدة من أجمل وربما أدق التوصيفات لواحدة من الأفكار الرائدة داخل التقاليد الأناركية:

"أنا عاشق متعصب للحرية، معتبراً إياها الشرط الفريد الذى تنمو وتتطور فى ظله الأملية والكرامة والسعادة الإنسانية، ولا اقصد الحرية الشكلية تماماً، التي تمنحها وتنظمها وتضبطها الدولة، تلك الكذبة الخالدة التي لا تمثل فى الواقع شيئاً آخر أكثر من امتيازاً للبعض مؤسس على عبودية الآخرين؛ الحرية التي اعنيها ليست هى الحرية الفردية، الأنانية، الرثة، الخيالية، التي تمجدها مدرسة جان جاك روسو، ومدارس البرجوازية الليبرالية الأخرى، التي تعتبر الحقوق المفترضة لكل الرجال، ممثلة فى الدولة التي تفرض لكل منا حدوداً للحقوق التي نملكها - - تلك الفكرة التي تنتهى لا محالة إلى أن تجعل من هذه الحقوق صفراً. لا، إننى

أعنى النوع الوحيد من الحرية، التي تستحق أن تسمى بهذا الاسم، الحرية التي تتشكل من التنمية الكاملة للقوى المادية والذهنية والأخلاقية الكامنة في كل شخص منا؛ الحرية التي لا تكبحها أى قيود سوى تلك الكوابح التي تختمها قوانين طبيعتنا الفردية، والتي بالطبع لا يمكن النظر إليها كقيود حيث أن هذه القوانين لم يفرضها علينا أى مشرع خارجى يقف على حد المساواة معنا أو فى مرتبة أعلى منا، ولكنها عوامل موروثه فينا ومستمرة معنا، تشكل الأساس المباشر لكي نوتننا المادية والعقلية والأخلاقية - - فى عوامل لا تقيدنا ولكنها شروط حقيقية ومباشرة تشكل حريتنا".

شهدت الموجة الثانية، من تسعينات القرن التاسع عشر حتى الحرب الأهلية الروسية، إزاحة واضحة لمركز الحركة من أوروبا الغربية إلى أوروبا الشرقية وأصبحت لذلك تعطى اهتماما أوضح للفلاحين. ولهذا كانت شيوعية "كروبتكين" الأناركسية، بشكل نظري، هى السمة الغالبة. بلغت المرحلة قمتها مع جيش "ماخنو" (جيش أسسه الأناركيون الروس من الفلاحين والعمال أثناء الثورة الروسية عام ١٩١٧ - المترجم) وانتقلت بعد انتصار البلشفية إلى أوروبا الوسطى داخل التيارات التي كانت تعمل تحت السطح.

تركزت الموجة الثالثة، من عشرينات القرن العشرين حتى أواخر الأربعينيات، فى وسط وغرب أوروبا مرة ثانية، وحصرت توجهها مرة أخرى نحو الطبقة العاملة الصناعية.

نظريا، كان ذلك ذروة النقابية الأناركسية، أكثر الأعمال قام بها المنفيون الروس الذين طردتهم الثورة البلشفية من روسيا. ومن هذه اللحظة، بات التباين بين النوعين الرئيسيين فى التقاليد الأناركسية واضحا للعيان: الشيوعية الأناركسية، التي يمكن أن نعتبر، على سبيل المثال، أن "كروبتكين" تمثلها - وعلى الجانب الآخر، تقاليد النقابية الأناركسية التي، ببساطة، ترى فى الأفكار الأناركسية النمط السليم والصالح لتنظيم المجتمعات الصناعية المتقدمة، عالية التعقيد. يندمج مثل هذا التيار الأناركى، ويتشابك عن طريق علاقات بتلاوين من الجناح اليسارى فى الماركسية، وهو النوع الذى يجده المرء، قل مثلا، فى شيوعى المجالس، الذين بزغوا من التقاليد اللكسمبرجية، والذين مثلهم لاحقا، بصيحات مثيرة جدا، منظرون ماركسيون مثل انطون بانيكوك.

بعد الحرب العالمية الثانية، شهدت الأناركسية هبوطا عاما كبيرا نتج بسبب إعادة بناء أوروبا وظهرت على السطح فقط وبشكل هامشى فى أشكال الكفاح المناهض للإمبريالية فى الجنوب، الذى كانت تغلب عليه، بالرغم من ذلك، نفوذ الاتجاهات الموالية للسوفييت. فضالات الستينات والسبعينات لم تشهد بروزا جديا للأناركسية، التي كانت لا تزال محملة بأثقال تاريخها، ولم تستطع التكيف مع اللغة السياسية الجديدة التي لا تبنى كلامها على صراع الطبقات. ولهذا فأنت تجد نزعات أناركسية فى مجموعات شديدة التنوع بدءا من الجماعات المناهضة للحرب، والحركة النسوية، والسود الخ، ولكنك لا تجد جماعة منهم فى حد ذاتها تصف نفسها إيجابيا بالأناركسية. فمن الواضح أن الجماعات الأناركسية فى هذا الوقت كانت لا أكثر ولا أقل من تقرير معاد للموجتين السابقتين (النقائيين الثوريين والشيوعيين)، وكانت شديدة الانعزالية - فبدلا من الانخراط مع هذه الأشكال الجديدة من التعبير السياسى انغلقت على أنفسهم، وعادة ما اقروا موافق غاية فى الجمود مثل الأناركيين الذين يسمون بـ "البرنامجيين" ذوى التقاليد الماخنوية. لذا، هذا هو الجيل "الشبح" الرابع.

بالوصول إلى الزمن الحاضر، نجد لدينا جيلين يتعايشا داخل الأناركسية: أهل الستينات والسبعينات التي شكلتهم سياسيا (والتي كانت فعلا إعادة تجسيد للموجة الثانية والثالثة)، والشباب الأكثر معرفة، من بين عناصر أخرى، بالسكان الأصليين، ومناصرى قضايا المرأة، ودعاة البيئة، وأصحاب التفكير النقدي للثقافات. تواجد السابقون كاتحادات فدرالية أناركسية، مثل الـ IWW، والـ IWA، والـ NEFAC، وأشباههم. أما تجسيد اللاحقين فهو أكثر بروزا فى شبكات عمل الحركة الاجتماعية الجديدة. ومن منظوري الخاص، تأتى منظمة "حركة الشعوب الكوكبية" Peoples Global Action، كالكيان الرئيسى فى تيار الجيل الخامس من الأناركسية. ما يثير الاضطراب أحيانا هو أن واحد من الملامح الشخصية لتيار الأناركسية المعاصر يتسم بأن أفرادها والجماعات المكونة له لا ينسبون أنفسهم عادة إلى الأناركسية. هناك بعضهم ممن يلتزم بمبادئ الأناركسية حرفيا فى كونها ضد الحلقية ومع التنظيمات المفتوحة لدرجة أنهم فى بعض الأحيان يتخرجون من تسمية أنفسهم "أناركيون" لنفس هذه الأسباب.

ولكن بالتأكيد تبقى المكونات الثلاث الجوهرية التي تسرى على طول الخط فى صميم الإيديولوجية الأناركسية - مناهضة الدولة، ومناهضة الرأسمالية، والسياسات المجازية (أى أنماط التنظيم التي تشبه بشكل واعى العالم الذى تريد خلقه. أو، كما صاغها مؤرخ أناركى للثورة فى أسبانيا "محاولة تخيل ليس فقط الأفكار ولكن أيضا تخيل حقائق المستقبل نفسه"). هذا الأمر قائم فى أى شئ من أول التعاونيين المفروضين Jamming Collectives وحتى الإعلام

المستقل **Indy media**, كل هؤلاء نستطيع أن نقول أنهم أناركيون مع الوضع في الاعتبار أننا نقصد أشكال جديدة. هناك درجة محدودة من الالتقاء بين الجيلين المتجاورين القائمان معا، وهي غالبا ما تأخذ شكل متابعة كل منهما لما يفعله الآخر - ولكن ليس أكثر من ذلك.

الإشكالية الأساسية التي تتغلغل في كيان الأناركية المعاصرة، بناء على ذلك، هي تلك الإشكالية التي تقوم بين المفاهيم التقليدية والمفاهيم الحديثة للأناركية. في كلا الحالتين نحن نشهد عيانا "هروبا من التقاليد"، ولكن كل بطريقته.

أجروا على القول بان "الأناركيون التقليديون" لم يفهموا تماما التقاليد. فكلية "تقاليد" نفسها لها معنيان تاريخيان: حرفيا، أحدهما أكثر شيوعا وانتشارا وهو ما يعني "الفولكلور"، القصص، والمعتقدات، والعادات، والأعراف السلوكية، بينما يعني الآخر الذي هو اقل شيوعا وانتشارا، ما نصه: اعبر، فوض الأمر، تحرك باتساق مع الآخرين، تشاور، قدم التوصيات.

لماذا اجذب انتباهكم لهذا الاختلاف في تفسير معنى كلمة تقاليد؟، بل إنني حتى اشد على أهمية التفسير؟ الإجابة هي: بسبب احتمال أن مصطلح التقاليد في تاريخ الأفكار قد يفهم على وجهين مختلفين. الوجه الأول (وهو ربما الوجه الأكثر شيوعا) هو أن التقاليد تقبل على إنها بنیان تام لا يمكن ولا يجب تغييرها أو تعديلها، ولكن يجب الحفاظ عليها في حالتها الثابتة ويتم تجاوزها في المستقبل، بدون تغييرها. مثل هذا الفهم للتقاليد يرتبط بهذا الجزء من الطبيعة البشرية الذي يشار إليه كالتبيعة المحافظة، التي هي مبالغة للسلوك النمطي، يشخصها "فرويد" على أنها "قهر التكرار".

المعنى الآخر للتقاليد، الذي أدافع عنه هنا، يتعلق بالطريقة الجديدة والمبدعة لإحياء الخبرة المستمدة من التقاليد. مثل هذه الطريقة الإيجابية، دعنا نقولها مباشرة، للتواصل، زرعت في الجانب الآخر من الطبيعة البشرية العامة، والتي تعتبر بصفة مؤقتة طبيعة ثورية، تتجاوز على طول الخط مع الحقيقة المجبول عليها الإنسان بطريقة متناقضة ظاهريا: الرغبة في التغيير، وفي نفس الوقت، الاحتياج الصحي لأن يبقى المرء ذاته.

والشكل الآخر من أشكال "الهروب من التقاليد" هو الشكل الذي يلجأ إلى تفاسير "ما بعد- الحداثة" المتعددة للأناركية.

اعتقد انه حان الوقت بالتأكيد للقيام، كما قال "ماكس وير"، ب "نزع الأوهام" عن الأناركية، الاستيقاظ من حلم عدمية ما بعد- الحداثة، ومعاداة العقلانية، والبدائيون الجدد، والإرهاب الثقافي، "والصور الزائفة". حان الوقت لاستعادة الأناركية إلى المسار العقلائي والسياسي للمشروع التنويري الذي هو مجرد استيعاب أن "المعرفة الموضوعية هي أداة تستخدم بواسطة الأفراد حتى يتمكنوا من أخذ قراراتهم بأنفسهم بناء عليها". العقل، كما تقول لوحات "جويا" المشهورة، لا يخلق وحوشا ممسوخة عندما يحلم، ولكنه يخلقها عندما ينام.

أود القول أن الحوار بين أجيال الأناركية الحديثة على اختلافها قد بات ضروريا. الأناركية الحديثة مصابة بتضاد لا حصر له.

لن يكفي أن نستسلم لعادة الغالبية من المفكرين الأناركيين المعاصرين الذين يصرون على الانقسام. سيكون من الطيب هجر انعزالية طريقة التفكير ب "إما كذا أو كذا"، والدخول في مناقشات تبحث عن بناء فكرة. هل مثل هذا النموذج الذي يبنى، ممكن؟ يبدو لي انه كذلك.

هناك نموذج جديد من الأناركية المعاصرة، يمكن تمييزه اليوم بين صفوف الحركة الاجتماعية الجديدة، وهو النموذج الذي يوسع من مساحة بؤرة مناهضة السلطة، بالإضافة إلى التخلي عن عقيدة اختزالية الطبقة. مثل هذا النموذج يسعى لإدراك الأبعاد الكلية للسيطرة، بمعنى، "تسليط الضوء ليس على الدولة فقط ولكن أيضا على العلاقات بين الجنسين، وليس الاقتصاد فقط ولكن العلاقات الثقافية والبيئية أيضا، وكذلك العلاقة الجنسية والحرية في كل شكل من الأشكال التي يمكن أن تجدها فيها، وكل ما سبق ليس من خلال المنظور الوحيد لعلاقات السلطة، ولكنه أيضا مدعوم بمفاهيم أغنى وأكثر تنوعا. هذا النموذج لا يشجب التكنولوجيا في ذاتها فقط، ولكنه يصبح أليفا لها ويستخدم أنماطها المتنوعة في مكانها السليم. انه لا يشجب المؤسسات في ذاتها، أو يشجب الأشكال السياسية في ذاتها، ولكنه يحاول وضع تصورات لمؤسسات جديدة وأشكال سياسية جديدة للعمل والكفاح من اجل مجتمع جديد. يتضمن أساليب جديدة للتجمع، وطرق جديدة لصنع القرار، وطرق جديدة للتنسيق، وهكذا دواليك. ومؤخرا جدا، إعادة الحيوية للجماعات التي تمتلك قابلية للانسجام والترابط، والهياكل التي تشكل درجات لا غنى عنها للارتقاء إلى الأعلى. وهي لا تشجب الإصلاحات في ذاتها فقط، بل إنها تكافح لصياغة إصلاحات غير إصلاحية والظفر بها، تلبي احتياجات الناس المباشرة، وتحسن من ظروف معيشتهم الحالية بالإضافة إلى التحرك نحو مزيد من المكاسب، مكاسب تتسبب في نهاية الأمر في التغيير، مستقبلا".

لن تمتلك الأناركية تأثيراً فعالاً إلا إذا تضمنت ثلاث مكونات شاملة: منظمات العمال، والحركيين، والباحثون. كيف تخلق قاعدة أساس للأناركية المعاصرة على المستوى الثقافي والنقابي والشعبي؟ توجد تداخلات عديدة تعمل من أجل أناركية أخرى، تكون قادرة على ترويج القيم التي ذكرتها أعلاه. فقبل كل شيء أنا اعتقد أن الأناركية يجب أن تعكس ما يمليه الواقع. وما اعنيه بذلك هو أن النضال الفكري يجب أن يعيد تأكيد مكانته في الأناركية المعاصرة. ففيما يبدو أنه واحدة من مكامن الضعف الأساسية في الحركة الأناركية في يومنا هذا، بالنظر إلى زمن "كروبتكين" أو "ركليوز" على سبيل المثال، أو زمن "هربرت ريد"، هي نقیصة إهمال ما هو رمزی بالضبط، وإغفال فاعلية النظرية.

فبدلاً من نقد الأناركیون لقصة ماركسيو ما بعد-الحدائفة الخیالیة والذائفة الصیت المسماة بـ "الإمبراطورية"، عليهم كتابة إمبراطورية أناركية. لوقت طویل، كثيراً ما كانت العقيدة الماركسية ترجع إلى النظرية، وبهذا الأسلوب، اتخذت لنفسها مظهراً علمياً ومنحت نفسها الفرصة لتصرف كنظرية. ما تحتاج إليه الأناركية اليوم هو أن تغلب على تطرفها في الناحيتين: تطرف المثقفين، وتطرف معاداة المثقفين. أنا أيضاً، مثل ناعوم شومسكى، لا أحمل تعاطفاً ولا صبراً على مثل هذه الأفكار. أنا أؤمن أنه لا يجب أن يكون هناك مجال للتناقض بين الأناركية والعلم: "في داخل التقاليد الأناركية كان ولا يزال هناك إحساس ما يرى أنه يوجد في العلم في حد ذاته، شيئاً ما كهوتيا وظالماً".

لا توجد، في حد علمي، حجة ما تسوغ اللاعقلانية، واعتقد أن المناهج العلمية لا ترقى لحدود أكثر من كونها أشياء معقولة، ولا أرى سبباً لا يحتم على الأناركیون أن يكونوا غير معقولين. أنا مثل شومسكى، حتى إنني أقل احتمالاً لاتجاه غير معتاد بدأ ينتشر، في مظاهر متنوعة، داخل الأناركية نفسها: "إن ما يدهشني كشيء لافت للنظر أن المثقفين اليساريين هذه الأيام يبحثون عما يحرم المضطهدين ليس فقط من بهجة الفهم والبصيرة، ولكن أيضاً من أدوات انعتاقهم، حين يخبرونا أن المشروع التنويري قد مات، وأنا يجب أن نتخلى عن أوهام العلم والعقلانية - تلك الرسالة التي سوف تسعد قلوب المستكبرين"...

أكثر من ذلك، أمامنا تقع مهمة وضع رؤية للأناركي البعثة. كيف سيكون دور الأناركي البعثة؟ بالتأكيد لن يكون مجرد إلقاء المحاضرات، كما كان يفعل المثقفون اليساريون سابقاً. يجب ألا تكون مدرسة، ولكنها تصبح الشخص الذي يتصور دوراً جديداً وعلى قدر كبير من الصعوبة: يجب أن تصغي جيداً، وأن تسبر الأغوار وأن تكتشف. دورها هو تعرية مصالح النخبة المسيطرة، المستتر بعناية فائقة خلف الخطاب الذي يبدو موضوعياً في الظاهر.

عليها أن تقدم العون للناشطين الحركيين وأن تزودهم بالحقائق. من الضروري ابتداء أشكال جديدة من الصلات بين الناشطين الحركيين والباحثين الحركيين. من الضروري أن تخلق آلية تعاونية تنسج العلاقات بين العلماء التحرريين، والعمال، والناشطين. من الضروري إقامة مؤسسات، ومراكز أبحاث، وتجمعات علمية، وممليات أناركية. اعتقد أن بهذه الطريقة، سوف تفقد الروح الحلقية، والتي هي لسوء الحظ ظاهرة تسرى بشدة في الأناركية المعاصرة، سوف تفقد قوتها نتيجة هذه الجهود. واحدة من المحاولات المنظمة لمقاومة هذه الروح الحلقية في الأناركية المعاصرة، هي الإطار العام الذي تتبناه الأهمية الأناركية الجديدة، الذي وصلني مؤخراً، والذي سوف أقرأه عليكم الآن.

الأهمية الأناركية هي مبادرة تعنى توفير سبيل للأناركيين في كل أجزاء العالم، الراغبين في التعبير عن تضامنهم مع بعضهم البعض، وتعنى تيسير الاتصالات والتنسيق، وتعنى التعلم من خبرات وتجارب احداً الآخر، وتعنى التشجيع على وجود صوتاً أقوى للأناركيين ومنظوراً أوضح لهم في السياسة الراديكالية في كل مكان، ولكنها ترغب في تحقيق ذلك في شكل يرفض كل اثر للانعزالية والتحزب، والروح الزعامية، ومذهب النخبوية الثورية.

نحن لا نرى في الأناركية فلسفة ابتدعت في أوروبا القرن التاسع عشر، ولكنها فضلاً عن ذلك، هي النظرية والممارسة الأصيل للحرية - تلك الحرية الفريدة التي لا تؤسس على حساب الآخرين - إنها المثال الذي يعاد اكتشافه إلى ما لا نهاية، نحلم به ونحارب من أجله في كل قارة وفي كل حقبة من تاريخ البشرية. سيكون لدى الأناركية دائماً ألف فصيل وفصيل، لأن التعدد سيظل دائماً هو جزء من جوهر الحرية، ولكن خلق شبكات من التضامن يجعل من كل منهم أكثر قوة.

- تصدق عليه -

١. إننا أناركیون لأننا نؤمن أن أفضل ضمان للحرية والسعادة البشرية يأتي عن طريق مجتمع يتأسس على مبادئ التنظيم الذاتي والجمعيات التطوعية والمعونة المتبادلة، ولأننا ننهب كل أشكال العلاقات الاجتماعية التي تتأسس على العنف المنظم، كالدولة والرأسمالية.

٢. إلا أننا نناهض مخلصين كل روح حلقية انعزالية، ونعنى بها أمرين:

• إننا لا نحاول فرض أى شكل خاص من أشكال الأناركية على شكل آخر بالقوة: البرنامجيون **Platformist**، أو النقابيون **Syndicalist**، أو دعاة البداية **Primitivist**، أو دعاة الانتفاضة **Insurrectionist**، أو أى أحد آخر. ولا نرغب فى استبعاد أى أحد على هذا الأساس - فنحن نشتم التنوع والتعدد كمبدأ فى حد ذاته، محدودا فقط برفضنا الجماعى لكيانات الهيمنة مثل العنصرية والتمييز الجنسى والأصولية الخ.

• حيث أننا لا نرى فى الأناركية مذهبا بالقدر الذى نراها فيه كعملية حركة نحو مجتمع حر وعادل ومستدام، لذلك نؤمن انه لا يجب على الأناركيين تقييد أنفسهم بالتعاون مع هؤلاء الذين يميزون أنفسهم كأناركيين، ولكن يجب عليهم البحث بنشاط عن أوجه التعاون مع كل فرد يعمل من اجل خلق عالم مبنى على تلك المبادئ التحررية العريضة، وان يتعلم منهم فعلا. فواحد من أغراض الأهمية هو تيسير أمران: الأول هو أن نسهل على أنفسنا اتصال بعض من الملايين فى أنحاء العالم الذين هم، فعلا، أناركيون دون أن يعلموا، بأفكار الآخرين الذين يعملون وفق نفس التقاليد، والأمر الثانى هو إثراء التقاليد الأناركية نفسها عن طريق التواصل مع خبراتهم.

٣. إننا ننذب كل أشكال الروح الزعامية ونؤمن أن الدور الصحيح للمثقف الأناركى (دورا يجب أن يكون متاحا لكل فرد) هو أن يساهم فى الحوار الجارى: أن يتعلم من خبرة بناء وكفاح المجتمع المحلى الشعبى وان يمنحهم عوائد تدبره لتلك الخبرات، وليس بروح الإملاء، ولكن بروح الهبة.

٤. أى شخص يقبل هذه المبادئ هو عضو فى الأهمية الأناركية، وكل شخص عضو فى الأهمية الأناركية له السلطة فى أن يتصرف كمتحدث إذا كانت هذه رغبتهم. لأننا نعلو بقيمة التعدد، فإننا لا نتوقع تماثل فى الآراء غير القبول بالمبادئ نفسها (وبالطبع، إقرارا بان مثل هذا التنوع قائم).

٥. التنظيم ليس قيمة فى حد ذاته ولا شرا فى حد ذاته، فلا يمكن إملاء مستوى البنيان التنظيمى، المناسب لمشروع معين أو مهمة معينة، مقدما ولكن يمكن تحديده فقط من قبل هؤلاء المنخرطون فعلا فى هذا المشروع أو المهمة. وهكذا بالنسبة لأى مشروع تتم المبادرة به داخل الأهمية: يجب أن يرجع للقاتنين عليه عملية تحديد الشكل والمستوى التنظيمى المناسبين لهذا المشروع. فى هذه الحالة، لا توجد حاجة لهيكل يتخذ القرار داخل الأهمية نفسها ولكن إذا شعر الأعضاء مستقبلا بالضرورة لذلك، سيكون ذلك راجعا للمجموعة نفسها ان تقرر كيف ستعمل مثل هذه الآلية، بشرط واحد وهو أن تكون فى إطار الروح العامة اللامركزية وروح الديموقراطية المباشرة.

أكثر من ذلك: يجب أن تلتفت الأناركية لخبرات الحركات الاجتماعية الأخرى. إنها يجب أن تتضمن فى مجرى العلوم الاجتماعية التقدمية. يجب أن تحيط بالأفكار التى تأتى من بعض الدوائر القريبة من الأناركية. ولناخذ على سبيل المثال فكرة اقتصاديات التشارك، التى تمثل رؤية اقتصادية أناركية متميزة، تضيف إلى التقاليد الاقتصادية الأناركية وتصحيحها. سيكون من الحكمة أيضا أن نصغى لتلك الأصوات التى تحذر من وجود ثلاث طبقات رئيسية فى الرأسمالية المتقدمة، وليس اثنين فقط. هناك طبقة أخرى من الناس، موسومين بطبقة المنسقين **coordinator class** من قبل هؤلاء المنظرين. دور هؤلاء هو السيطرة على والتحكم فى عمل الطبقة العاملة. إنها الطبقة التى تتضمن مراتب الإدارة العليا والخبراء والمستشارين المتخصصين كمحور لنظام سيطرة الطبقة - كالمحامين والمهندسين والمحاسبين الرئيسيين، وهكذا. إنهم يحتلون مكانتهم الطبقيّة بسبب احتكارهم للمعرفة والمهارات والعلاقات. هذا ما يمكنهم من الظفر بالوسائل التى تمكنهم من شغل المواقع التى يحتلونها فى اعلى مراتب الكهنوت الإدارى للشركات الضخمة أو عند الحكومة.

على أن هناك شئ آخر يجب أن نلاحظه متعلق بطبقة المنسقين هذه، وهو أنها قادرة على أن تصبح طبقة حاكمة. وهو فى الحقيقة المعنى التاريخى الحقيقى للاتحاد السوفييتى وما يسمى بالبلاد الشيوعية الأخرى. إنهم فى الحقيقة الأنظمة التى مكنت لطبقة المنسقين.

أخيرا، اعتقد أن الأناركية المعاصرة يجب أن تتوجه لوضع تصور عن رؤية سياسية.

وهذا لا يعنى القول بأن المدارس المتنوعة داخل الأناركية لا تتبنى أشكال محددة جدا من التنظيم الاجتماعى، ولو أنها غالبا ما تتفاوت بشكل ملحوظ بين إحداها والأخرى. إلا أن الأناركية ككل قد طرحت جوهريا ما بات الليبراليون يسمونه "الحرية السلبية"، أى بشكل آخر، "الحرية من" فى صورتها الشكلية، و بالأحرى "الحرية إلى" فى شكلها الواقعى.

وبالفعل، تفتخر الأناركية في كثير من الأحيان بالتزامها الكامل بالحرية السلبية كدليل على تعدديتها الخاصة، وعدم تعصبها الايديولوجي، وروحها الخلاقة.

فشل الأناركية في وضع تصور للظروف التاريخية التي تجعل من الممكن قيام المجتمع الأناركى بدون دولة تسببت في مشاكل عدة تتحدى الفكر الأناركى تظل بدون حل حتى اليوم. ولقد صارحنى احد الأصدقاء، من زمن ليس بالبعيد، "إنكم أيها الأناركيون دائما ما تبذلون أقصى الجهد حتى تظل أياديكم نظيفة، حتى إنكم فعليا تتخلفون عن الركب بلا ايدى على الإطلاق". انا اعتقد ان هذه الملحوظة ذات صلة وثيقة لافتقادنا للتفكير بشكل أكثر جدية في رؤية سياسية.

حاول "بيير جوزيف برودون" صياغة صورة ملموسة للمجتمع التحررى. وظهر أن محاولته هذه فشل محقق، ومن وجهة نظرى الخاص، هى غير مرضية على الإطلاق.

وفي جميع الأحوال، لا ينبغي لهذا الفشل أن يدعونا إلى الإحباط، ولكن ينبغي أن يشير علينا بالطريق الذى نسلكه - مدرسة الإيكولوجيا الاجتماعية في أمريكا الشمالية على سبيل المثال - طريقا يقودنا إلى صياغة رؤية سياسية أناركية جديدة. النموذج الأناركى ينبغي أن يحيط أيضا بمحاولة الإجابة على سؤال: "ما هى منظومة البدائل الإيجابية المؤسسية التى يتبناها الأناركيون للتشريعات المعاصرة والمحاكم والبوليس والإدارات التنفيذية المتنوعة". ينبغي ان "نمنح رؤية سياسية تتضمن التشريعات، وأشكال تطبيقها، وإصدار الأحكام القضائية، وسلطة تنفيذها التى توضح كيفية إنجاز كل من العناصر السابقة بشكل فعال بشكل لا سلطوى، فالرقى بمخرجات ايجابية لا يمد نضالنا المعاصر وفقط بالأمل الذى طال انتظاره، ولكنه سيوفر لحركتنا الحالية معرفة وفهم في مواجهة أنظمة الانتخاب والتشريع وتنفيذ القانون والمحاكم القائمة، وأيضا الفهم والدراية بالعديد من اختياراتنا الاستراتيجية".

أخيرا، ما هى التبعات الاستراتيجية لترقية مثل هذا النموذج؟

لقد سمعت العديد من المرات، في لقاءاتى بالمناضلين الحركيين من الأناركيين، افتراضا استراتيجيا، لا احمل نحوه أى تعاطف ولا افهم له تفسير. يحدثونك إننا يجب أن نبذل الجهد وان تتدهور معيشتنا حتى تتطور الأمور إلى الأحسن. وكعارض لهذا المنطق الغريب، الذى ينص على "كلما كنت أسوأ كلما كان ذلك أحسن"، اعتقد انه سيكون أكثر حكمة وأكثر معقولة كثيرا جدا، أن نصغي لنصيحة الأناركيين الأرجنتينيين التى تتبنى استراتيجية "توسيع مساحة القفص". تعى مثل هذه الاستراتيجية، بدلا من ذلك، انه من الممكن أن تحارب من اجل وان تظفر بإصلاحات اقل مما تحلم به الثورة بالشكل الذى يحسن من أحوال الناس ويحسن من الاختيارات المطروحة أمامهم حاليا، وفي نفس الوقت تخلق هذه الإصلاحات الفرص لمزيد من الانتصارات فى المستقبل. تعى هذه الاستراتيجية فهما بقول كونك نصيرا للمجتمع الجديد لا يسوغ لك تجاهل معاناة والآلام الناس الحالية، ولكنه يخول لك انك عندما تخاطب المتاعب المعاشة وعندما تعمل لجعل الأمور المباشرة أفضل، علينا أن نقوم بذلك بالطريقة التى ترفع من وعينا، وتمكننا من بناء كياناتنا، وتطور من منظماتنا وبالتالي تقود مسيرتنا فى منحى صاعد من التغييرات المستمرة التى تثمر عن الوصول إلى تحديد هياكلنا الاقتصادية والاجتماعية. توسيع ارض القفص لا ينبذ كفاحات الشعب القصيرة الأمد من اجل رفع الأجور على سبيل المثال، أو نضالهم لإيقاف حرب أو أعمالا ايجابية مثل تحسين شروط العمل، أو المشاركة فى وضع ميزانية البلد، أو فرض ضرائب تقدمية أو راديكالية، أو ساعات عمل اقل مع اجر كامل، أو إلغاء صندوق النقد الدولى، أو أى نضالات أخرى بأى صورة، وذلك بسبب أنها تحترم حقيقة أن وعى الشعوب ودرجة تنظيمها يتطور من خلال الكفاح، كما أنها بشكل عنيف تحاذر من هذا النوع من الاحتقار المنتشر بين المناضلين الحركيين للجهود الشعبية الشجاعة لتحسين ظروف حياتهم.

اعتقد، لننجز، أن مثل هذا النموذج من الأناركية المعاصرة له دور هام وهو أن تبني، فى ظل الأحوال المرعبة للرأسمالية، حركة فى مرحلة ما بعد الماركسية تطالب بقيم التنوير وان تجعل إدراك طاقاتهم أمرا حقيقيا.

شكرا لكم

أود أن اشكر اصدقائى: "ديفيد جريبر" و"يورى جورودون" و"مايكل ألبرت". قد تكون أى فكرة قد قرأتوها هنا هى من إبداع احد منهم.

الأناركيون الجدد بقلم ديفيد جريير

مقدمة

من الصعب تخيل زمن آخر غير هذا الزمان، الذي توجد فيه مثل هذه الهوة الواسعة بين المثقفين والمناضلين، بين المنظرين للثورة والمجاهدين من أجلها. يبدو أن الكتاب، الذين ظلوا ينشرون أعمالاً تأخذ شكل الأوراق السياسية لمواقف قطاعات واسعة من الجماهير الغير موجودة في الواقع، قد تلبستهم حالة من التشويش أو أسوأ من ذلك. وهي حالة من التعالي الذليل، رغم بزوغ أشكال جديدة من الحركات الجماهيرية فرادى هنا وهناك تنتشر في كل مكان. وأنها لفضيحة، في جانب محدد من جوانب ما بات يسمى حتى الآن بالحركة المناهضة للعولمة - دون وجود سبب معقول لمثل هذه التسمية. تلك الحركة التي دفعت، خلال مجرد سنتين أو ثلاث فقط من عمرها، إلى تحول في الوجدان الجمعي للملايين عبر الكوكب، شعوراً منهم بالإمكانات التاريخية المتاحة. قد ترجع هذه التسمية إلى مجرد جهل فاضح، أو بسبب إننا نلتقط فقط بواق ما تزرعه لنا المصادر المعادية: مثل صحيفة "النيويورك تايمز".

ومرة أخرى، يبدو أن معظم ما يكتب حتى في الدوريات التقدمية لا يصيب الهدف لحد بعيد، أو على الأقل نادراً ما ينصب اهتمام هذه الدوريات على ما يعتقده المشاركون الحقيقيون في الحركة انه الأهم بالنسبة لها.

كخبير انثروبولوجي ومشارك نشط - بشكل خاص في الطرف الأكثر راديكالية، من العمل المباشر في الحركة - قد أكون قادراً على إيضاح بعض نقاط سوء الفهم الشائعة؛ ولكن ما سوف أثبتكم به قد لا يلاقى قبولا حسناً. وما أخشاه، أن كثير من التردد يكمن في تلك بعض هؤلاء الذين توهّموا في أنفسهم ردحا طويلا من الزمن أنهم راديكاليون أن يصلوا إلى الاقتناع بطريقة من الطرق إلى أنهم في الحقيقة ليبراليون: يهتمون بتوسيع الحريات الفردية، ويسعون إلى العدالة الاجتماعية، ولكن بوسائل لا تتحدى بقاء المؤسسات الحاكمة كالرأسمال أو الدولة. ولكن كثير من هؤلاء الذين يرغبون في رؤية تغييرات ثورية قد يشعرون بالقلق وهم يقررون حقيقة أن معظم الطاقة الخلاقة للسياسات الراديكالية تنبع الآن من الأفكار الأناركية - هذا التيار الذي يستمر في نبذه حتى اليوم - وان وضع مثل هذا التيار في الاعتبار سوف يستلزم أن يندرجوا في العمل معه بالاحترام اللازم.

أنا اكتب كأناركى؛ ولكن بمعنى ما، أضع في حسابي كم من الناس المنخرطون في الحركة فعلاً يطلقون على أنفسهم "أناركيون"، وفي أي سياق، إلا أن هذا ليس بيت القصيد لحد ما. جوهر فكرة العمل المباشر، برفضها للسياسات التي تتوجه للحكومات تتوسل إليها حتى تعدل من مسلكها، والتي تقف في صف التدخل الجسدي ضد سلطة الدولة بالشكل الذي يفترض مسبقاً انه البديل - كل ذلك انبعث مباشرة من التقاليد الأناركية. الأناركية هي وجدان الحركة، هي روحها؛ هي مصدر كل ما هو جديد ومبشر بالأمل فيها. وهكذا فيما سيلي، سأحاول توضيح ما يبدو انه ثلاثة قضايا تخص الحركة يشيع فيهم اللبس - ما يفترض انه معارضتنا للشئ الذي يسمى العولمة، وما يفترض انه العنف الذي نتبناه، وما يفترض أننا في حاجة إلى أيديولوجيا متماسكة - ثم بعد ذلك سوف اقترح كيف يمكن للمثقفين الراديكاليين أن يطرحوا تصوراتهم لإعادة صياغة ممارساتهم النظرية في ضوء كل ذلك...

حركة العولمة؟

عبارة "الحركة المناهضة للعولمة" هي وجه العملة الآخر الذي سكه الإعلام الأمريكي، ولحق لم يشعر مناضلي الشارع براحة أبداً تجاه هذا المسمي. وللحد الذي تكون فيه هذه الحركة مناهضة لشيء، فهي مناهضة لليبرالية الجديدة، التي يمكن تعريفها بأنها نوع من أصولية السوق - أو، إذا أردنا التعبير بشكل أفضل، ستالينية السوق - التي تعتقد انه ليس هناك إلا اتجاه واحد للتطور التاريخي للإنسانية.

هذه الخريطة تمسك بها نخبة من الاقتصاديين، وشرائع من الكيانات الاقتصادية الضخمة، هؤلاء الذين ينبغي قطع أي سلطة عن أيديهم فور قيام مؤسسات تتصف بأى قدر من القابلية للمسائلة الديمقراطية؛ فمن الآن وصاعداً سوف تتبلور هذه النخبة من خلال المنظمات غير المنتخبة التي تخلقها المعاهدات مثل صندوق النقد الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، والنافتا NAFTA.

يمكنك أن تقول علانية، في بلاد كالأرجنتين وأستونيا وتايوان: "إننا حركة ضد النيوليبرالية". ولكن بلدا كالولايات المتحدة، دائما ما تتبدى فيه اللغة كمشكلة. فكيفيات الإعلام الضخمة هنا هي واحدة من أكثر أجهزة الإعلام السياسى الموجه شرا على الكوكب قاطبة: النيوليبرالية هي كل ما تراه في الصورة أينما تولى وجهك - ونتيجة لذلك تبقى الحقيقة التي تقع في خلفية الصورة هي انك لا تستطيع استخدام مفردة اللفظ نفسه.

أمام المسائل المثارة يمكنك استخدام مصطلحات دعائية في خطابك من نوع "قضايا التجارة الحرة" أو "السوق الحر". وهكذا يجد المناضلون الأمريكيون أنفسهم في وضع محير: فلو اقترح واحدا منهم وضع كلمة "N" (كما تسمى الأشياء هنا عادة) في نشرة أو كتيب صغير للدعاية، سوف تنطلق صفارات الإنذار علي الفور: ضبط احدهم يمارس الانعزالية، ويخاطب النخبة المثقفة فقط. لقد ظهرت كل أنواع المحاولات لتضع إطارا للتعبيرات والمصطلحات البديلة - إننا "حركة العدالة الكوكبية"، إننا حركة "ضد عولمة الشركات الضخمة". ولم يجد تعبير من هذه التعبيرات قبولا مناسباً ولم يلق الرواج، وكنتيجة لذلك، فمن الشائع في الاجتماعات الجماهيرية والندوات المختلفة أن تسمع المتحدثين يستعملون مصطلح "حركة العولمة" ومصطلح "حركة مناهضة العولمة" في نفس الموضع من الكلام بقصد ذات المعنى.

بالرغم من أن عبارة "حركة العولمة" فعلا في غير محلها بالكامل.

فلو أخذنا العولمة باعتبارها محور الحدود وحرية انتقال الناس والممتلكات والأفكار، عندئذ فمن الواضح بشكل جلي أن الحركة نفسها ليست فقط نتاجا من نواتج العولمة، ولكن يعني ذلك أيضا أن الغالب الأعم من الجماعات المنخرطة فيها - وخصوصا الأكثرهم راديكالية - هم أكثر من يدعم العولمة عموما بشكل يفوق صندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية. ولهذا على سبيل المثال - فقد كانت شبكة العمل الدولية المسماة حركة الشعوب العولمية - هي التي أول من وضع نداءات عالمية لتخصيص يوم من الحركة على مستوى العالم من اجل قضية معينة، مثل يوم ١٨ يناير ويوم ٣٠ نوفمبر - الأخير كان النداء الأصلي للاحتجاج ضد لقاءات منظمة التجارة العالمية في سياتل عام ١٩٩٩. وترجع أصول منظمة حركة الشعوب العولمية بدورها إلى الملتقى الدولي الشهير "من اجل الإنسانية والمناهض للنيوليبرالية" الذي انعقد في موسم الأمطار الموحلة بأحراش "تشيباس" في المكسيك، في شهر أغسطس ١٩٩٦، وكان الملتقى نفسه، كما قال مساعد القائد ماركوس، مبادرة من كل المتمردين من كل أنحاء العالم.

أتى الناس من أكثر من خمسين بلدا أفواجا، يدخلون في قرية "لا ريالداد" التي حررتها حركة "الزاباتيستا". وقد وضعت رؤية "شبكة عمل عبر القارات للمقاومة" في إعلان "ريالداد" الثاني: "نعلن إننا سوف ننشئ شبكة عمل متعاونة للمقاومة ضد الليبرالية الجديدة، للمقاومة من اجل الإنسانية: فلتكن شبكة من الأصوات التي تقاوم سلطان الحرب المشرعة عليهم. شبكة عمل للأصوات التي لا تتكلم فقط، ولكنها تناضل وتقاوم أيضا ضد النيوليبرالية ومن اجل الإنسانية.

شبكة عمل تغطي القارات الخمس وتدعم المقاومة ضد الموت الذي تبشرنا به السلطة.

وكما قالها الإعلان جلية واضحة "هذه الشبكة ليست بناءا تنظيميا، فليس لديها رأس مركزي ولا صناع قرار، ليس لديها قيادة مركزية ولا مستويات تنظيمية. إننا كلنا الشبكة، أنها كل المقاومين."

في العام الذي تلا ذلك، نظمت جماعات أنصار "الزاباتيستا" الأوروبيون المسماة "ياباستا" المؤتمر الثاني في أسبانيا، حيث تطورت فكرة عمل الشبكات خطوات إلى الأمام: ولدت منظمة حركة الشعوب العولمية في اجتماع عقد في جنيف في فبراير. من البداية لم تتشكل المنظمة فقط من جماعات الأناركيين والنقابات الراديكالية في أسبانيا، وألمانيا، وبريطانيا، ولكنها تضمنت أيضا عصبة الفلاحين الاشتراكية الغاندية في الهند (the KRRS) وجمعيات الصيادين الإندونيسيين والسيريلانكيين، واتحاد المعلمين الأرجنتينيين، ومجموعات السكان الأصليين كجماعة "الماوري" في نيوزيلندا و"الكونا" في الإكوادور وحركة العمال الزراعيين بلا ارض البرازيلية، وشبكة تتكون من المجتمعات المحلية التي أسسها العبيد الهاربون من الرق في أمريكا الجنوبية والوسطى - و أى أعداد من الآخرين. ولزمن طويل نادرا ما كان هناك تمثيل لأمريكا الشمالية، اللهم إلا اتحاد عمال البريد الكندي - الذي عمل بدور مركز اتصالات منظمة حركة الشعوب الكوكبية، حتى ظهرت الإنترنت لتحل محلها بشكل واسع منذ عام ١٩٨٨ - وجماعة أناركية أخرى مقرها مونتريال تسمى CLAC

وإذا ما كانت أصول الحركة أصول أممية، فمطالبها أيضا مطالب أممية. على سبيل المثال، برنامج جماعة "ياباستا" الثلاثي الأقسام في إيطاليا يدعو لحد أدنى أساسى للدخل مكفول عالميا، ويدعو إلى المواطنة العالمية، لضمان حرية انتقال الشعوب عبر الحدود، ويدعو لإتاحة السبل للوصول بحرية إلى معلومات التكنولوجيا الجديدة - وهو ما يعنى عمليا التقليل الحاد لحقوق براءات الاختراع (التي هى فعلا شكل خبيث ملتوى من أشكال الحماية). نظمت شبكة "لا حدود" - وشعارها "لا احد مهاجر غير شرعى" - أسبوع من المعسكرات والمعامل من اجل المقاومة الخلاقة، على الحدود البولندية الألمانية والأوكرانية، وفى صقلية وفى "تاريفا" فى أسبانيا. ارتدى النشطاء زى حرس الحدود، وشيدوا كبرى من القوارب عبر نهر "الأودر" ووقفوا على هيئة اوركسترا كاملة لقطع طريق مطار فرانكفورت للاحتجاج على ترحيل المهاجرين (هؤلاء الذين اختنق منهم العديد فى مخزن عفش طائرات لوفتهانزا وشركة كيه ال ام KLM). سيقام معسكر هذا العام فى ستراسبورج، موطن استخبارات ونظم معلومات دول "الشنجن - Shengen" - الاتحاد الأوروبي - حيث توجد قواعد بيانات البحث والمتابعة التى تمتد بنهايات طرفية بالآلاف عبر أوروبا، مستهدفة حركة المهاجرين والمناضلين و أى احد آخر يرغبونه. ولقد حاول النشطاء، مرارا وتكرارا، جذب الانتباه إلى حقيقة أن الرؤية النيوليبرالية "للعولة" مقصورة بشكل واضح ومحدد جدا على حركة الرأسمال والسلع، وتقيم فعلا الحواجز والموانع أمام انتقال البشر، والمعلومات، والأفكار - تضاعف حجم حرس الحدود الأمريكية ثلاثة مرات منذ توقيع اتفاقية "النافتا" NAFTA. ومن الصعب الدهشة: فلو كان من غير الممكن سجن الغالبية من البشر فى العالم داخل أقبية فقيرة، فلن يكون هناك أى حافز لدى "نايك" NIKE و"جاب" GAP لنقل إنتاجهم إلى هناك ليشرعوا فى استثماراتهم. فإذا ما توافر شرط حرية انتقال البشر، سوف ينهار المشروع النيوليبرالى من أساسه.

وهناك عامل آخر يجب التفكير فيه عندما يناقش الناس مسألة انهيار السيادة فى عالمنا المعاصر: كان الإنجاز الرئيس للدولة-الأمة فى القرن الماضى هو نجاحها فى تأسيس شبكة نمطية من الحدود المصطنعة ذات حراسة مشددة عبر العالم كله. وذلك ما يعنيه بالضبط النظام الدولى الذى نحارب، باسم عولمتنا الخاصة.

هذه العلاقات - والصلات الأوسع بين السياسات النيوليبرالية وآليات القهر التى تملكها الدولة (الشرطة، والسجون، والعسكرة) - قد لعبت دورا يبرز أكثر فأكثر داخل تحليلاتنا، حيث قد تعرضنا نحن أنفسنا إلى مواجهة قمع الدولة بمستوياته المتصاعدة. ولقد أصبحت مسألة الحدود قضية رئيسية من قضايا لقاءات صندوق النقد الدولى فى "براغ"، والاجتماعات التالية للاتحاد الأوروبي فى "نيس". فى اجتماع قمة النافتا فى مدينة "كيبك" فى الصيف الماضى، تحولت فيما بين ليلة وضحاها تلك الخطوط التى كانت غير مرئية والتى كانت تعتبر سابقا كأنها غير موجودة إلى تحصينات وقلاع منيعة ضد حركة المواطنين الذين سيشكلون مستقبلا "المواطن العالمى"، المطالبين بحق تقديم عرائض ضد حكاهم. أصبح الحائط الممتد لمسافة ثلاثة كيلومترات الذى بنوه داخل مركز مدينة "كويك" ليحمى رؤساء الدول وهم يهرعون خفية إلى داخل قاعة المؤتمر خوفا من جمهور المحتجين، أصبح رمزا دقيقا لما تعنيه فعلا النيوليبرالية فى العرف الانسانى. مشهد "البلاك بلوك Black Bloc" وهم مسلحون بمقصات السلك الشائك والخطاطيف، ملتحقا بهم كل هذا الحشد من "عمال الصلب" إلى محاربى "الماهوك" لتحطيم السور الأمنى، أصبح - لنفس السبب - واحدا من أقوى المشاهد فى تاريخ الحركة.

إلا أن هناك تمايزا مدهشا بين هذا المشهد ومشاهد الأمميات السابقة، حيث انتهت الأخيرة بتصدير أنماط تنظيمية غربية إلى كل العالم؛ ولكن فى حالتنا هذه، إذا ما كان هناك شيئا ما من قبيل التصدير، فاتجاه التيار يتدفق عكسيا بالكامل. فالعديد من وسائل وأدوات الحركة الرئيسية، أن لم يكن معظمها، استحدثت وتم تطويره فى الجنوب أولا. وعلى المدى البعيد، سوف يبرهن ذلك على طابع الحركة الوحيد الأكثر راديكالية.

بليونيترات ومهرجون

استدعت وسائل الإعلام التابعة للشركات العملاقة كلمة "عنيف" كنوع من أنواع الأشباح الشريرة التى تتلبث الأشياء من وقت لآخر وبأشكال متعددة، تبثها عند وقوع حدث جماهيرى واسع: احتجاجات عنيفة، صدامات عنيفة، البوليس يشن غارة على مركز عمليات المحتجين العنيفين. حتى ذكرت كلمة شغب عنيف! (هل توجد أنواع أخرى من الشغب غير عنيفة؟). هذه التعبيرات تستخدم بشكل نمطى. حين نصف ما يحدث بلغة بسيطة مستقيمة سيكون الوصف كالتالى (يلقى الناس بقنابل البوية، يكسرون زجاج فاترينات المحلات الخالية، يمسكون بأيدي بعضهم البعض لعرقلة سير المرور فى التقاطعات، بينما يضربهم البوليس بالعصا)، فالصورة تعنى أن البوليس هو الطرف العنيف. قد يكون إعلام الولايات المتحدة هو الطرف الأكثر عدوانية، وهذا بالرغم من حقيقة انه بعد أكثر من عامين من العمل المباشر المتصاعد، من المستحيل أن تخرج بمثل واحد على عنف يكون قد مارسه احد النشطاء الأمريكيين تسبب فى إيذاء بدنى لأحد من الأشخاص. بل إننى أرى أن ما يزعج السلطات المعنية ليس هو عنف الحركة ولكن بالضبط افتقارها إلى ذلك العنف؛ فالحكومة ببساطة لا تدرى كيف تتصرف مع حركة واضحة الثورية ترفض أن تسقط فى حبال النماذج النمطية للمقاومة المسلحة.

إننا نكاد نلمس الجهود الحالية لتدمير الأطر القائمة للحركة.

حينما لاح أن الأساليب الأخرى بديلا عن المسيرات التي تحمل شعاراتها، إما أسلوب العصيان المدني السلمي على شاكلة عصيان غاندى، وإما الانتفاضة المسلحة الصريحة، لهذا السبب تحاول جماعات مثل شبكة العمل المباشر، وتحرير الشوارع، والكتل السوداء، وذوى الأوفرول الأبيض، كل بطريقته أن يجدوا منطقة بين الوسييلتين. إنهم يحاولون ابتكار ما يسميه العديد "لغة جديدة" للعصيان المدني، جامعين ما بين عناصر من مسرح الشارع، وعناصر الاحتفالات الشعبية، وما يمكن أن يطلق عليه تكتيكات الحرب غير العنيفة؛ على سبيل المثال بالمعنى، الذى يعتمد أناركيو منظمة "الكتل السوداء"، حين يتحاشون أى إيذاء بدنى لمخلوق.

تشتهر "يا باستا" على سبيل المثال بتكتيكات ذوى "الأوفروال الأبيض" **tute bianche**: رجال ونساء يرتدون حشية كاملة، تتراوح بين دروع الفوم إلى الأنايب الاسطوانية إلى الحلقات المطاطية المرنة، والخوذات وملابس رياضية بيضاء مضادة للكيموايات، (أبناء عمومتهم البريطانيون معروفون باسم الـ **Wombles**). وبينما يشق هذا الجيش الكرتونى طريقه من بين حواجز الشرطة، يحمى كل منهم الآخر من خطر الأذى أو الاعتقال، يبدو أن هذه المنظومة المضحكة تختزل كل البشر الموجودين إلى شخصيات كرتونية ممسوخة خرقاء وبلهاء ولكن لا يمكن تدميرها. ويزداد المفعول فقط عندما تهاجم صفوف الشخصيات ذات الملابس الخاصة هذه، رجال الشرطة بالبالونات والمسدسات المائية، أو كما فعلت "الكتلة الوردية - **Pink Bloc**" فى "براغ" وفى كل مكان آخر، فإنها ترتدى ملابس الجنيات والعفاريت، وتدغدغ وجوه رجال الأمن بمنافض الريش المنزلية التى تسمح بها الغبار.

في مؤتمر الحزب الامريكى، يلبسون ملابس السهرة الخاصة بالبلينييرات من أنصار بوش (أو جور) ويحاولون حشو جيوب رجال الأمن برزم الورق التى تشبه النقود كبقشيش لهم على قمعهم للمنشقين. حتى لم يتحدث احد، بل ربما أن رجال البوليس قد تلقوا بذلك جرعة علاج نفسى تجعلهم يبعضون ضرب أى احد فى ملابس سهرات العشاء. "كتلة المهرجون **Clown Bloc**" الأناركية الثورية، بعجلات السيرك العالية، وأجنحة قوس قزح، وصفاراتهم التى تصرخ عاليا، يسببون تشوش البوليس عندما يتعاركون مع بعضهم البعض (أو مع البلينييرات). لديهم أفضل الأناشيد: الديمقراطية؟ ها ها ها، البيتزا المتحدثون لا يقهرون، هى هو، ها ها، هى هى!! بالإضافة إلى الهتافات الحماسية مثل: اهتف! ردا! اهتف! ردا! والهتاف الأثير لى كل فرد – اهتف بثلاث كلمات! اهتف بثلاث كلمات!

في مدينة "كوبيك"، تم بناء منجنيق عملاق على نسق العصور الوسطى (بمساعدة من المؤتمر اليساري لجمعية مصممي الملابس والمناظر التاريخية) حيث كان يقذف بدمى ذات حشوات لينة على مقر مؤتمر الـ **FTAA**. وقد تم دراسة تكتيكات حروب العصور الغابرة للخروج بأشكال قتالية جدا ولكن غير عنيفة تصلح لإتباعها إثناء المواجهات: تم تصميم محاربين على شاكلة محاربي جزيرة "برنس ادوارد" ومحاربي "مونتريال" القداماء وتستمر البحوث في اتجاه الأسوار المدرعة على نسق الطراز الروماني القديم. المتاريس أصبحت فنا في حد ذاته: فلو صنعت شبكة عنكبوتية ضخمة من لفائف القماش تمتد عبر تقاطع الطرق، فسيكون من المستحيل فعلا أن تعبرها، سيقع رجال الشرطة من راكبي الموتوسيكلات في حبالها كالحشرات. دمية الحرية بأذرعها الممتدة إلى أقصاها نستطيع أن نعرقل بها طريقا سريعا به أربع حارات مرورية، بينما تستطيع دمية الثعبان الراقص أن تمنع حركة السيارات المارة. في عيد أول مايو السابق في لندن، جعل الثوار من شارع "أوكسفورد" رقعة كبيرة للعبة "المونوبلي" ببنائهم نماذج كرتونية لفنادق "الماي فير" للمشردين، و "اوكازيون" القرن، والحدائق المزروعة برجال حرب العصابات، ولم يتم فضها إلا بالتدخل الكثيف من رجال الشرطة ونتيجة هطول الأمطار الغزيرة. ولكن حتى أكثر القتاليين قتالية، مثل جبهة تحرير الأرض، يتجنبون بحذر بالغ الإقدام على فعل أي شيء قد ينتج عنه إيذاء بدني لأي مخلوق (إنسان أو حيوان لهذه الدرجة). انه تجميع وتركيب لأنواع الأفعال التقليدية التي تطيح بقوات حفظ النظام وتجعلهم يائسين من عودة الأمور إلى سيرها المعتاد (العنف البسيط): حتى عند الدرجة التي تجعلهم، كما فعلوا في "جنوة"، يشجعون بلطجية الفاشيست على إحداث شغبا يبرر لهم استخدام القوة الغاشمة ضد كل الموجودين بلا تمييز.

ويستطيع المرء أن يقتفى اثر تاريخ أشكال الحركة هذه بالعودة إلى أشكال المقاومة البارعة لجماعات "الهيبيز" أو جماعة "الهنود الحمر المتروبوليتانية" في ايطاليا أثناء الستينات، ومعارك احتلال الشقق الخالية بوضع اليد في ألمانيا وايطاليا أثناء السبعينات والثمانينات، حتى مقاومة الفلاحين لتوسيع مطار "طوكيو". ولكن، فيما يبدو لي، أيضاً، الجذور الحاسمة فعلا تعود "للزاباتيستا" والحركات الأخرى في جنوب العالم. فمن عدة أوجه، شكل جيش "الزاباتيستا" للتححر الوطني" محاولة من أناس لطالما تم إجحاف حقهم في المقاومة السلمية والمدنية ومصادرتها؛ حتى نستدعى خداع النيوليبرالية وادعاءها الديمقراطية وتسليمها السلطة للمجتمع

المدنى. فهو، كما يقول قاده، جيشا يطمح في ألا يكون جيشا بعد الآن (انه نوع من السر المفضوح الذى، منذ السنوات الخمس الأخيرة على الأقل، لا يحمل بنادق حقيقية). وكما يشرح "ماركوس" هذا التحول من التكتيكات التقليدية المعتادة لحرب العصابات: "كنا نعتقد أن الناس إما لن يهتموا بنا، وإما سوف ينضمون إلينا لنقاتل معا. ولكنهم لم يسلكوا معنا أى من الطريقتين. وأتضح أن كل هؤلاء الناس، الذين كانوا بالآلاف، أو بعشرات الآلاف، أو مئات الآلاف، بل وربما بالملايين، كانوا لا يرغبون فى الانتفاض معنا، ولكن... كانوا أيضا لا يرغبون فى أن يقضى علينا. كانوا يرغبون فى أن نتحاور من أجلهم. قضت هذه الحقيقة بالكامل على مخططاتنا وأنهت التعريف القائم "للزاباتيستية"، (نشرة الزاباتيستية الجديدة، رقم ٤)

الآن جيش الزاباتيستيا للتحرر الوطنى هو نوع من الجيوش التى تنظم "غزوات" على القواعد العسكرية المكسيكية، يكتسح فيها مئات الثوار، بدون أى نوع من السلاح على الإطلاق، هذه المعسكرات صارخين فى وجوه جندها موبخين لهم. وعلى نفس المنوال اكتسبت الحركات الجماهيرية الواسعة لمنظمة الفلاحين بلا ارض نفوذا معنويا كبيرا فى البرازيل نتيجة إعادة احتلال الأراضى الزراعية المهجورة وتاما بلا عنف. فى كلا الحالتين، يظهر بشكل جلى أن نفس الناس إذا ما حاولوا الإقدام على فعل نفس الأشياء منذ عشرون عاما مضت، كانوا ببساطة سيلقون مصرعهم بطلقات الرصاص.

الأناركية والسلم

إلا انك كلما حاولت أن تقتفى اثر أصول هذه الحركات، فإنها تتفق تماما مع الإلهام العام الأناركى للحركة، التى تولى أهمية اقل للاستيلاء على السلطة من الأهمية التى تعطىها لتعرية ونزع شرعية، وتفكيك آليات الحكم؛ وفى الأثناء التى تكتسب فيها مساحات تتسع أكثر فأكثر من الإدارة الذاتية لشئون الناس، عنوة من هذه الآليات. على أن الأمر الحاسم فى ذلك كله، هو أن كل ذلك لن يتحقق إلا فى مناخ سلمى عام. فى الواقع، يبدو لى أن هذه هى المغنم العليا للكفاح فى هذه اللحظة: الكفاح الذى يحدد بقدر عال الاتجاه الكلى فى القرن الواحد وعشرين.

يجب أن نتذكر انه أثناء أخريات القرن التاسع عشر وبواكير القرن العشرين، عندما سارعت اغلب الأحزاب الماركسية لتصبح أحزابا اشتراكية ديمقراطية إصلاحية، كانت الأناركية والانا ركية النفاية بؤرة لليسار الثورى. الأوضاع تغيرت، فقط، بشكل حقيقى بالحرب العالمية الأولى والثورة الروسية. لقد كانوا يقصون علينا دائما، أن نجاح البلاشفة هو الذى أدى إلى انحسار الأناركية، بالاستثناء العظيم لأسبانيا، وقذف بالشيوعية عاليا إلى المقدمة. ولكن فيما يجيل لى أن المرء يستطيع أن يرى ذلك بنظرة مختلفة.

آمن معظم الناس، فى أواخر القرن التاسع عشر، أن الحرب بين القوى الصناعية العظمى قد هجرت إلى غير رجعة؛ حقا ما زالت المغامرات العسكرية الاستعمارية دائمة، ولكن حربا بين فرنسا وإنجلترا، على الأرض الفرنسية أو الأرض الإنجليزية، بدت كما لو كانت أمرا لا يصدق عقل، كما هو الحال فى يومنا هذا. بحلول القرن العشرين، كان يعتبر حتى استخدام جوازات السفر فى ذلك الوقت بربرية من العاديات الأثرية.

ربما كان القرن العشرين، ذلك القرن القصير، على العكس، أكثر القرون عنفا فى التاريخ الانسانى، احتلته بشكل يكاد أن يكون كاملا، إما شن الحروب العالمية أو التحضير لها. عندئذ، فلا يثير الاستغراب، أن تلحق بالأناركية سريعا وصمة أنها خيالية وغير واقعية، إذا ما كان المقياس الأعلى للفاعلية السياسية هو أنك تستطيع رعاية ماكينات هائلة للقتل. وهذا هو واحد من الأمور، بالطبيعة، لا يحسن الأناركيون القيام به أبدا. ولم يكن مدهشا أن الأحزاب الماركسية، التى لا تحذق إلا مثل هذه الأمور، ظهر بشكل فائق أنها ديناميكية وواقعية بالمقارنة. بالوصول إلى اللحظة التى انتهت فيها الحرب الباردة، وعاد احتمال الحرب بين القوى الصناعية العظمى احتمالا لا يصدق العقل، عادت الأناركية للظهور، بالضبط فى نفس المكانة التى احتلتها فى أواخر القرن التاسع عشر، كحركة دولية فى عمق مركز اليسار الثورى.

وإذا ما كان ذلك كذلك، فقد أصبح أكثر وضوحا ما هى المكاسب النهائية التى ستجنيها التعبئة الحالية المسماة "بالحرب على الإرهاب". على المدى القصير، تبدو الأمور مرعبة. الحكومات التى تستमित لسلى تلفيقا بصورة أو أخرى لتقنع الجمهور بأننا إرهابيون حتى قبل أحداث ١١ سبتمبر، تشعر الآن أنهم قد حصلوا على توقيع "على بياض"؛ هناك قليل من الشك أن كثير من الناس الطيبين سوف يعانون من القمع الرهيب. ولكن على المدى البعيد، سوف يكون من المستحيل العودة ببساطة إلى مستويات عنف القرن العشرين. كانت هجمات ١١ سبتمبر بمثابة ضربة من ضربات الحظ التى لا تتكرر (أول مخطط ارهابى واسع المدى فى التاريخ الذى يتحقق فعلا)؛ انتشار الأسلحة النووية يضمن أن أجزاء أوسع فأوسع من الكوكب سوف تصبح لأسباب عملية خارج نطاق الحروب التقليدية. ولو كانت الحروب هى الغذاء الذى تتوقف عليه سلامة الدولة الصحية، فمن المتوقع تحسن فرص التنظيم على النسق الأناركى.

ممارسة الديمقراطية المباشرة

تشكو الصحافة التقدمية شكوى دائمة فيما يخص حركة العولمة من أنها، رغم بريقها الأخاذ تكتيكيا، تفتقد إلى قضية مركزية أو أيديولوجيا مترابطة. (وهذا ما يبدو انه المعادل اليسارى لادعاء صحافة الشركات الضخمة من إننا حفنة من الصبيان الذين يعبثون بحفنة من القضايا الغير مترابطة تماما: اسقطوا الديون، وحافظوا على الغابات القديمة). وهناك خط آخر من التهجم على الحركة يأتي من ناحية أن الحركة منكوبة بالمعارضة العمياء لكل أشكال المؤسسات أو التنظيم. فمن المحزن، بعد مرور عامان على سياتل، يتوجب على أن اكتب هذا، ولكن من الواضح أن احدها يجب أن يناقش هذا الأمر: هناك في أمريكا الشمالية على وجه الخصوص حركة تدور حول إعادة اختراع الديمقراطية. إنها لا تعارض التنظيم. إنها تدور حول خلق أشكال جديدة من التنظيم. انه ليس نقص في الايدولوجيا.

هذه الأشكال الجديدة من التنظيم هي أيديولوجيتها. إنها تدور حول خلق وتفعيل شبكات عمل أفقية بديلا عن الهياكل الرأسية التي تدار من أعلى لأسفل مثل الدولة والأحزاب والشركات الهائلة الحجم، شبكات عمل مؤسسة على مبادئ ضد المركزية، وغير تراتبية، وديموقراطية البحث عن تكوين إجماع. كغاية عليا، إنها تطمح لان تكون أكثر من ذلك، لأنها تطمح كغاية عليا أن تعيد ابتكار الحياة اليومية بأكملها. ولكن على غير منوال كثير من أشكال الراديكالية، فقد نظمت نفسها أولا في المجال السياسي؛ لأنها بشكل أساسى كانت المنطقة التي هجرتها بشكل واسع القوى التي كانت ذات النفوذ (الذين وجهوا كل مدفعيتهم الثقيلة نحو الاقتصاد).

طوال العقد المنصرم، المناضلون الحركيون في أميركا الشمالية وضعوا طاقة خلاقة هائلة في إعادة ابتكار الآليات الداخلية للعمل في مجموعاتهم، ولخلق نماذج قابلة للحياة لما يمكن أن تبدو عليه الديمقراطية المباشرة وهي فاعلة فعلا في هذا المجال، كنا قد خططنا للعمل على أمثلة، كما نبهت سابقا، من خارج التقاليد الغربية، والتي تكاد بنسب متفاوتة تعتمد على بعض الإجراءات التي تمهد لقيام إجماع، بدلا من أصوات الأغلبية. أصبحت النتيجة درع غنى وينمو باستمرار من الأدوات التنظيمية: مجالس محاور الارتكاز **spokescouncils**، مجموعات الاقربون **affinity groups**، أدوات التسهيل والتيسير **facilitation tools**، كسر الطوق **breakouts**، وعاء السمك **fishbowls**، الاهتمام المصادر **blocking concerns**، حلقات مشاهدى النقاش **vibe-watchers**، وهكذا دواليك: تستهدف هذه الأدوات جميعها خلق أشكال من العملية الديمقراطية التي تسمح بأشكال المبادرة من أسفل، والتي تسمح ببلوغ أقصى درجات التضامن الفعال، دون إهدار الأصوات المخالفة، وبدون خلق أوضاع زعامية، أو إرغام أى منا القيام بفعل أى شيء لا يوافق عليه بإرادته الحرة.

الفكرة الأساسية من عملية خلق الإجماع هي، بدلا من التصويت، فانك تحاول أن تصل بالاقتراحات إلى أن تكون مقبولة من كل فرد، أو على الأقل، لا تلقى اعتراضا شديدا من أى احد: أولا ضع الاقتراح، ثم ابحث عن "من له مصلحة أو اهتمام"، ثم حاول مخاطبتهم. عند هذه النقطة، سيحاول الناس في المجموعة اقتراح "ملحقات ودية للاقتراح" لإضافتها على الاقتراح الأصل، أو من ناحية أخرى، قد يعدلونه، وبهذا تضمن انك قد حصلت منهم على "الاهتمام" وخلقت "المصلحة" الذين خاطبتهم فيها. أخيرا، عندما تدعو إلى الإجماع، فانك تسأل إذا كان احدهم يرغب في "اعتراض سير الأمور **block**" أو أن "يتنحى جانبا".

التنحى جانبا هو فقط أن تقول، "أنا لا اربغ شخصا في أن يكون لى دور فى هذا الفعل، ولكننى لن أوقف أى احد آخر من القيام به". إما اعتراض سير الأمور **block** فهو طريقة تقول بها "أنا اعتقد إن ذلك ينتهك المبادئ أو الأهداف الأصلية لكوننا أعضاء في مجموعة". وظيفة "البلوك" تشبه الفيتو "حق الاعتراض": فأى شخص فرد يمكنه قتل الاقتراح بالكامل عن طريق البلوك؛ على الرغم من أن هناك وسائل لاختبار مبدئية استخدامه في الحالات الخاصة.

هناك أنواع مختلفة من الجماعات. مجالس "محاور الارتكاز **Spokescouncils**"، على سبيل المثال، هي جمعيات واسعة تنسق حركة "مجموعات ذوى الميل المشترك **affinity groups**" الأصغر. فى الغالب الأعم تنعقد هذه المجالس قبل، وأثناء، العمل المباشر واسع المدى كما حدث فى "سياتل" وفى "كوبيك". فكل مجموعة من مجموعات ذوى الميل المشترك (تتكون من ٤ إلى ٢٠ فرد) تختار "محور ارتكاز" لها، تعطى له السلطة ليتحدث عنها فى المجموعة الأكبر. محور الارتكاز فقط هو الذى يستطيع أن يشارك فى عملية البحث عن الإجماع فعليا فى المجلس، ولكنهم قبل اتخاذ القرارات العامة الكبيرة فإنهم يتفرون ثانياة إلى مجموعات ذوى الميل المشترك وتتفق كل منها (المجموعات) على إجماع على الموقف الذى تريد "محور ارتكازها" أن يتخذه (بشكل غير مسلوب كما قد يظن البعض). كسر الطوق **Break-outs**، على الجانب الآخر، تظهر الحاجة لها حينما ينقسم الاجتماع الكبير إلى اجتماعات اصغر ينصب اهتمامها على صنع قرارات أو توليد اقتراحات، يمكن بعدئذ تقديمها لكامل المجموعة من اجل اعتمادها عند انعقادها مرة ثانية. أدوات التيسير تستخدم لحل المشكلات التي تثار

أو لدفع الحركة للامام إذا ما بدا أنها كما لو أنها غرزت في الرمال الناعمة. تستطيع أن تدعو إلى جلسة للعصف الذهني، يسمح للناس فيها فقط باستعراض الأفكار فقط وليس نقد أفكار بعضهم البعض؛ أو أن تدعو إلى اقتراح غير ملزم على سبيل الاستكشاف لمواقف الأطراف المختلفة، أكثر من كونه في سبيل اتخاذ قرار. "وعاء السمك الزجاجي" قد يستخدم فقط إذا ما وقع خلاف كبير وعميق في الرأي: يمثل كل طرف بشخصين - احدهم رجل والآخر امرأة - ويجلس الأشخاص المختارون في وسط الحلبة، ويحي المجتمعون بهم في صمت تام، لينظروا إذا كان يمكن للأشخاص المختارين معا أن يصنعوا أرضية ما أو اتفاقا مرضيا، يصلح كافتراح يعرض على الفريق بأكمله.

السياسة المجازية

العمل، الذي لا يزال في طور التطوير، وطور خلق ثقافة للديموقراطية بين الناس قليلي الخبرة يمثل هذه الأشياء، هو بالضرورة عملية مؤلمة وغير منتظمة الإيقاع، مليئة بكل أنواع الاحباطات والقواعد الغير حقيقية، ولكن، كما يستطيع تقريبا أي قائد شرطة من الذين يواجهوننا في الشوارع أن يشهد على أن، الديموقراطية المباشرة من هذا النوع تستطيع أن تكون على درجة مذهلة من الفاعلية. ومن الصعب أن تعثر على أي فرد شارك بالكامل في مثل هذه النضالات لم تتأثر حاسته بالإمكانيات البشرية الكامنة متأثرا عميقا. وبقي أمر أخير لنقوله، "عالم مختلف أمر قابل للتحقق". فهو شيء مختلف أن تعيشه، حتى لو كان لحظيا.

ربما أفضل طريقة لتبدأ في التعرف على هذه المنظمات، شبكة العمل المباشر على سبيل المثال، هو أن تراهم على طرف النقيض من الجماعات الماركسية المغلقة؛ أو، في نفس السياق، الجماعات الأناركية المغلقة. حيث ينصب تركيز الأحزاب المركزية الديموقراطية على بلورة تحليل نظري صحيح وكامل، وتطلب توحد أيديولوجي وتميل إلى استكمال صورة رؤيتهم للمستقبل الذي تتحقق فيه المساواة المطلقة، بأشكال سلطوية متطرفة لمنظمتهم في الوقت الحاضر. بينما المنظمات التي نتحدث عنها تبحث عن التعددية بشكل مفتوح. الجدل يركز دائما حول جولات بعينها من الحركة؛ فمن المسلم به انه لن يحول أي احد أبدا أحدا آخر إلى وجهة نظره بالكامل. قد يكون الشعار، "لو أنت على استعداد للتصرف كأناركى في هذه اللحظة، فرويتك طويلة المدى هي شأنك الخاص تماما". وهذا فقط يبدو معقولاً: فلا احد منا يعرف إلى أي مدى سوف تأخذنا هذه المبادئ فعلا، ولا أي تركيب مجتمعي مبني على أساس منها سوف تبدو صورته النهائية. تتأصل أيديولوجيتهم، من ثم، في المبادئ المعادية للحاكمية التي تحدد ممارساتهم، فواحد من أوضح مبادئهم هو أن هذا الأمر يجب أن يبقى على ذلك المنوال.

ختاما، أود أن استنفر بعض من الأسئلة التي تثيرها شبكات العمل المباشر حول الاغتراب، وتوابعه الأوسع في مجال الممارسة السياسية. على سبيل المثال: لماذا يحدث، حتى عندما ينتج هذا تاليا لغياب جمهور آخر للسياسة الثورية في مجتمع رأسمالي، أن يكون الفريق الأكثر تعاطفا مع المشروع الثوري بتشكيل من الفنانين، والكتاب، والموسيقيين، وأولئك المنخرطين في بعض أشكال العملية الإنتاجية الغير مغتربة؟ من المؤكد أن هناك صلة ما بين الخبرة الواقعية للأشياء التي نتخيلها في بادئ الأمر، ثم ولادتها في الواقع، فرادى أو جماعة، وبين القدرة على وضع تصورات لبدائل اجتماعية، وعلى نحو خاص، إمكانية المجتمع نفسه المبنية على افتراض إشكال من الإبداع الأقل اغترابا؟

وحق قد بطرح المرء، أن التحالفات الثورية تميل دائما للارتكان إلى نوع من الأحلاف بين عناصر المجتمع الأقل اغترابا والعناصر الأكثر تعرضا للاضطهاد؛ نستطيع القول، أن الثورات الفعلية مالت للحدوث عندما تداخلت هاتين الشريحتان الاجتماعيتان مع بعضهما البعض بشكل واسع.

وقد يساعدنا هذا، على الأقل، في تفسير لماذا تقريبا يبدو دائما أن الفلاحين والحرفيين، وحتى لدرجة اكبر، العمال الصناعيين الذين كانوا فلاحين وحرفيين لوقت قريب، - هم الذين أطاحوا فعلا بالأنظمة الرأسمالية؛ وليس أولئك الذين تمسوا كأجيال من العمل المأجور. ولسوف يساعدنا هذا أيضا في تفسير الأهمية فوق العادة لكفاح السكان الأصليين في الحركة الجديدة: يميل هؤلاء البشر بشكل تلقائي إلى أن يكونوا الأقل اغترابا والأكثر عرضة للاضطهاد فوق البسيطة. الآن حين تجعل تكنولوجيا الاتصالات الجديدة ضم هؤلاء في التحالفات الثورية الكوكبية أمرا ممكنا، إلى جانب أشكال المقاومة والتمردات المحلية، يصبح من المحتم تقريبا أنهم سوف يلعبون دورا ملهما بقوة.